



المشروع القومى للترجمة

تأليف : مجموعة من كتاب الهوسا

مأساة العبيد

(وقصص أخرى)

ترجمة : مصطفى حجازى السيد

تقديم : محمود فهمى حجازى

298

المشروع القومى للترجمة

مأساة العبيد
(وقصص أخرى)

تأليف : مجموعة من كتاب الهوسا

ترجمة : مصطفى حجازى السيد

تقديم : محمود فهمى حجازى

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٢٩٨
- مأساة العبيد (وقصص أخرى)
- مجموعة من كتاب الهوسا
- مصطفى حجازى السيد - محمود فهمى حجازى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت :٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 7352396 Fax:7358084 E.Mail: G.ASFOUR@starnet.com.eg

تقــــديـــم

يطيب لـــى أن أقــدم للقــارئ العربــى هــذه المجموعــة القصصية الأفريقية مترجمة إلى اللغـــة العربيــة ، إنــها أول جهود تنشر فى مصر فى هذا المجال، وتعــد بــاكورة حركــة الترجمة الأدبية من لغة الهوســا والدراســات الأفريقيــة فــى اللغــات والآداب المنشــورة بلغــات هــذه القــارة ، ولنشــأة الاهتمام باللغات الأفريقية قصة مهمة ، كـــانت البدايــة عــام ١٩٦٩ عندما كان التفكــير فــى تحويــل معــهد الدراســات السودانية ــ التابع فـــى ذلــك الوقــت لكليــة الآداب ــ إلــى معهد كامل يدرس القارة كلها ، ولا يقتصــر علــى الجغرافيــا والتاريخ بفروعهما ، بل يستوعب كـــل مجــالات الدراســات العليا للقارة مـــن حيــث اللغــات والآداب والتــاريخ والنظــم السياسية والموارد الاقتصاديـــة والأنثربولوجيــا .

وفى مناقشة علمية مع المرحوم الأســتاذ الدكتــور محمــد السيد غلاب اتفــق الــرأى علــى أهميــة الاهتمــام باللغــات الأفريقية،وكان صاحب رؤية لغوية جعلته فيمــا بعــد عضــوًا بمجمع اللغة العربية، فكلفنى المعـــهد بتدريــس مقــرر عــام فى هذا المجال لكل طلاب المعــهد، وهكــذا كنــت أول مــن درّس تعريفًا بالفصائل اللغوية واللغــات الأفريقيــة وقضاياهــا لمدة عــام دراســى واحــد ١٩٦٩ / ١٩٧٠، ولكــن الاتجــاه

العلمى إلى مزيد من الاهتمــــام باللغـــات الأفريقيـــة أدى فـــور ذلك إلى إنشاء قسم كامل للغــــات الأفريقيـــة علــــى مســـتوى الدراسات العليا، وهكذا بـــدأ تكــون أول مجموعـــة مصريـــة متخصصة فى لغة الهوسا وآدابها بالجامعــــات المصريـــة .

وفى هذا الإطار كان دور الصديق الدكتور مصطفى حجازى السيد حجازى كبيرًا ، لقد تخرج فى قسم اللغة العربية وآدابـــها بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٨ ، وبدأ منذ وقت مبكـــر الاهتمام بتاريخ القارة وثقافتها ولغاتها ، فحصل على دبلوم معهد الدراسات الأفريقية عام ١٩٦٩ ، ثم كان أول من حصل علـــى الدكتوراه فى لغة الهوسا من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦، وكـــان موضوع رسالته " دراسة نحوية وصفية للغة الهوسا "، وهو أول من درس هذه اللغة وقام بتدريسها فـــى الجامعـــات المصريـــة والعربية ، وقد قام بسلسلة من الأبحاث نشر أكثرها فى مجلـــة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تناول فيها الأثر العربى فى هـــذه اللغة من حيث الأصوات والصرف والدلالة، إلى جانب ذلك كله له مؤلفات فيها طبعت فى جامعة أم القــــرى بمكـــة المكرمـــة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد تـــدرج فى عدة وظائف فى معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعـــة القاهرة ، فشغل وظيفة مدرس للغـــة الهوســـا بقســـم اللغـــات الأفريقية، ثم كان أستاذًا مساعدًا ورئيسًا للقسم فوكيلاً للمعـــــهد لشئون خدمة المجتمع والبيئة ، وأخيرًا عضوًا باللجنة الدائمـــة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بالمجلس الأعلى للجامعـــات

وجامعة الأزهر في مجال تخصصه ، كما أنشأ مركـزًا لتعليم اللغة العربية للأفارقة ، وفى هذا الإطار أشرف على عدد من الرسائل الجامعية تمثل بداية الاهتمام بلغة الهوسا وآدابها فى الجامعات العربية ؛ لقد مكنه تخصصه فى لغة الهوسا من دراسة آدابها وإبراز الأثر العربى فيه ، وها هو اليوم يقوم بترجمة هذه المجموعة من القصص من لغة الهوسا مباشرة، وهو أول عربى يقوم بهذا العمل .

وقد كان الأديب الراحل على شلش مهتمًا بالأدب الأفريقى، إلا أن اهتمامه كان منصبًا على ما كتب باللغات الأوربية ، وكان يلاحظ أن أحدًا لم يتناول الأدب الأفريقى الذى كتب باللغات المحلية الأصلية ، كالهوسا والسواحيلية حتى تقابل الأديب الراحل ــ وكان منتدبًا لتدريس الأدب الأفريقى فى معهد الدراسات الأفريقية مع المترجم ــ فطلب منه أن يقوم بترجمة قصة " الشيخ عمر " لأبى بكر تفاوا ــ أول رئيس لوزراء نيجيريا بعد الاستقلال ، كان الأستاذ على شلش يرى أنها ترجمة لحياة أبى بكر ، إلا أن المترجم كان مشغولاً فى هذا الوقت بأعمال علمية أخرى ظهر أكثرها فى مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تناولت الصلة بين العربية ولغة الهوسا ، أما رغبة المثقفين التى عبر عنها صديقنا الأديب على شلش فقد بدأت تتحقق ونشرت هذه القصة ضمن كتاب " أدب الهوسا الإسلامى" الذى قامت بنشره حالياً جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وأن القصة بمعناها المعاصر لم تعرفها الهوسا إلا بعد

سنة ١٩٣٤، وهى فى حاجة إلى الدراسة والبحث شأنها شأن الشعر ، فما زال الأدب بوجه عام حقلاً بكرًا يتسع للعشرات من الدارسين والباحثين.

ويسعدنى أن أقدم هذه المجموعة لقراء العربية مع التمهيد الذى كتبه المترجم لها ، بالتعريف بلغة الهوسا ومتكلميها وعلاقاتها باللغة العربية وتأثيرها من حيث الشكل والصور والأفكار ، وبعد ذلك تأتى القصص المترجمة .

القصة الأولى التى أطلق عليها المؤلف اسم " الشيخ عمر " وأطلقت عليها اسم " مأساة العبيد"؛ لأن أحداثها تدور حول طفل صغير ، سرقه أحد النخاسين وظل يباع من نخاس إلى نخاس،حتى خدم فى بيت رجل يتعامل مع أحد التجار العرب ، الذى أعجب به فطلب شراءه ، وفعلاً اشتراه وعاد به إلى مصر، حيث علمه وأدخله الأزهر ، ولما كبر طلب من سيده أن يصطحبه معه فى رحلة إلى نيجيريا ليبحث عن أمه التى افتقدها وتوالت الأحداث .

القصة الثانية : المغامر (Gandoki) ، هى أول ما ظهر من قصص الهوسا بعد إنشاء دار جسكيا (Gaskiya) للنشر ، سنة ١٩٤٣ ، ومؤلفها هو الحاج محمد بللو ، وتصور وصول الإنجليز إلى شمال نيجيريا ، وما أظهره الوطنيون من مقاومة عنيفة ، وتسرد جانبًا من البطولات التى كان يقوم بها القادة والمحاربون فى ميدان القتال ، إلا أن الأسلحة والبنادق القديمة

التى كان يستعملها المواطنون لم تستطع الصمود أمام أسلحة الإنجليز الحديثة ، فأخذت هذه الأسلحة القديمة تسقط الواحدة بعد الأخرى حتى يئس بطل هذه القصة الأسطورى من التغلب على الإنجليز ، فخرج مع ابنه إلى الخلاء ، فأخذته سِنة من النوم استيقظ بعدها فوجد نفسه فى جزيرة سيلان بين يدى ملك الجان الذى أكرمه وضمه إلى جنده ، فأخذ يحارب فى صفوفهم ، ويقوم بالبطولات الخارقة حتى قضى على كل أعداء ملك الجان، وبعد ذلك تجد البطل يعود إلى نيجيريا فيجد مجموعة من الجنود تتدرب على إطلاق المدافع واستعمال أجهزة اللاسلكى فيقف أمامهم مبهورًا ، وهكذا تمثل هذه القصة ربطًا بارعًا بين الأحداث والثقافة الشعبية الأفريقية .

القصة الثالثة : هى الماء الشافى (Ruwan Bagaja) ومؤلفها أبو بكر إمام،من كبار كتاب الهوسا ، وفيها يتضح الجانب الشعبى الأفريقى مع تأثيرات عربية.

والقصة الرابعة هى: إيليا الابن القوى من تأليف أحمدو إنجاوا (Ahmadu Ingawa) .

ويبدو فى هاتين القصتين الأثر العربى الواضح فى أدب الهوسا ، ولاسيما قصص " ألف ليلة وليلة " التى كان لها أثر بعيد عند المثقفين الأفريقيين .

أما القصة الخامسة : وهى قصة Wusasa Tafida فهى توضح عادة الشعوب الأفريقية فى الاعتقاد فى السحر ، وتدور

أحداثها حول شاب يحب فتاة منذ الطفولة ، ويتفق معـــها علـــى الزواج فيأتى أحد أثرياء المدينة الذى لم يرزق ولدًا ، فيرى فـــى منامه أنه إذا تزوج هذه الفتاة فسيرزق بالطفل ، ويـــهيم علـــى وجهه فى الأرض حتى يصل إلى أكبر ساحر ، وبعد أن يجتـــاز المخاطر والأهوال يكون السحر سببا فى إفساد ابن الثرى .

هذه نماذج من الأدب الأفريقي المكتوب بلغة الهوســـا الـــذي وصلت إليه القصة فى قارتنا الأفريقية السوداء ، نضعها أمـــام الباحثين والدارسين وجمهور القراء.

إن هذه المجموعة القصصية نرجو أن تكون بدايـــة اهتمـــام أدبي وثقافى بالشعوب المختلفة فى القارة الأفريقية ، ولقد كتـــب الأفارقة جنوب الصحراء إنتاجهم الفكرى تارة باللغـــة العربيـــة وتارة أخرى بلغاتهم المحلية ، مدونة بالحرف العربى، ولكنـــهم أخذوا بعد تغيير نظام الكتابة إلى الحرف اللاتينى – فـــى عـــدة مواقع – فى تأليف أدبى له طابع جديد ، واستمر الحرف العربى فى مواقع أخرى كثيرة ،ولغة الهوسا مثال لكل هذه الأنمـــاط ، وكلها تستحق الاهتمام الجاد بحثا وتأصيلا ومقارنة ، وإذا كـــان العالم المعاصر قد أصبح قرية اتصالية كبيرة ، فـــإن الوعـــى بالذاتية الثقافية للشعوب الأفريقية يصبح مطلبا جادا .

ومن هنا تأتى أهمية هذه المجموعة القصصية التى لم يكـــن من الممكن أن تظهر من قبل؛ فقد فـــرض مترجمـــها الأســـتاذ الدكتور/ مصطفى حجازى السيد على نفسه فى بداية شـــبابه أن

يسافر إلى نيجيريا مع معرفته بالصعوبات، كان مخاطرا ومغامرا رغبة منه فى إتقان لغة الهوسا ، وظل هناك عدة سنوات وله هدف لغوى واحد حققه على خير وجه ، وعاد إلى مصر ليكون أول مصرى تخصص فى هذه اللغة ، ثم كون جيلا من الباحثين فى هذه اللغة ، يستطيعون المشاركة العلمية والثقافية فى حياتنا من خلال تخصصهم ، وهذا كله يمثل لونا من العمل الجاد فى نسق جامعة القاهرة ، والأمل كبير أن تنتظم هذه الجهود من أجل معرفة متوازنة بآداب الشعوب المتعددة فى أفريقيا وآسيا فى ثوابتها ومتغيراتها ، فى ماضيها وحاضرها ، فى مشكلاتها الداخلية وعلاقتها بنا ، وطموحها نحو المستقبل، ويطيب لى فى ختام هذه المقدمة أن أشكر الأستاذ الدكتور / مصطفى حجازى السيد على هذا العمل ،ونأمل المزيد من العطاء فى هذا المجال ، بقلمه وبجهود طلابه الذين يشكلون أول مجموعة مصرية متخصصة فى اللغات الأفريقية وآدابها.

والله ولى التوفيق

محمود فهمى حجازى

مأساة العبيد

(الشيخ عمر)

تأليف : أبو بكر تفاوابليو

مقـــدمة :

مؤلف هذه القصة هو الحاج أبو بكر تفــاوابليو أول رئيــس لوزراء نيجيريا فى عهد الاستقلال ، ولد فى عام ١٩١٢م مــن أسرة مسلمة فى بلدة تفاوابليوا ــ جرت العادة فى شمال نيجيريا أن يذكر اسم القرية أو الحى بدلا من اسم الأب ــ وهى قريــة صغيرة فى إقليم ليرى Lere فى أمارة بوتشى ، تلقى تعليمــه الأولى فى إقليم بوتشى (١٩٢٥ ــ ١٩٢٨م) ثم التحق بكليــة تدريب المعلمين كتسينا (١٩٢٨ ــ ١٩٣٣م) وبعــد تخرجــه عين مدرسا ثم مديرا لمدرسة كتسينا المتوسطة ، وفــى سـنة ١٩٤٣م كان أحد مؤسسى حلقة المناقشة Discussion Circle الشهيرة فى بوتشى ، ثم التحق بمعهد التربية فى جامعة لنـــدن للحصول على شهادة التخصص التربوى (١٩٤٥ ــ ١٩٤٦م) وبعد عودته إلى وطنه اختارته الإدارة المحليــة فــى بوتشــى لتمثيلها، ثم اختير عن طريق هذا المجلس كعضو يمثل اجتمــاع المجلس Northern House of Assembly الإقليم الشـــمالى فى المجلس التشــريعى النيجــيرى Nigerian Legislative Council ،وفى عام ١٩٤٨م أنشأ اتحاد مدرسى الشمال، وكان صادقا فى نقده للمؤسسات الحكومية ونظام الحكــم علــى كــل المستويات، فبرز بصفته المعبر الأول عن آراء أهل الشمال فى السياسة ونظام الحكم.

وفى أغسطس سنة ١٩٥٠م تعرض لعداوة بعض الأمراء فى الوقت الذى نال فيه مركزا ساميا بين مؤسسى نيجيريا الحديثة ؛ ففى إحدى اجتماعات المجلس الشمالى اقترح تعيين لجنة مستقلة لوضع توصيات لتحديث وإصلاح نظام الحكم المحلى ، وفى إحدى خطبه الشهيرة نادى بإلغاء هذا النظام الذى كان يراه مستبدا ومخالفا للتقاليد ، حيث كانت السلطة مركزة فى يد الأمير أو الرئيس المحلى ، ويخضعان اسميا للحكومة المركزية ، وكان هذا مقدمة للقانون الذى أتاح الفرصة أمام هؤلاء الأمراء والرؤساء للعمل ضمن المجلس المركزى ، وقد فاز هذا الاقتراح بأغلبية صوت واحد (٢٠ ــ ١٩) وهذا دليل على قوة التيار المعارض له ومدى مقاومة الإصلاحات التى كانت ترمى إلى بسط نفوذ الحكومة المركزية على الأقاليم المختلفة والقبائل المتعددة ،وقد حاول بعض هؤلاء الأمراء أن يحول دون انتخابه فى المجلس التشريعى سنة ١٩٥٠م ، وقد أخذ يكافح فى سبيل هذه الإصلاحات التى كانت ترفع من شأن الإقليم الشمالى ذى الأغلبية المسلمة حتى نالت نيجيريا استقلالها على يده ويد أحمد بللو أمير سكوتو ، فكان الأول رئيسا للوزراء والثانى رئيسا للجمهورية مما أثار حقد بعض العناصر المتعصبة فى الجيش فقاموا بثورة دموية سنة ١٩٦٦م قتل على أثرها الاثنان وتولى يعقوب جون بعدها رئاسة الجمهورية.

* * *

الله سبحانه وتعالى أعلى من كل الملوك ، وأطهر من كل المخلوقات ، وهو الملك الذى لا شبيه له ، بالقرب من مدينة بوتشى بشمال نيجيريا كانت توجد مدينة صغيرة تسمى"روتا " Rauta وفى هذه المدينة الصغيرة كان يعيش أحد العلماء النابغين ، على علم بالنجوم والقرآن وكتب الدين ، وإلى جانب ذلك فهو على خلق كريم ومتمسك بالدين ، هذا العالم كان من الرجال المعدودين فى أفريقيا الذين وهبهم الله حضور البديهة وسرعة إدراك الأمور ، كان يسمى الشيخ عمر ، ولعمق علمه، ورجاحة عقله ،ذاعت شهرته وأخباره فى كل البلاد المجاورة لمدينته ؛ لذلك أخذ كثير من الناس يغدون إليه من البلاد المجاورة طلبا للعلم على يديه ، ولم يمض وقت طويل حتى صار عدد المريدين يزداد يوما بعد يوم وضاقت المدينة الصغيرة بهم ، وصار من العسير على الوافدين الجدد العثور على المنازل التى ينزلون فيها ، فكان عليهم أن يبحثوا عن منازل لهم فى القرى المجاورة لمدينة روتا " .

لم يحدث مرة واحدة أن لاحظ أحد الطلاب الذين يتلقون العلم على يد الشيخ عمر أنه غضب مرة ، ولم يسمعوا منه مرة واحدة منذ أن وفدوا عليه أنه قال لهم إننى متعب اليوم ، حتى ولو بدا عليه الإعياء من كثرة العمل لا تقعده الآلام ، لقد كان الشيخ عمر رجلا فريدا، لا مثيل له فى أى مكان آخر ، وكان إذا أصابته مصيبة لا يقول إلا " إنا لله وإنا إليه راجعون " لا يغضب مطلقا فقد كان طلق الوجه دائما ، ولا يتدخل مطلقا فى

أمر لا يعنيه ، ولا يجادل أحدا بالباطل ، بل إنه لم يكن يحب الجدال ، لذلك لم تنشأ بينه وبين أى إنسان أية مشكلة ، لكل ذلك أخذ كثير من الناس يقولون إنه من أولياء الله الصالحين .

وذات يوم بعد أن ألقى الشيخ عمر دروسه على طلابه بعد العصر . جلسوا يتحدثون في أمور الحياة الدنيا؛ فسأله أحد تلاميذه قائلا " يا معلمى إنى أريد أن أسألك سؤالا ، ولكنى أخشى فى نفسى أن تظن أننى أريد أن أجرح مشاعرك بهذا السؤال " فرد عليه الشيخ عمر قائلا : " إن قلبى لا يغضب أبدا من أى سؤال الإنسان لا يحيط بكل شىء علما ، فاسأل عن كل ما تريد معرفته ولا تخش شيئا فى نفسك ، وأرجو من الله أن يعيننى على ما تسألنى عنه " .

قال الطالب : " مغفرة يا سيدى ، إن ما أريد معرفته عنك أمرين اثنين ، الأمر الأول أن تخبرنى من أية بلدة جئت ، وأن تحدثنى عن أخبار مدينتكم ، أكل أهل هذه المدينة علماء مثلك ؟ لأن علمك الغزير لا يثير دهشتى وحدى بل كل إنسان فى دهشة من أمرك ، الأمر الثانى أريد أن تحدثنى عن أصلك ؛ لأننى أراك لا تشبه أهل مدينتنا، فأنت تتحدث اللغة العربية بطلاقة العرب فرد قائلا: " الحقيقة أنك سألتنى سؤالين لهما أهميتهما وسأجيبك عنهما إجابة صريحة ، ولكنها ستكون طويلة ومثيرة لدهشة وشفقة كل من يسمعها ، وسأحاول الآن أن أقص عليك قصة مدينتنا وأصلى والأسفار التى قمت بها والصعاب التى واجهتها .. قبل أن أصل إلى مدينتكم " .

أنا رجل من كاجرا :

قال الشيخ عمر: لقد كنت أحد أبناء هذه المدينة ، ومع ذلك لم أشب وأترعرع فيها ، فقد نشأت في إحدى البلاد العربيـة ، وإن كنت في الأصل من بلدة بالقرب من مدينة " بيد " تعرف باسـم " كاجرا " . كان والدى رجلا متوسط القامة صناعته رتق الأحذية وأمي امرأة من فاتيكا " توفى والدى وأنا جنين فى بطن أمـى ، وترك لى من الميراث ست بقرات وثلاث نعجات وفرسته التى كان يركبها ، وكانت حاملا فى هذا الوقت ، وقـد سـلم هـذا الميراث إلى يد أمى ، وطلب منها أن تحتفظ بهذه الفرسة حتـى تلد بإذن الله لأنها ميراث مولودها ، وأن زوجها ليس له أقـارب يرثونه .

ومرت الأيام ووالدتى على حالها حتى ولدتنـى ، وعندمـا حان موعد تسميتى أمرت بشاه مما ورثت وذبحتـها، وأطلـق علي اسم عمر ، ومرت الأيام وبلغت من العمر عامين ، وحـان موعد الفطام ، فأخذتنى جدتى لأبى لتفطمنى ، ومكثـت معـها حتى حان الوقت الذى طلبت فيه والدتى للزواج ، فقالت والدتـى لجدتى: " إنك تعلمين أنه ليس لى أخ فى هذه المدينة ، وليس لى إلا أنت وهذا الغلام الصغير ، والآن أريد أن أتزوج ، وها هـم يطلبوننى للزواج،عددهم يزيد يوما بعد يوم ، ويقولون لابد مـن

عقد الزواج على من أفضل منهم ، وقد جئت الآن لمشـــورتك، فلان وفلان يطلبوننى ، ولكنى حتى الآن لم أستقر على رأى . أريد أن أستمع إلى رأيك ، ومنهم أيضا أحد رجال حاشية الأمير والمقربين إليه تماما ، وهو "ماكو" " Makau .

وعندما سمعت جدتى اسم " ماكو " من بين الطالبين قالت " يا ابنتى لقد كتب الله لك السعادة إذا أخذتى بنصيحتى ، فليس مـــن بين الطالبين أفضل من ماكو زوجا ، فإننى أعرفــــه رجـــلا ذا حياء، عزيز النفس ، وستكونين سعيدة إذا جعله الله زوجا لك "، واستمعت والدتى إلى هذه النيصحة . وفى اليوم التـــــالى عقــد الزواج ، وحدد اليوم الذى ستزف فيه إلى زوجها ، وعندما حان الحين انتقلت والدتى إلى بيت زوجها وبقيت أنـــا مـــع جدتـــى، وبينما كنت أعيش معها فى هناء وسعادة أصابها مرض الموت، فلما شعرت أنه لا مفر من هذا المرض إلا الموت بعثـــت إلـــى والدتى ، فلما جاءت أخذت توصيها قائلة: " أنت تريـــن أنـــه لا يبدو أننى سأعافى من هذا المرض ، لذلك أريد أن تأخذى معـك هذا الغلام الصغير وتذهبى به إلى منزلك لأننى لا أريـد أن أراه مطلقا وهو يبكى ، فإننى أزداد ألما لبكائه " . قالت والدتى: " لك ما تريدين "

وبعـــد أن خرجت بوقت قليل توفيت جدتى فاجتمع الكثيرون من أهل المدينة وصلوا عليها صلاة الجنـــازة، ونقلوهـــا إلـــى مقرها الأخير .

وبعد انتهاء هذا الأمر ، مرت أيام وأنا أعيش فى سعادة مع والدتى فى منزل زوجها " ماكو " .

وذات يوم استدعى الأمير كل رجال الحاشية ، فلما اجتمعوا قال لهم: " أمر واحد جعلنى أستدعيكم ، إنى أريد أن تستعدوا للذهاب للإغارة على قبيلة " حوارى " الوثنية ، فإننى فى حاجة شديدة إلى المال ، لذلك أريد أن تستعدوا بسرعة وتذهبوا لتعودوا إلى مسرعين" .

عندما سمع رجال الحاشية هذا الكلام من الأمير صاروا جميعا كالمجانين من شدة السرور ، لقد شعر الجميع بالسعادة وأخذوا يتصايحون قائلين: " لقد كنا نتمنى ذلك من قبل فما بالك عندما تأمرنا به " ، وسبب سعادتهم هو أنه عندما يقومون بهذه الإغارة سيسلبون كثيرا من الدواب والعبيد ، وعندما يعود سيجعل الأمير لكل منهم ربع ما سلب وربما إذا اقتنص أحدهم ثلاثة عبيد أخذ الأمير عبدين وترك للقانص الثالث . وسبب هذه الإغارة التى أمر بها الأمير حاجته الشديدة إلى الحصول على بعض العبيد الذين يضمهم إلى ما لديه ويبعث بهم إلى مدينة "كانو" ليباعوا فى سوق الرقيق ، ويشترى بثمنهم بعض الملابس وأدوات الزينة لحصانه ، ويرسل البعض الآخر إلى مدينة "بيدا " لشراء بعض البنادق ، وكان من بين الفرسان الذين اختارهم الأمير لهذه الإغارة ماكو .

وعندما حان وقت رحيلهم وطلب الأمير أحد العلماء ليدع لهم بالتوفيق والنصر عاد ماكو إلى منزله وجمع كل أهلـــــه وقـــال لهم:"تعلمون الآن أننى ذاهب فى إغارة على بلدة "حـــوارى" ولا أعرف متى سأعود ، وربما قتلت هناك ، الله أعلم ، لذلك أريـــد أن أستودعكم الله ، وأن تعفو عما أذنبت فى حقكم جميعا " فـــرد عليه أولاده جميعا فى وقت واحد " والله تالله لم يحدث منك شىء يكدر نفوسنا ، ونرجو أن تذهب بالسلامة وتعود بالســــلامة " ، وانفجرنا جميعا فى البكاء ، ولم يشعر أحدنا بأخيه ...

استعد كل الذاهبين إلى هذه الإغارة ، وفى الصباح البـــــاكر خرجوا مباشرة إلى قبيلة جوارى ، وأوغلوا فى الســـــير حتـــى وصلوا إلى قرية صغيرة من قرى الوثنيين فى سفح جبل الغابة، وعند وصولهم إلى هذا المكان نزلوا جميعا من فـــــوق ظـــهور خيولهم ، ورقدوا أسفل شجرة ضخمة مورقة حيث لا يســـــتطيع أحد أن يراهم ، وفى هذا الوقت أخذت الأمطار تهطل بغـــــزارة حيث يخرج بعدها كل المزارعين لرعاية مزارعهم ولا يـــزرع هؤلاء الوثنيون أى محصول طوال العام يمكن أن يغل عليـــــهم الخير إلا فى هذه الأيام . لذلك خرجـــوا جميعـــا مـــن مدنـــهم وتوجهوا إلى حقولهم وأخذوا يصلحون مزارعهم فى العـــراء . ومع ذلك لا يستطيعون العمل فى أمان فهم فى خشية دائمة مـــن المغيرين.

عندما وصل المغيرون إلى هذه القرية اختبأوا عند حافة المزرعة، وفى الصباح الباكر بدأ الوثنيون يخرجون من قراهم ويذهبون إلى مزارعهم بينما المغيرون راقدين على الأرض لا يتحركون يراقبون كل ما يجرى فى المزرعة ، وانتظروا حتى خرج كل سكان القرية ، خرج المزارعون جميعا وأخذوا يشتغلون فى مزارعهم بجد وهم يحسبون أنهم فى مأمن من المغيرين ولن يصيبهم أى سوء ، إلا أن المغيرين هجموا عليهم مرة واحدة وأخذوا يقتنصون النساء والرجال والأطفال الصغار، وقبل أن ينتبه الوثنيون كان المغيرون قد بدأوا بالهجوم عليهم ، وفى الحال بدأ الوثنيون يخرجون استعدادا للقتال لتخليص إخوانهم الذين أسروا ، ولكن قبل أن يستعدوا كان المغيرون قد لاذوا بالفرار فتعقبوهم ولكن انعدم الأمل فى اللحاق بهم ، وأرهق الوثنيون خيولهم وأصبح المغيرون أثرا بعد عين .

الإيقاع بين الأمير وماكو :

عندما رأى المغيرون أنهم نجوا ، اتخذوا الطريق المباشر ليضللوا الوثنيين الذين يعتقدون أنهم سيغيرون الطريق حتى لا يلحقوا بهم ، وعندما اتخذوا طريقهم المباشر أخذوا يسرعون فى السير وكل يقول لرفيقه " الوداع " وأوغلوا فى سيرهم حتى شاء الله أن يصلوا إلى بلدهم سالمين، وعندما وصلوا إلى المدينة اتخذ كل منهم طريقه إلى قصر الأمير بما حصل عليه من غنائم أثناء هذه الغارة ، وقد كانت أسلاب كل منهم تتراوح من عبدين إلى ثلاثة عبيد ، ومنهم من حصل على أربع عنزات ، وقدم كل منهم ما حصل عليه إلى الأمير إلا ماكو وحده الذى لم يأخذ طريقه إلى قصر الأمير عند عودته ، ولكنه قصد منزله ولم يكن يعنى شيئا من وراء ذلك .

وعندما حضر الجميع بين يدى الأمير وقدم كل منهم ما غنمه حينئذ قال الأمير " عجبا أين ماكو ؟ هل قتل هناك وأنتم تخفون عنى الأمر ؟ " فرد الناس جميعا قائلين: " لا .. أطال الله حياة الأمير، إنك تعرف أخلاق الناس فى هذه الأيام ، لقد كنا نكظم غيظنا من قبل فقط عندما رأينا أنك اتخذته من المقربين إليك أحسسنا بما سينتهى إليه الأمر لأننا نعرف أن كل من أمن له الناس وخانهم لابد أن يفضحه الله على أعينهم ، فما بالك أنت

وماكو الذى أسلمت إليه كل شئونك !!! فليسمح لنا الأمير أن نقص عليه كل شيء . فى هذه المدينة لا تجدمن يخون أمانتك مثله ، أن ماكو يكشف أسرارك بين أفراد الشعب الذين يعصونك ويتكبرون عليك الآن، ولا يوجد سر من أسرار تطلعه عليه حتى يذيعه بين الناس ، وهو منذ أن خرجنا لهذه الغارة حتى عدنا ، وعبد الله هذا لا يكف عن لومك حتى إن رئيس الحرس غضب واستل السيف وكاد أن يقطع عنقه ، إلا أن الفرسان هدأوا من روعه ، وهذا هو السر فى عدم رؤيتك له بيننا ، لقد ذهب إلى بيته بأربعة عبيد اقتنصهم ، منهم غلامان صغيران ، وفتاتان ولكن إحداهما تجاوزت المثل فى الجمال ، ولكننا لا نعرف ما سيقدمه إليك ".

عندما سمع الأمير هذا الكلام قال: " حقا ولكن ماكو عمل خيرا " وبعد قليل أقبل ماكو بالعبدين اللذين اقتنصهما ، جاء بهما مختالا ، ولم يدر ما قاله رفاقه من وشايات ، هذان العبدان اللذان أقبل بهما هما فى الواقع كل ما حصل عليه من الغنائم ، وأن اقتناصه لأربعة من العبيد أكذوبة من صنع أعدائه ، ولما اقترب ماكو من بوابة قصر الأمير رأى من بعيد الأمير يجلس فى الخارج بين رجال الحاشية ؛ فلما رأوه أخذوا يقولون ها هو ماكو قادم بعبدين فقط لقد أخفى الاثنين الآخرين

ولما وصل حيث يجلس الأمير ركع وأى له التحية إلا أن الأمير لم يرد عليه التحية ، ولم يعره أحد من الحاضرين أى

اهتمام ، وتجاهلوه جميعا ، وأخذ كل منهم يحدق فيه بعينيه وقد ملأ السرور قلوب أعدائه حتى فاض على وجوههم ، وبعد مضى وقت قصير قال الأمير: " ماكو هل وصلت الآن فقط ؟ " فرد عليه قائلا: " لا ، أطال الله حياة الأمير، لقد ذهبت إلى بيتى لربط حصانى وأغير ثيابى ثم أحضر إليك "، حينئذ قال الأمير حسنا .. "كم عبدا اقتنصت ؟" قال ماكو " عبدين " قال الأمير " أحقا غنمت عبدين اثنين فقط ، هل توافق إذا فتشت ووجدت أنك لم تحصل على عبدين اثنين فقط أن أفعل بك ما أريد ؟ " ، قال ماكو " والله أوافق " . وعندما انتهى هذا الكلام استدعى الأمير رئيس الحرس وسأله قائلا "كم عبدا حصل عليه ماكو من هذه الغارة ؟ " لقد كان رئيس الحرس يتمنى وقوع هذا الحدث من قبل ولذلك بادر بالقول " أربعة عبيد ، ولكنه وصل بعبدين فقط إلى هذه المدينة ؛ لأنه باع عبدين فى الطريق لإحدى القوافل المتجهة إلى مدينة كانو ، الذاهبة لنقل الدخن المتجهة إلى بوتشى " ، قال الأمير " حسنا أسمعت يا ماكو ؟ " فرد عليه ماكو قائلا " أطال الله حياة الأمير ، ليس لدى الآن ما أقوله ؛ لأن هؤلاء الناس سبقونى وأفسدوا الأمر بيننا ، ولم يبق شىء أقوله لك ترض به " .

تفتيش منزل ماكو :

غضب الأمير وغضب المجلس ، وأمر رجال الحاشية بالذهاب إلى منزل ماكو وتفتيشه والاستيلاء على كل ما فيه ولا يتركون له شيئا مهما كان صغيرا .

ذهب رجال الحاشية وصادروا المنزل تماما حتى العشب الذى تسقف به الحجرات استولوا عليه جميعا، وكان له بعض البقرات فى قرية صغيرة قريبة بعثوا فى الحال بأحد رجال الحاشية فذهب إلى القرية واستولى عليها، وعندما ذهبوا للاستيلاء على الأبقار استولوا على أبقارى وشويهاتى ، وفرستى وابنها التى ورثتها عن والدى، بعد الاستيلاء على كل هذه الأشياء جمعت كلها وقدمت إلى الأمير، وعندما وضعت بين يديه تقدم ماكو وقال له " أطال الله حياة الأمير يوجد بين هذه الأشياء ما هو ليس ملكا لى مثل هذه الفرسة وابنها والشويهات وبعض هذه الأبقار، هذه الأشياء تخص الغلام اليتيم الذى تزوجت والدته، وكل ما أرجوه أن تخرج هذه الأشياء الخاصة بهذا اليتيم لأردها عليه "، عند سماع هذا الكلام تمتم كل رجال الحاشية قائلين " أسمعتم لقد بدأ يردد الأكاذيب التى تعود على ترديدها، من أين وجدت ثروة اليتيم حتى تقول إنها لديك حفظ الله الأمير إنه يكذب، إن ثروة هذا اليتيم التى يتحدث عنها

ليست لديه بل هى طرف والدة الغلام فهى تعرف أيـــن تحفــظ ثروتها "، وفى هذا الوقت كنت غلامـــا صغـيرا لا أدرك ولا أعرف ما يجرى من حولى إلا أننى أتذكر أنه عنـــد مصـــادرة منزلنا رأيت والدي يبكيان ـ وفى الحال اقتنع الأمير بما قالــه رجاله ولم يجر أى بحث لمعرفة الحقيقة .

وبعد أن انتهت الجلسة قال لماكو " حسنا أرأيت هذا الجـزاء الذى لقيته من الله لخيانتك لأمانتى بعد أن أمنت لك ؟ والآن لـن أقول لك شيئا ، فما حدث لك يكفينى، وبعد ذلك، بما أننى أمـير هذه المدينة فلن أرضى لك بالإقامة فيها، فسأطردك الآن منـــها وتخرج إلى حيث لا يصل سلطانى، وحتى الآن لن أمنعك مـن السفر بأهلك وكل امرأة من نسائك إذا أردت فتتبعك أو تخرجـا معا وإذا لم تكن تريدك فيجب أن تتركها " قال ماكو " أطـال الله حياة الأمير ، سمعا وطاعة، ولكن أتوسل إليك بعظمة ملكـك أن تتركنى أياما قلائل هنا لأحصل على الزاد القليل الذى ســأقتات به أثناء الطريق لأنك تعلم أننى سأذهب الآن إلى حيث لا أعلم"؛ فرفع الأمير رأسه مدة وجيزة ثم رد على ماكو قائلا "إنه موافـق ولكن أربعة أيام فقط سيسمح له بها ليستعد لهذه الرحلة ، شــكر ماكو الأمير وقام وذهب إلى منزله وجمع أولاده جميعا صغـيرا وكبيرا ورجالا ونساء وقال لنا " حسنا رأيتم كيف قدر الله لـــى هذا الأمر ، لقد أمرنى الأمير أن أرحل عن إمارته، ولكنه سمح لى أن أذهب بالنساء اللاتى يردن اللحاق بى من زوجاتى وبعـد ذلك قال: قبل أربعة أيام يجب أن أترك هذه المدينة ، وما أريـده

الآن آنه من منكن تجد فى نفسها الطاقة على تحمل الحياة معـــى فلتتبعنـى".انفجر كل أهلى فى البكاء فى وقت واحد ، وقلنـــا والله تالله لن تذهب إلى بلد آخر ـــ حتى لو ذهبت إلى الدار الآخرة ـــ إلا ذهبنا معك.وسألنا ماكو ثلاث أســـئلة تســـتوجبها الشـــريعة الإسلامية فلم يختلف أحدنا فى الإجابة عنها عن الآخر .

إخراج ماكو من المدينة :

بعد أن فعل ماكو ذلك مع أهل بيته خرج إلى ردهة منزله وجلس يفكر فى المدينة التى سيذهب إليها، وأخذ كثير من الناس وأصدقائه وغيرهم يفدون إليه لمواساته لما أصابه من حزن شديد ، وكان أكثر هؤلاء إذا جاء انهمر فى البكاء وبعضهم يأتى ببعض المال ويقدمه إليه قائلا له : " إليك هذا الشىء البسيط ربما تحتاج أن تشرب ماء فى الطريق "، وعندما حان المغرب قام ماكو وتوضأ وصلى ، وكان هذا اليوم الذى تصنع والدتى فيه الثريد ، وبعد أن انتهى الجميع من الحديث دخل ماكو المنزل لينام ومر على حجرة والدتى فوجدها تبكى بصورة لم يسبق لها مثيل، فلما رأى ذلك قال لها هذا الأمر لا يحله البكاء فقد تجاوز حد البكاء ، وطالما أنك امرأة مسلمة يجب أن تتذكرى أن كل ما يصيب الإنسان فى هذه الحياة بقضاء الله وقدره، لذلك الأفضل لنا جميعا أن نتوكل على الله الذى يفعل كل ما يريد ، فردت عليه أمى قائلة حسنا يا ماكو ، ماذا يمنعنى من البكاء فى هذه الحياة ؟ فكل هذه المدينة على سعتها ليس لى فيها قريب من ناحية الأم ولا الأب ، وباستثناء هذا اليتيم الصغير ليس لى أحد إلا أنت الذى جمعنى الله بك، بعد هذا ما أفكر فيه الآن هو هذا الشر الذى أصابك لأن ما يمس حياتك فى هذه

الدنيا يمس حياتى أيضا ، ولكن أهم ما أفكر فيه هو هذا الطفل فقد احترت ماذا أفعل معه ، لقد كنت أنتظر حتى تعود من هذه الإغارة وأطلب منك الإذن لأذهب إلى مدينتنا لأرى أهلى ، ثم أعود ، وها هو ما حدث .

عندما سمع ماكو هذا الكلام أطرق برأسه وأخذ يفكر تفكيرا عميقا وبعد وقت قصير رد عليها قائلا حقيقة أنك تكتمين فى نفسك أمورا محزنة ، ولكن طالما الأمر كذلك فالله قادر على كل شيء جففى دموعك ، لا راد لقضاء الله، ولكن بخصوص هذا الموضوع الذى تحدثتى عنه والذهاب لزيارة والدتك سأقدم إليك نصيحة واحدة ، الآن طالما أصبح الأمر هكذا والحال الذى وصلنا إليه ولا أعرف أية مدينة معرفة جيدة أستطيع الإقامة فيها لذلك فقد سمحت لك بالذهاب لزيارة أهلك .

وعندما أجد مكانا مناسبا أستقر فيه سأبعث إليك لتلحقى بى هناك ، وهذا الولد طالما أنك لا تستطيعين الذهاب به ، يجب أن تتركيه هنا ، لدى رجل أمين ، حتى تذهبى وتعودى وتأخذيه ".

قالت الأم " وهو كذلك " .

ومرت الأيام وحان وقت الموعد الذى حدده الأمير ، ومنذ الصباح الباكر بعث الأمير من يخبره بأن اليوم حان الموعد ، وعليه أن يستعد وينتظر رسوله ، الذى سيصحبه ليخرجه خارج الحدود ، وقبل أن يحين وقت الصباح الباكر ، بادر ماكو

بالاستعداد التام ولكن رسول الأمير لم يأتـــــه إلا بعــد صـــلاة العصر، وكان ماكو جالسا يتفحص الطريق ، وبعـــــد فـــترة إذا بحارس الأمير يصطحب شخصا آخر يسمى سنتيلى ، يصـــلان على ظهر حصانيهما؛ فلما وصلا إليه قال له " لا بأس ، هيـــا بسم الله " ، قام ماكو فسألاه عن الجهة التى يريد أن يخرج منها فقـــال " الجهة المقابلة لمدينة زاريا " .

فقالا " هيا أمامنا "

وجعلاه أمامهما وأخذا يحثانه على السير حتى وصلوا إلـــى الحدود ، وهنا تركاه ، فى مكان لم يصل إليه منـــذ خلقـــه الله ، فقالا له " الآن عليك أن تعرف وجهتك ، فقد أمرنا الأمـــير أن نتوقف هنا " ، وهنا سنتركك ، لعلك تموت ، أو يقتنصك تجـــار الرقيق ، هذا لا يهمنا ".

قال ماكو " وهو كذلك ، إذا وصلتما فبلغا الأمير شـــكرى ، وأسأل الله أن يقيكما شر الطريق ، آمين ".

ماكو يلتقى بصياد :

عندما تركاه بحث عن شجرة كبيرة وجلس تحتـــها يفكـــر ، ويسأل الله ورسوله ، حتى يئس ، ولما رفع رأسه رأى صيـــادا يتجول ، ويحمل على كتفه جراب السهام ، وقد حـــان العصـــر والظمأ يكاد يقتله ، فلما رآه الصياد اتجه نحوه ، فرآه قد وضـــع رأسه بين ركبتيه ، فلما وصل إليه ألقى عليه الســـلام ، فرفـــع رأسه ورد السلام .وبعد أن تبادلا التحية قال الصياد لماكو " أنت يا عبد الله من أين جئت ؟ وما سبب حضورك إلى هذا المكـــان فى هذا الوقت ؟ لعلك ذهبت لاقتناص الرقيق وغابت الشـــمس فهمت على وجهك فى الغابة " قال ماكو " سبب حضورى إلـــى هذا المكان " ، فقدم الصياد إلى ماكو الماء وبعد أن شرب بوقت قصير وهدأت نفسه قال الصياد " الحمد لله أشكرك جـــزاك الله خيرا على ما قدمت لى من مساعدة ، سبب حضورى إلى هنـــا هو كذا وكذا " .

عندما سمع الصياد هذه القصة تعجب وقال " حقيقة ما قـــدر الله يكون ، المؤمن فى هذه الحياة لن يضل أبدا " . قال مـــاكو " وما سبب هذا الكلام ؟ " فرد الصياد قائلا " نعم لو قـــدر الله أن تلتقى بواحد من رفاقى وليس بى لصرت الآن عبدا ، وإذا كـــان هذا الشر أصابك لأنك صدقت القول ، فقد لطف الله بك وأرجـــو

أن يمدنا بمزيد من رحمته ، ويساعدنا فـــى كــل مـــا نعمـــل، وينصرنا على أعدائنا ، والآن إلى أى مدينة ستتوجه " .

قال ماكو " إننى أريد أن أذهب إلى قرية صغيرة تقـــع بيـــن مدينى زاريا وكانو لأقيم فيها ، ولكن هذه القرية التـــى أريدهـــا لابد أن تكون أرضها خصبة حتى أستطيع زراعتـــها ؛ لأننـــى عندما أجد المسكن الذى أنزل فيه وأبنى منزلا صغيرا ســـأبعث إلى أولادى ليلحقوا بى .

السكن فى قرية مقرفى :

قال الصياد " لابد أن تتخير المكان الذى ستزرعه جيدا ، وطالما أن الأمر كذلك فسأقدم إليك نصيحة بسيطة ، أرجو أن تعمل بها ، هناك قرية صغيرة تسمى "مقرفى" تقع على مقربة من مدينة زاريا على طريق مدينة كانو ، لأهل هذه المدينة شهرة واسعة فى حرفة الزراعة والزراعة هناك تدر ربحا وفيرا وخيراتها دائما كثيرا ، وأعتقد أنه من الأفضل لك أن تذهب إلى هذا المكان وتستقر فيه ، وسترى أنه لن يضايقك أحد هناك ، فلا يوجد بين أهل هذه القرية من يتدخل فى شئون أخيه ، لأن كل منهم لديه من الخير الكثير . فالحقد والبغضاء لا ينموان حيث يوجد الرخاء ، ولكن حيث ينتشر الفقر والفاقة " .

حنى ماكو رأسه للصياد شاكرا ، ثم رفعها قائلا: والله سأعمل بكل ما نصحتنى به ، لأننى أحسست بحبك لى ، وبقى سؤال واحد عن الأمر الذى ينجينى من شر الطريق الذى سأسلكه قبل أن أصل إلى قرية " مقرفى " فأحضر الصياد سلسلة تتدلى منها إحدى التمائم وقدمها إليه ، وقال له هذا الشىء الذى سأساعدك به وأرجو أن تصل سالما ، ويحفظك الله من الضلال " ، ثم ودعا بعضهما ، وافترقا ، واتخذ كل منهما طريقه ، وعينه تفيض من الدمع .

ماكو يذهب إلى زاريا :

ثم هب ماكو واقفا بعد أن ودع الصياد ، وانتظر برهة حيث وقف لأنه لا يعرف الطريق الذى سيسلكه إلى مدينة زاريا ، ولما لاحظ الصياد ذلك عاد وأخذ يده وأخذا يسيران معا حتى وصلا إلى غابة بالقرب من قرية صغيرة، وعندما وصلا إلى هذا المكان قال له الصياد، أترى هذه القرية الصغيرة التى أمامنا ستسلك هذا السبيل ولا تحاول أن تدخل هذه القرية لأنك لو دخلتها ربما لا تخرج منها أبدا، والأفضل أن تتخذها جانبا وتمضى فى سبيلك وعندما تمر عليها لا تسلك الجانب الشمالى ؛ لأن فى الشمال من هذه المدينة توجد مزرعة لأحد السحرة المهرة ، كل غريب أو عابر سبيل أو عبد هارب من إحدى القرى لا مفر من الدخول إلى هذه المزرعة، حيث يقتنصه الساحر الذى لا يفارق مزرعته أبدا ، وإذا رأى شخصا توقف بالقرب من المزرعة وأخذ يتلفت حوله جاء وأمسكه وجعله من عبيده".

وقال ماكو " سمعا وطاعة " ثم ودعا بعضهما مرة أخرى فى هذا المكان ، وواصل ماكو السير وعاد الصياد إلى حيث التقى بماكو ، أخذ ماكو سبيله حتى وصل إلى هذه المدينة، فلما بلغها

لم يحاول الدخول فيها ، وعمل بكل ما قاله الصياد . فمنـــذ أن سار فى الطريق لم يلتفت ليرى المدينة حتى تأكد أنه أصبح على مسافة بعيدة منها. ولما أحس أنه نجا من هذه المدينة جلس تحت شجرة وارفة الظلال ليستريح ويأكل بعض الطعام ، ولـــم يكـد يسترح قليلا حتى سمع وقع خطى الخيل عـــن يمينـــه، وســـمع حديث فرسانها ، كل يقص على رفاقه ما فعله عندمـــا خـــرج للإغارة على بعض الأماكن، وعند سماع ماكو ذلك صعد إلـــى أعلى الشجرة التى يجلس تحتها واختفى بين أغصانها ، وعندمـا وصلوا إلى حيث يختفى ماكو، قال أحدهم أرأيتم هـــذا المكـــان الذى تنازعنا فيه مرة مع فلان وفلان عندما كنا عـــائدين مـــن الإغارة، ولم نقتنص فى هذا اليوم إلا غلاما صغيرا لم يتجـــاوز عمره سبع سنوات ، وقد كنا ثلاثة فرسان عندما وصلنا إلى هذا المكان ، جلسنا لنستريح فقال أحدنا "حسنا والآن ما العمل مـــع هذا الغلام ؟ كيف سيأخذ كل منا أجر ما عاناه من المتاعب فـــى إقتناصه.

وما كدنا نسمع هذا القول حتى هب من فى حوزتـــه الغـــلام قائلا يا فلان ماذا تقصد من قولك هذا الكلام السخيف، عجبا هل هو دجاجة؟ كيف تقول إنك تريد نصيبك من جسد هذا الغلام مع أننى أنا الذى تعبت كثيرا حتى اقتنصته وحدى، وما منعـــك أن تصيد لك عبدا، ولما سمع ذلك الكلام شخص آخر استل ســـيفه فى لمح البصر وقال الآن سوف أثبت لك أن هذا الغـــلام ليـــس ملكا لك وحدك، ولما استل سيفه لم يغمـــده حتـــى قطـــع رأس

الغلام، فقال لسيده حسنا لقد قلت إنك أنت الذى اقتنصته فخذ الجسد جزاء على ما عانيت من تعب، ونحن تكفينا الرأس"، بعد ما انتهى هؤلاء الناس من هذا الحديث ونالوا قسطا من الراحة قاموا وامتطى كل منهم صهوة جواده واتخذوا طريقهم مسرعين، فلما رأى ماكو أنهم ابتعدوا عنه نزل من مكمنه، فوجد شيئا تحت الشجرة فالتقطه وإذا به حقيبة لأحد هؤلاء الرجال قد سقطت منه على الأرض وليس بها إلا بعض الدراهم، فأخذها وسار فى طريقه مقتفيا آثارهم يوما كاملا ، ولم يجلس للراحة أو تناول أى طعام .

ماكـــو يـــرى ســـور المدينـــة :

وبينما هو يسير فى الطريق رأى على البعد ســـور المدينـــة أمامه مباشرة حيث سبقه هؤلاء الرجال ودخلوها؛ فاستمر ماكو فى السير حتى وصل إلى البوابة فاخترقها وقال لحارس البوابـة "يا سيدى أى مدينة هذه " ؟ قال حارس البوابة " مدينة زاريا يـا صديقى " ، وعند ذلك تنهد ماكو وقال " الحمد لله اللـــهم أنـت الرازق " ، وهنا لم يتحرك من مكانه إلا بعد أن توثقت الصداقة بينه وبين حارس البوابة حتى قال له الحارس " لقـــد ســـررت كثيرا برؤيتك لابد أن تنزل علي ضيفا " فرح ماكو ونزل فـــى منزل حارس البوابة ، وعندما أقبل الليل تناولا الطعـــام معـا، وبعد أن أنتهيا غسلا يديهما وأخذا يتحدثان فى شـــئون الحيـاة الدنيا، وقص ماكو على الحارس كل ما أصابه من مصـــائب ، سأله الحارس " والآن إلى أين تنوى السير؟" قال مـــاكو " لقـد سمعت عن قرية صغيرة بالقرب من هنا اسمها مقرفى ، أريـــد أن أذهب إلى هناك لعلى أستطيع الإقامة فيها ، لأننـــى ســمعت عن أرضها الخصبة ، ويمكن زراعتها " .

قال حارس البوابة " الحمد لله أن لى أخا فى هذه القرية اسمه " تنيمو " عندما تنوى الرحيل أعطيك رسالة إليه ، ولمـــا طلـــع النهار ذهب ماكو إلى حارس البوابة وأخبره أنه سيرحل ، ولكنه

يريد أن يمده بغلام ليذهب معه إلى السوق ليشترى بعض الأدوات ، فبعث معه حارس المدينة خادمه ، وذهبا معا واشترى ماكو فأسا ذات يد قصيرة ، وأخرى ذات يد طويلة وبلطة وقدوم، ولما انتهى من شراء ما يحتاجه عاد إلى المنزل واستأذن من حارس البوابة الذى أحضر بعض الزاد وقدمه إليه ، وكتب رسالة إلى أخيه تنيمو يقول فيها " بعد التحية .. إليك هذا الرجل اسمه ماكو ، رجل طيب أبعثه إليك فأسأله عن قصته والسبب الذى دفعه إلى الخروج من موطنه ، لقد قال لى إنه يريد أن يجد مكانا يستقر فيه ليعمل بحرفة الزراعة ، أرجو أن تكرمه وتهتم به وتمنحه المزرعة والأرض التى يقيم عليها منزلا له ، لأن له أسرة ستلحق به بعد ذلك"

وعندما انتهى من كتابة الرسالة سلمها له فشكره ماكو شكرا كثيرا وودعا بعضهما ، واستدعى حارس البوابة خادمه ليريه الطريق ، اتخذ ماكو طريقه وأوغل فى السير حتى وصل إلى مقرفى فسأل عن منزل تنيمو حتى وصل إليه ، فدخل عليه وسلمه الرسالة ، فلما قرأها رحب به وأنزله فى منزله ، وقدم إليه الطعام ، وبعد أن انتهى من تناول الطعام قص عليه كل أخباره ، قال تنيمو " حسنا ، إن أحيانا الله إلى الغد ، سأريك المزرعة والمنزل الذى توفيت فيه والدتى هذه الأيام ؛ فإن وافقك أصلحه وأقم فيه .

ماكو يستدعى أسرته :

مكث ماكو زمنا فى مقرفى ، يزرع الأرض ويصلح منزله ، واشترى عبدين بماله الذى كسبه ، حتى بـدت عليـه مظـاهر النعمة ، وهدأت نفسه فذهب إلى تنيمو وقال له إنـه يريـد أن يبعث إلى أسرته لتحلق به ، قال له تنيمو إن هذا أمر مهم ، لأن عجوزا مثلك لا ينبغى أن يعيش بلا أسرة ، أن لدى خادما مـن كاجرا أسمه عيسى ، إذا لم تجد أحدا يحضرهم غيره فليذهـب ، وبعد مضى يومين أستعد ماكو لرحيل عيسـى فاشـترى ثوبـا جميلا من تنيمو ولفه فى قطعة من القماش وأعطـاه لعيسـى ، وطلب منه أن يحمله إلى أمير كاجرا ، كما أشترى بعض الهدايا من مدينة زاريا وطلب منه أن يحملها إلى بعض أصدقائه هناك، وأعطاه ثوبين لحمل أحدهما إلى رئيس الحرس والآخـر إلـى سنتيلى ، وأعطاه بعض المال ليشترى لنسـائه الطعـام أثنـاء الطريق ، وقال له من بين نسائى امرأة من " فاتيكـا " قبـل أن أرحل استأذنتنى فى الذهاب لتزور أهلها ، إذا وصلت ووجدتـها قد ذهبت فاترك بها رسالة بأن تسرع وتلحق بى مع أخواتها إلى هنا ، وتأتى بابنها اليتيم معها ، وأسأل الله أن تعود سالما .

ولما وصل عيسى قصد قصر الأمير مباشرة ، ودخل عليـه وقدم هدية ماكو ؛ وأخبره بحاجته إلى أسرته ، قال الأمير الحمد

لله ، وأمر الحاشية أن تأخذه إلى منزل ماكو ، لينزل فيه حتى تستعد الأسرة للرحيل ، فيرحلوا جميعا . ذهب عيسى إلى المنزل ونزل فيه ، وعندما أقبل العصر بعث إلى رئيس الحرس وستنيلى بهدايا ماكو كما بعث بالهدايا الأخرى إلى أصحابها ففرحوا بها جميعا ، وبعد أن انتهى عيسى من توزيعها دخل على أهل ماكو وأخبرهم بسبب حضوره ، فكادوا يطيرون فرحا ثم سألهم عيسى عن السيدة التى من أهل فاتيكا ، هل ذهبت لزيارة والديها ؟ قالت النسوة لا ، ها هى تنتظر رسالته ، قال لها ماكو يطلب منك أن تذهبى ، ولكن أسرعى والحقى به هناك، وعندما تذهبين إليه تأخذين معك أبنك، قالت لعيسى وهو كذلك إن شاء الله ، وأن يكتب لنا الحياة وأن نلتقى مرة أخرى .

قضت أسرة ماكو أربعة أيام تستعد للرحيل ، وفى اليوم الخامس ذهب عيسى واستأذن من الأمير ، وفى اليوم التالى رحلوا وتركونا أنا ووالدتى فى كاجرا ، وبعد أن رحلت الأسرة أخذت والدتى تستعد للسفر إلى فاتيكا ، وفى ليلة الرحيل أودعتنى لدى رجل من مدينةسكوتو اسمه بخارى ، الذى كان جارا لوالدى ، ومنذ الصباح رأيت والدتى تتنقل بين المنازل ، ولا أعتقد أنها فى هذا اليوم وضعت شيئا فى فمها، حتى الماء ، لأنها لم تستقر أبدا فى مكان واحد ؛ فقد كانت دائبة التنقل بين منازل صديقاتها حتى أقبل الليل ، وبعد أن انتهت من هذا التجول عادت إلى منزل بخارى ونامت وهى تبكى بكاء مؤلما ، ولم يكن شئ يهمنى فى هذا الوقت المبكر من العمر ، بل كنت

أشعر بالسرور لأننى سأجد فى منزل بخــــارى أقـــارابى مـــن الأطفال الذين سألهو معهم .

عمـــر يقـــع فى الـــرق :

بعد أن أقبل الليل وهدأت المدينة ، قامت والدتى وذهبت إلـــى منزل إحدى نساء بخارى اسمها أمينة التى أعيش فـــى بيتـــها ، وقالت لها " أمينة أريد أن أستودعك الله الآن ؛ لأننـــــى أنـــوى الرحيل قبل أذان الفجر ، فعليك أن تصبرى ، وأنت تعرفين حال الطفل الصغير إن لم يترك لينل كل ما يريد يبكـــى،وإذا تـــرك ليفعل كل ما يريد سيضره ذلك مستقبلا ؛ فعليـــك أن تنصحيـــه دائما، ولا تهتمى بما يقال إن هذا ليس ابنك ، والله لا فرق بينى وبينك ، فمنذ أن ألف الله بين قلوبنـــا ، ونحـــن نجتمـــع علـــى الإخلاص . قالت أمينة " إن كل ما تقولينه حـــق ، فـــأرجو أن يعينني الله على الوفاء به "، وجلستا بعد ذلك تتحدثان كثـــيرا ، حتى نمت أنا ومن فى دارها من الأطفال ، ثم غلبهم النوم بعـــد ذلك ، فقامت أمى وذهبت لتنام ، ولكن لم يلمس النـــوم عينـــها لشدة ما تعانى من التفكير فيما يمكن أن يحدث لها أثناء الطريـق قبل أن تصل إلى موطن والديها ، والخوف الذى تشعر به بسبب تركىفى مدينة ليس لى فيها قريب واحـــد مـــن طـــرف الأم أو الأب، وبينما هى مستغرقة فى التفكير العميق ســـمعت صيـــاح الديكة ، فقامت وتناولت متاعها ، وأخذت طريقها إلى فاتيكـــا ،

سبحان الله لقد سبق القدر التمنى ولم أرها مرة أخرى إلا بعـــــد أعوام طوال.

لص يسرقنى :

حدث كل هذا ولا علم لى ، ولم أشعر به لأننى لم أكن أتجاوز فى هذه السن المبكرة أربع سنوات ، ومنذ أن رحلت أمى من كاجرا لم أر شيئا تغير بالنسبة لى ، فقد كنت آكل وأشرب ما يطيب لى ، وها هم الأولاد الذين ألعب معهم كل يوم ولم تبد لى أمينة زوجة بخارى التى أعيش معها ما يسوءنى ، فكل ما أفعله ترضى به ، وإذا ارتكبت ذنبا عظيما كلما جاءت لتضربنى ورفعت يدها أعادتها قائلة " الله أكبر ولد غبى " ، ولم تكن تحب أن ابتعد عن المنزل ولو قليلا ، فكانت تحب أن نجلس دائما معا ، وإذا ابتعدت لألهو وألعب كما يفعل الأطفال كان يطير عقلها غضبا ، وتخرج طارقة كل المنازل التى تعودت أن ألهو مع أبنائها ، وتأتى بى .

وذات يوم اجتمعت مع عدد كبير من الأطفال على باب منزلنا نلهو ونلعب ، وكان عددنا تسعة أولاد ، وإذا بنا نرى رجلا ذا ثوب فضفاض وجيب كبير ، قادم إلينا فكففنا عن اللعب جميعا ، قائلين " كيف حالك يا والدى ؟ " فرد قائلا " هل رب هذا البيت بداخله ؟ " فرد عليه ولد منا متوسط القامة قائلا " لا " ذهب خارج المدينة ولكنه سيعود غدا ؛ فوقف هذا الرجل طويلا وأخذ يراقبنا ونحن نلعب ، وبعد فترة سألنا عن أسمائنا فذكر كل

منا اسمه ، فلما سمع اسمى رأيته وقف فجأة وأخذ يحـدق فـى وجهى ، وقد كنت أصغر هؤلاء الأطفال جميعا ، ولـم يمـض وقت طويل على وقفته حتى نادانى قائلا

- " كيف حالك يا عمر أتعرفني الآن ؟ أين أمك وأين أبوك؟ هيا لأذهب بك إلى والديك. فقلت وهو كذلك ، وفى الحال رأيتـه يضع يديه فى حقيبة صغيرة وأخرج بعـض اللحـم المشـوى وقطعتين من النقود وقدمها إلى . ما أدراك وحال الصغار ، لقد أخذتها وأنا أتلهف فأمسك يدى وأخذت أسير معه طويلا على أنه سيحملنى إلى أبى وأمى، وأخذت أسير معه بالنقود واللحم فـى يدى ، وأوغلنا فى السير حتى خرجنـا من المدينـة فرأيتـه يسحبنى وندخل ثغرة فى السور المحيط بالمدينة ، وأخذنا نسـير حتى شعرت بالتعب وأحسست أننى أريد أن أبكى ، فحملنى على كتفه وأمدنى بمزيد من اللحم .

سرنا كثيرا وأنا محمول على كتفه من الظهر حتـى قـرب غروب الشمس . أما بقية الأطفال الذين كنت ألهو معـهم فقـد أخذوا يبكون عندما أحسوا أنهم افتقدونى ، وهنـا سـمع أهـل منزلى فبعثوا الخادمة لتعرف سبب بكاء الأطفال ، فلما خرجـت وسألت الصغار عن سبب بكائهم أخبروها أن عمر قد ضاع ولا يرونه ، وقالوا لها إنه بينما كانوا يلعبون بالنهار رأوا رجـلا ذا ثوب فضفاض وجيبه كبير ، جاء وأخذنى على أنه سيحملنى إلى أمى وأبى ، وعندما سمعت الخادمة ذلك قالت لا حول ولا قـوة

إلا بالله وأخبرت سيدها ، ودخلت المنزل حيث تجلس الأسـرة لتخبرهم بما حدث ؛ فلما سمعت أمينة هذا انفجرت فى البكـاء وأخذت تقول هذا الأمر لا يحتمل ، لابد أن أحد اللصوص قـد سرق عمر ، بالله ماذا أفعل فى نفسى إذا عادت أمه ولم تجـده ، ماذا سأقول لها، ثم وقعت على الأرض ، وأخذت تبكى وتقلـب جسدها على التراب وتطلق صرخات عالية حتى سمعها سـكان المدينة ، وفى الحال انتشر الخبر فى أنحاء المدينـة، وقبـل أن تأتى العشاء كان أغلب الرجال قد خرجوا يبحثون عنى حـول المدينة، أما أنا وسارقى فلم نكن نعلم بما يجـرى خلفنـا مـن أحداث، ولما رأى الليل قد أقبل أنزلنى من فوق كتفه وأجلسـنى داخل كهف صغير فى بطن الجبل ، وأخرج لى من جيبه لحمًـا ونوعًا من الطعام مصنوع من الدقيق وعسل النحـل وقدمـهما إلىّ، وأحضر ماء وأعطاه لى لأشرب، وجلسنا فى الكهف ، ولم أعد أهتم بأى شىء طالما أن بطنى قد امتلأت بينما كان اللـص يهدف إلى أن أستريح قليلاً ثم نواصل السـير، وبينمـا نحـن جالسين يتناول اللص طعامه رأيته فجأة يسحب يده من الإنـاء ويكف عما يمضغه من الطعام ، وينصت مثل الحصان عندمـا يحس بشىء يتحرك ، ومكث مدة على هذا الحال ثم تسلل وركع على ركبتيه وأخذ يطل خارج الكهف ، وبعد قليل بدأت أسـمع حديث أناس إلى الشمال منا ، وهنا رأيته يضع يده فى حقيبـة ويخرج حجاباً ويضربنى به على رأسى ثم أخرج مديـة مـن غمدها وقال لى :

– " أرأيت هؤلاء الناس أنهم خرجوا يتجولون فـــى الغابـة ليمسكوا الأطفال ويأكلونهم ، ربما ترى أحدا تعرفه منهم حتـــى لو سمعته ينادى باسمك ، وإذا رددت عليه فثق أننــــى ســأقطع رقبتك بهذا السكين ، ثم سحبها وأرانيها ؛ فعندما نظرت إليـــها وجدتها تلمع فى ضوء القمر ؛ فأخذ كل جسدى يرتعد ، وفـــى الحال أصبت بإسهال شديد ، ولما اقترب هؤلاء الرجـــال مـن الكهف قال أحدهم " لا ينبغى أن نتجاوز هذا المكـــان ؛ لأننـى أعرف أن فى هذه الأماكن يوجـد كـــهف أمسـكنا فيـه أحـد اللصوص، وقد سرق طفلة فى يوم من الأيام ، يجب أن ندخـل هذا الكهف ونبحث فيه ، فإذا لم نجد فيه أحدًا مضينا " . لقد كنـا نسمع كل مـا يقال فأخذ اللص سكينا ووضعه على عنقى وقـال " إذا نطقت حرفًا أو قمت بأية حركة سأقطع عنقك دون تردد ".

بحثـــوا ولـــم يرونـــى :

كان هؤلاء الرجال قادمين يتحدثون حتى إذا وصلـــوا إلـــى مدخل الكهف الذى نجلس فيه، وعند وصولهم نادى أحدهم قـائلاً يا عمر يابن ماكو ، لأنه الاسم الذى كانت أمينة تنادينى بـــه ، وأخذ ينادى كثيرًا وأنا أسمع نداءه، ولكن لم يكن أمامى فرصـــة للرد عليه خوفا من السكين المسلط على عنقى ، أخذوا ينـــادون حتى تعبوا ولم يرد عليهم أحد ، ولم يطل أحد منهم فـــى هـذا الكهف أو يدخل فيه ، ثم عادوا إلى المدينة ، أما باقى الرجـــال فقد بحثوا فى الغابة ، ولم يروا أى أثر لى، ولما تعبوا هم أيضـا أخذوا طريقهم إلى المدينة وهم يقولون " إن أم هـــذا الطفـل إذا سمعت بهذا الخبر لابد أنها ستصاب بالجنون أو الموت"، وعندما وصل هؤلاء الرجال إلى المدينة وأخبروا أمينة أنهم لم يجدونى، انفجرت فى البكاء وأحاط الجميـــع بـــها وأخـــذوا يصبرونـــها ويواسونها ، فإن هذا ما قدره الله ، حتى جففت دموعها ودخلـت فى حجرتها ، ولكنها كانت كلما رأت الإنـــاء الخشـــبى الـــذى اعتادت أن تضع الطعام فيه والمكان الذى كنت أنام فيه أظلمـت الدنيا فى نظرها ، فتلقى بنفسها على السرير وتأخذ فى البكـــاء وحدها بكاء حارا ، ومنذ أن سرقت لم يهدأ لها بال حتى التقـــت بأمى فى مدينة فاتيكا .

الذئب يأكل اللص :

عندما عاد الباحثون عنى كان الليل قد انتهى ، فلما أحس اللص الذى سرقنى بأن الغابة قد هدأت قال لى " ألم تسترح الآن؟ فلنقم ونواصل السير "، ثم حملنى على كتفه وأخذ يسير بى فى الغابة حتى وصلنا إلى منزل صغير وسط إحدى المزارع، وكان الصبح قد انفلق فأنزلنى من فوق عنقه ، وقال إنه تعب وينبغى أن ندخل هذا المنزل لينام ، وجذبنى فدخلنا معًا ورقدنا ، ولم يمض وقت طويل حتى غلبه النوم ، أما أنا فلم أشعر بالنوم لأننى سبق أن نمت عندما حملنى على عنقه ، لقد تركنى خلفه عندما هم بالنوم ، فلما بدأ الشخير تملكنى الخوف فقمت ودخلت فى صندوق تركه أصحاب المزرعة فى حجرة فرقدت فيه ، ولم يمض وقت طويل حتى أخذت أسمع عواء ذئب خرج للصيد ، فلم يجد شيئًا حتى الصباح وكاد يعود إلى جحره حتى سمع شخير اللص ، فدار حول المنزل ، ولعلك تعرف الكوخ الكائن فى المزرعة لا يحيط به أى سور منيع ، ولا توجد أية حصيرة من العشب على باب الحجرة التى ننام فيها ، فلما جاء الذئب إلى باب الحجرة وقف يفكر هل يدخل أم يعود ، ولا سيما أن الشمس كادت تشرق إلا أنه تشجع ودخل برأسه فوجد رجلاً عند مدخل الباب .

فوقف عند رأسه ليعرف إذا كان حيًا أو ميتًا ، ثـم رأيتـه ينشب أسنانه فى حنجرة اللص ، وفى الحال ولا مشـقة رأيتـه يفصل رأسه عن جسده ، كما يمسك إنسان مقصًا ويقـص بـه ورقة نبات غض ، فعل الذئب كل هذا ولم يستيقظ الرجـل ، ولعلك تعرف حال الموت مهما كان نوع الحى عندمـا يمـوت تشعر بدفء جسمه . عندما هبت الريح على هذا الرجل حيـث ذبح رأيته قد بدأ يضرب برجليه حتى انتهى تمامًا وتأكد الذئـب أنه قد فارق الحياة ، فصل الرأس عن الجسد وحمله فوق ظـهره وقصد إلى الكهف الذى يعيش فيه وتركنى مع الرأس فى الكوخ.

طلع النهار وأشرقت الشمس فقمت وخرجـت مـن الكـوخ وذهبت إلى إحدى أشجار التمر الهندى فى المزرعـة وجلسـت تحتها أعبث ببعض الحصى ، وعند الضحى أخذت أبكى وأنادى بابا .. بابا ؛ فلم يرد علي أحد ، وبعد أن قضيت وقتًا طويلاً فى البكاء رأيت بعض الناس قادمين من بعيد ، لقد كانوا أصحـاب المزرعة فأخذت أبكى ولم أكف عن البكاء حتى وصلوا إلـي ، فلما وصلوا وجدونى طفلاً صغيرًا فسألونى عمـا أصـابنى ، ولأننى لم أكن أعرف فى هذا الوقت كيف تقص الأخبار أجبتـهم بالطريقة التالية : " بابا .. ذيب .. كل .. غاب .. أم .. ليـلـ س فى حج " . وبعد أن رددت هذه الكلمات المتقطعة قالت امرأة من بينهم وبحكمة " إنه يقصد أن يقول الذئب أكل أباه ليلة أمـس وترك الرأس فى الحجرة " قال الآخرون أى لقد صدق فيما يقول أين أبوك يا بنى ؟ فأشرت إلى الكوخ الذى كنت أرقد فيه ، وفى

الحال توجهوا إلى المكان ، وعند وصولهم إلى باب الكوخ رأوا الدماء على الحائط كأن بقرة قد ذبحت.

ونحن على هذا الحال وإذا بزوج هؤلاء النسوة اللاتى وجدننى يأتى فيجدنا واقفين على باب الكوخ والنساء يقلن لا حول ولا قوة إلا بالله ، كشأنهن ، فلما جاء أخبرته بكل ما حدث فلم يكن أقل منهن دهشة ، وأخذ هذه الرأس التى تركها الذئب وذهب إلى حافة المزرعة ودفنها ، ثم أخذ ملابس اللص وأخذ يفتش فيها عما سيكون فيها ، وعندما فتح ثوب هذا الميت وجد فيه جرابًا كبيرًا ليس فيه إلا اللحم المشوى ونوع من الحلوى ودقيق محمر وقرعة صغيرة وتميمتين إحداهما مغطاة بجلد من جبهة نمر ومعلقة فى سلسلة والأخرى بجلد الحوت وخيطت بعروق القرد ، والتميمة الثانية موضوعة داخل قطعة من القماش . وخلاصة القول عندما فتش أدوات .هذا الميت جيدًا تنهد وقال إن هذا الرجل ليس والد الغلام،لا شك أنه سرقه من مكان ما ؛ لأن هذه الأشياء لا يحملها إلا اللصوص وقطاع الطرق ، والزاد الذى يحمله لا يتزود به إلا اللصوص ، وبعد أن قال ذلك التفت إلى وسألنى بعض الأسئلة لا أستطيع أن أتذكرها وأخذ يتكلم بلا جدوى لأننى لم أكن أهتم بما يقول ، ولم أنصت إليه ، فقد كنت ألعب فى التراب كشأنى مع أولاده الصغار .

أقــع فى الــرق مــرة أخــرى :

عندما أدرك أننى لم آنس إليه قال لإحــدى نســائه "فلانــة تقولين إنه ليس لك ابن ها قد وهبك الله ، فخذيه لعل الله ينفعــك به " فركعت بين يديه وشكرته ، ثم أخذتنى وسألتنى عن اســمى فأجبتها ففرحت كثيرًا ، وبعد ذلك أخذوا يعملون فى المزرعــة فترة طويلة ونحن نلعب حتى حان وقت الظهر ثم ذهبــوا إلــى الغدير واغتسلوا ، وبعد أن انتهوا عادوا إلى شجرة التمر هنـدى حيث كنا وجلسوا يشربون الماء ليعودوا بعد ذلك إلى المــنزل ، ورأيت إحداهن تفتح إناء كبيرًا وتخرج بنوع من الطعام والدقيق وتخلطهما بالماء وقدمت لكل نصيبه ، أما نحن الصغــار فقـد أخذنا نصيبنا فى ملعقة خشبية كبيرة فلعقناه بأصابعنا .

وبعد أن انتهينا من تناول الطعام أخذت كل امــرأة طفلــها وحملته على ظهرها، وأخذتنى أمى وحملتنى كباقى الأمــهات ، وسار رب الأسرة خلفنا يحمل القوس والسهام المعلقة فى كتفه ، وأخواه الصغيران يسيران فى المقدمة وأسلحتهما معلقــة فــى كتفيهما ، ونحن الأطفال والنساء نسير فى وسطهم ، وما كدنــا نبتعد عن المزرعة حتى أخذنا نسمع صــوت حوافــر بعــض الخيول تسير فى الغابة وهم يقولون " اليوم سريركم ســيقضى الليل خاويًا ، ولم يهتم أحدنا بما يقال ، لذلك واصلنــا الســير ،

وبالرغم من أن أحدًا منا لم تبد عليه علامـــات الاهتمـــام إلا أن قلب كل منهم كان يرتجف رعبًا ، وخنقت الأصوات والحركات، فلا تسمع إلا حركة الأقدام فى الهواء ، وبدا عدو الخيل وحديث الرجال قريبًا منا ، ولكننا لم نر أحدًا ، وبعد قليل رأينا من بعيـد أحد الفرسان يمتطى صهوة جواده ويرتـــدى قميصًـــا مغطـــى بالسلاسل ، يدفع حصانه تجاهنا قائلاً "سريركم اليـــوم يقضـــى الليل خاويًا " ، عندما سمع ذلك رب الأسرة قال " بإذن الله أنـــت الذى سيخسرك سريرك ؛ فربما قضيت الليلـــــة تحـــت شـــجر الصبار" ، وفى لمح البصر رأيته يمد يده فى غمـــــده ويخـــرج سهمًا مسممًا ويركع على ركبتيه ، ويصوبه تجاه الفارس منتظراً اقترابه ، أما الفارس فمنذ أن أطلق حصانه لم يتوقـــف ، فلمـــا رأى رب الأسرة أنه اقترب منه جذب وتر القوس وأطلق ســـهمًا عليه ، إلا أن الفارس تلقاه بدرعه ، وقبل أن يمد ســـيدى يـــده ليستخرج سهما آخر دفعه الفارس فوقع على الأرض ممددًا فـــاقد الوعى ، كأن روحه ستفارق جسده ، فى هذا الوقت فقدنا عقولنا وأخذ كل منا يحدق فى الآخر يترقب ما سيحدث ، بعـــد قليـــل رأينا سبعة خيول تقصدنا عدوًا ، وما أن رأيناها حتى أخذ كـــل منا يعدو مسرعًا كما يعدو الكلب ، وجرت النسوة وتركن أمـــى تحملنى على ظهرها لا تستطيع العدو ؛ لأن الفأس كـــانت قـــد جرحت قدمها .

الفــارس يقتنصنــا :

قلما رأى الفارس الذى أوقع سيدى ذلك نزل من فوق حصانه وجذب أمى وهى تحملنى على ظهرها وضمنـــا إلـــى سـيدى وربطنا بطرف حصانه ، ولما رأى باقى الفرسان ذلــك جــروا خلف إخواتنا ولم أعرف ما آل إليه الأمر بعد ذلك ، وأظن أنهن أسرن جميعا لأن كلا منهن كانت تحمل طفلا على ظهرها . بعد أن قيدنا الفارس دفعنا أمام حصانه وساقنا إلى مدينته ، وواصلنا السير حتى مطلع النهار ، ولما طلعت الشمس أخذنى من أمـــى وأجلسنى خلفه رحمة بأمى التى كانت تحملنى ، وواصلنا الســير لمدة ثلاثة أيام حتى وصلنا إلى مدينة كانو فى شمال نيجيريــا ، لقد كان هذا الرجل أحد عبيد الأمير المقربين ، تملكـــه العــوز فخرج يتجول فى الغابة لعله يجد ما يسد حاجته ، فلما وصلنـــا إلى المدينة لم يكن أحد يود رؤيتنا لما يبدو على وجوهنـــا مــن أحزان وآلام .

أمـــى لا تعــرف :

كل هذه الأمور التى حدثت لى لم تعرف أمى شيئا عنــــها ، لأنها عندما وصلت إلى فاتيكا علمت أن أباها قد ألقى القبـــض عليه بتهمة العرافة ، وذهبوا به إلى مدينة زاريا فمكثت هنـــاك تنتظر عودته ثم تعود لتأخذنى وتذهب بى إلى مقرفـــى حيــث ماكو، وبعد أن مكثت شهرين وأحد عشر يوما فى موطن أبيها ، عاد أبوها من زاريا بعد أن أطلق سراحه، وانتهى الأمر لأنـــه عندما مثل أمام القضاء لام الأمير المسئولين فى مدينــة فاتيكـا على ما سببه الأمير له من أضرار ، وقال إنه لا يوجد شــــىء يسمى عرافة فى هذه الحياة إلا أن الأمير لم يقل هذا القـــول إلا بعد أن رشاه والد أمى ببقرتين حلوب ، وعندما هــــم بمغــادرة مدينة زاريا بعث الأمير معه بأحد رجال الحاشـــية ليعــود لـــه بالبقرتين فعاد إلى فاتيكا وسلمه بقرتى الأمير ، ولما سلمها إليـــه قال " !! هكذا تتركنى أعود ؟ وفى الحال ودون جدال أحضــــر والد أمى عنزة بكر وقدمها إليه فساقها إلى زاريا ، ولم يــــترك لوالد أمى إلا عجلة صغيرة وجديا ذا شعر غزير" .

لقد فرح أهل البيت كثيرا بعودة رب الأسرة سالما وأخذ كثير من أحبابه يفدون إليه ليهنئونه بالخلاص ، وبعد أن خرج كــــل المهنئين دخلت والدتى عليه الحجرة لتقدم له التهنئة ؛ فلما رأتـــه

انفجرت فى البكاء كشأن النساء حين يفرحـــن ، وســـألها عـــن أخبارها فقصت عليه كل شيء من البداية حتى النهاية ولم تترك شيئا ، وهنا دعا لها بالبركة وطلب منها أن تعقد العزم علـــى أن تعود بعد أيام قلائل إلى كاجرا لتأخذنى وتذهب إلى حيث يقيـــم ماكو ، بدأت والدتى تستعد للرحيل ، وبعد أن استعدت وقبـــل أن ترحل بيوم واحد ذهبت إلى والدها وطلبت من أحـــد إخوانـــها ليرافقهـــا فى الطريق فقـــال " لا مـــانع اذهبـــى مـــع دابـــو"، " وأستدعى دابو وقال له أنه سيرافق والدتى إلى كاجرا ، وبعـــد أن استعد كان العصر قد حان فأخذت قدرا لتغترف المـــاء مـــن إحدى الآبار القريبة من طريق التجار المتجهين إلى كـــاجرا ، ولما ألقت الدلو فى البئر وهمت بجذبه رأت بعض النساء يغطين رؤوسهن ليقبلن عليها من بعيد ويرافقهن رجل يركب حصانـــا قادمين من طريق كاجرا ، فأخرجت الدلو بسرعة ووقفت ترنـــو إليهم حتى اقتربوا ، فلما وصلوا أدركت أن راكب الحصان هـــو بخارى ، ولما نظرت جيدا إلى وجوه النساء عرفت من بينـــهن أمينة، وبسرعة تقدمت إليها وعانقتها وهى تبكى مرحبة ، وهنـــا أنزلت القدر وحملت متاع أمينة ومضت إلى حيث ينزل بخارى، ولما أوصلتهم إلى حيث ينزلون عادت إلى البيـــت لتعـــد لـــهم الطعام، وحتى هذه اللحظة لم تنتبه إلى أننى لست معهم .

عادت إلى البيت وأخبرت والدها بكل ما حدث وطلبـــت أن يحضر لها طعاما شهيا لتقدمه إلى ضيوفها ، وفى الحال ذبحـــت دجاجتين ، وأخرجت بعض الأرز من مخزن أمها ودقته وغسلته

وجففته وصنعت منه الثريد ، ولما حان المغرب أخـــذت أمـــى الطعام وذهبت به إلى منزل الضيوف وقدمتــــه إلـــى أمينـــة ، وعادت تأكل نصيبها، وبعد أن انتهت من تناول الطعام وتـأكدت من أنهم أيضا قد انتهوا ذهبت إليهم لتعرف ما يحملـــون مـــن أخبار ، فلما وصلت لاحظت أن أمينة على غير عادتـــها فـــهى دائمة البكاء وقد احمرت عيناها وتورمتا ، فلما رأتها على هـــذه الحال انتحت هى الأخرى جانبا وجلست واضعة يديـــها علـــى خديها فى ذهول .

وبعد قليل كفت أمينة عن البكاء وجففت دموعـــها وتبـــادلا التحية ، وسألتها والدتى عن سبب البكاء فقالت لا شىء ، قـــالت أمى "إن كانت قد حدث مكروه فأخبرينى "، وبدأت والدتى تظـــن فى نفسها أن الله قد توفانى بعد أن رحلت من كاجرا ، وســـكتت أمينة ولم تقل شيئا ، وهما على هذه الحال دخل بخارى ليحيـــى والدتى فوجدهما جالستين فى ذهول فدخل وجلس ورحبت بـــــه أمى وتبادلا التحية وسألته عن أخبار كاجرا ، وكيف تركها وإلى أين ينوى المسير ، وكشأن الرجال فغر فاه، وقال لـــــها كـــاجرا بخير ، والآن أنوى الذهاب إلى بلاد الهوسا، لأزور قبر الولـــى الكبير الشيخ عثمان بن فوديو ، وبعد ذلك أريد أن أذهب لزيارة بعض أخوالى فى"توريتا"، ومن هناك أذهب إلى "دينجيـــــاطى" لزيارة أمى ، لأننى لم أرها منذ زمن طويل ، وبعد ذلك الســـبب الذى جئت من أجله هذه المدينة أن أخبرك بما حدث بعد رحيلك من كاجرا ، طفلك بعد أن سافرتى بعشرة أيـــــام ســـرقه أحـــد

اللصوص وبحثنا عنه فى كل مكان فلم نعثر له على أى أثر ولم أكن فى هذا الوقت بالمدينة .

كنت بالريف لأعود صديقا لى مريضـــا، وعندمــا عــدت سمعت هذا الخبر ، ولكننا سمعنا خبرا من أحد خدم الأمير اسمه أحمد بأنه رأى عمر فى مدينة كانو فى منزل أحد عبيد الأمـــير الكبار ، والذى يعرف باسم جميز وكما أخبرنا أنه سمع حديثــا دار بين جميزو ورجل عربى يسمى عبد الكريم بـــأن العربــى يريد أن يحرر الصبى ويذهب به إلى مصر ليقدمه إلى زوجتـه ليكون لها أبنا .

هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك بشأن عمر ، وهو أيضا سبب حضورى إلى هذه المدينة ، والآن لابد أن تصـــبرى وترضــى بقضاء الله وقدره ، لابد أن تتذكرى فى نفسك أن الصبر أفضــل من كل شىء .

سكتت أمى تماما ، وبعد فترة طويلة قالت

" الإنسان فى هذه الحياة إن لم يصبر يرى ألف أمر يكدر النفس، والله يلطف بنا " ، وعندما انتهى بخارى من كلامه خرج وتركها مع أمينة تتحدثان وطال بهما الحديث حتى منتصف الليل فقامت والدتى وعادت إلى منزلها ، وعند وصولها أخبرت أباها وأمــها بما حدث فقال كلاهما الله قادر على كل شىء ، ولمـــا أصبـح الصباح عادت أمى إلى أمينة لتقضى معـــها النـــهار ، وأثنـــاء وجودهما معا جاء أخوها الأصغر يستدعيها مسرعا ، فقد بعــث

من فاتيكا لاستدعائها ، فقد وصل ضيف من زاريـــا ، فـــهبت مسرعة وقامت وذهبت إلى المنزل فوجدت عيسى الرجل الــذى بعث به ماكو ليذهب بأسرته إلى مقرفى ، فرحبت به وقدمت لـه الماء ليشرب ، وذهبت إلى أبيها وأخبرته بأنه خادم زوجـــها ، وفى الحال أعدوا له حجرة وإصطحبته إليها، وبعـــد أن جلــس واستراح قليلا سألها هل تعرفيننى ؟ قالت "حى أموت لن أنســاك " فقال لها " ماكو فى وحشة يريد أن تسرعى وتعودى للحاق بـه مع طفلك ، وطلب منى أن تعودا مسرعين قدمى على قدمـــك " قالت أمى وهو كذلك ، ثم أخبرته بكل ما حـــدث بعـــد فراقـــهم فتعجب عيسى من حكم الله ، وعندما انتهيا من هــــذا الحديـــث أخذته إلى حيث والديها ليخبرهما برسالة ماكو بنفسه فقال لـــهما عيسى كل شىء ثم عاد إلى منزله ورقد لما أصابه مــــن شــدة حرارة الشمس .

وبعد أن تركت عيسى عادت إلى أمينة مسرورة وأخبرتـــــها بالخبر السار الذى سمعته ففرحوا جميعا حتى كـــادوا ينســون ضياعى ، وقبل أن تعود أمى إلى منزلها ودعت أمينة ومن معها الوداع الأخير ؛ لأنهم سيرحلون فى الصباح الباكر ، ولما انتهت مراسم الوداع عادت إلى المنزل ، وجاء الصباح وقامت أمينـــة ومن معها قاصدين بلاد الهوسا ، وبعد عودة والدتى إلى منزلـــها لم تنتظر طويلا حيث بدأت الاستعداد للرحيل إلى زوجها ، وبعد أن رحلت أمينة بخمسة أيام رحلت أمى مع عيســـى وواصـــلا رحلتهما بنفس مطمئنة ، وبعد أربع أيام ، وصلا إلـــى مقرفـــى

اليوم الخامس ، ولما وصلا لم يجدا ماكو فى منزله فقد ذهب بعد إلى إحدى مزارعه الجديدة خلف المدينة فبعث عيسى بأمى إلى إخواتها من نساء ماكو ثم ذهب إلى المنزل ليغتسل وغير ثيابه وخرج ، وذهب إلى ماكو خارج المدينة وأخبره أنه عاد سالما ولم ينتظر ماكو لحظة فى المكان الذى كان يجلس فيه وعاد إلى المنزل مسرعا ، فلما وصل دخل منزله وهو يبتسم من شدة الفرح بعودة زوجته ، وأراها الحجرة فدخلت فيها ، بعد أن استراحت وهدأت نفسها لم يسألها عن شىء إلا عن أخبارى فقالت له إنى خطفت، بعد ذلك سألها عدة أسئلة فأخبرته بكل ما لديها من معلومات، وهنا تملك الخوف من ماكو ودهش الجميع.
هذا هو ما حدث لأمى من أحداث ، ولكنها فى قرارة نفسها كانت تدرك أن الله واحد وإن أراد الله أن تصل إلى حيث أكون ستصل قبل أن يدركها الموت .

أبـــاع لرجـــل عربـــى :

عندما خطفنى جميزو كانت توجد قافلة عربية فـــى مدينـــة كانو، جاء رجالها لشراء العبيد ونقلهم إلى بلدهم ، وقـــد عقـــد أكثرهم علاقات الود مع كبار خدم الأمير لأنهم كلما وفدوا علـــى هذه البلاد كان هؤلاء الخدم هم وسيلتهم فـــى الحصـــول علـــى الرقيق ، ولا يأتون فى أى وقت، ولكن هُناك عادة وقتا يـــأتون فيه ، وكانوا كلما جاءوا لشراء العبيد يتفقون عادة مع أصدقائهم على أن يجمعوا لهم العبيد قبل أن يعودوا فى المرة التالية .

وقد عقد جميزو صداقة مع أحد هؤلاء العرب الذى يســـمى عبد الكريم من إحدى مدن مصر ، وذات يوم بعـــد أن قضيـــت عامين فى خدمة جميزو رأيت رجلا متوسط القامـــة ذا لحيـــة طويلة وشارب يأتى إليه ، ولما أقبل عليه رأيت جميزو يـــترك فراشه ويجلسه فوقه ، ومن حين لآخر يردد قوله مرحبا مرحبـــا بقدومك ، وبعد أن انتهيا من تبادل التحية نادانى سيدى وطلـــب منى أن أذهب إلى البيت وأحضر لهذا الضيف الماء ، فدخلـــت وحملت إليه الماء والدقيق الممزوج بعســـل النحـــل ، وجئـــت وركعت أمام هذا الضيف وقدمته إليه فأخذه وشربه ، وبعـــد أن شرب الماء وحمد الله التفت إلى جميزو وسأله كيف لم أعـــرف هذا الغلام من قبل ، هل هو ابنك؟ قال جميزو " لا " وقص عليه

كيف حصل على وعلى أمي وأبى معا وتحدثا طويلا وأنا جالس على مقربة منهم ، ثم عاد كل منهم إلى منزله ، وكان بيت هـذا الضيف بالقرب من منزل جميزو ، منحه أمير كانو إياه عندما جاء لأول مرة ، لأن المنازل كلها كانت مشغولة حين قدومه ، وكانوا كلما أعدوا له طعاما أمرت بحمله إليه فى منزله حتى ألف كل منا الآخر لكثرة ما حملت إليه الطعام ، وكان كلما حملت إليه الطعام يسألنى هل أحبه ، ويأخذنى ويمسح على رأسى لتحل على بركة الله ، وأحيانا كان يأتى ببعض التمر ويقدمه إلى قبل أن أعود إلى سيدى.

وهكذا يعاملنى حوالى ستة عشر يوما ،وفى اليوم السابع عشر رأيت جميزو يأخذه ويذهبا معا إلى قصر الأمير ، وقبل أن يذهبا سأل عبد الكريم جميزو ما إذا كان يسمح أن أذهب وأجلس فى بيته بجوار متاعه حتى يعودا ، فنادانى جميزو وقال لى ، فذهبت إلى منزل عبد الكريم وجلست فى حجرته وذهب ، ومنذ أن خرجا فى الصباح لم يعودا حتى حان وقت صلاة الظهر ، وبينما أنا جالس فى حجرته بدأت أسمع ضوضاء الناس، وصوت جميزو ، وبعد قليل رأيت عبد الكريم يدخل الحجرة ، فرحبت بقدومه فقال لى انتهى الأمر ، عد إلى سيدك، وعند خروجى من حجرته تلفت حولى فرأيت العبيد قد كبلوا بالأغلال ، وتركوا تحت أشعة الشمس المحرقة ، ولما أمعنت النظر فيهم رأيت أمي وأبى اللذين أمسكوهما معى فى المزرعة،

وهنا ارتجف قلبى وتملكنى خوف شديد ، ولمـــا رأيـت ذلـك طأطأت رأسى ومضيت والدمع ينهمر من عينى.

ذهبت إلى البيت وقدم إلى الطعام ، والشعور بالظمـــأ يكـاد يقتلنى ولكنى تركته ، ولم أكن أفكر فى شىء إلا هؤلاء العبيد ، فعندما وقع بصرى عليهم صرت كمن حمل إليه خبر وفاة أبيــه وأمه ، لقد تألمت كثيرا وأظلمت الدنيا فى عينى ولم يعد فيها ما يسر، وذهبت إلى حجرة أمى التى خطفت معى لأنام ، وكـــان مرض الموت قد ألم بى وكنت لا أملك النظر إلى سقف الحجـرة وقد استغرقت فى تفكير عميق ، وبينما كنت مستغرقا فى التفكير رأيت سيدى جميزو يدخل المنزل ، وعند دخوله سمعته ينـــادى اسمى ، أين فلان ، فلما سمعت ذلك ارتعدت وقمت وقلت هأنذا، وذهبت إليه وأمسك يدى وسحبنى إلى المنزل الذى يـــنزل فيــه عبد الكريم ، فلما وصلنا ودخلنا منزله وجدناه يقرأ سورة البقرة، فلما رآنا أغلق المصحف وقال حالا وجدته ؟ فأجابه قائلا ، إنــه ليس كغيره من الأطفال الذين يخرجون للعـــب ، وهنـــا أخـذا يتحدثان كلاما لم أستطع أن أفهمه جيدا ، بعضه تعودت سـماعه والبعض الآخر كأنه لغة مختلفة ، وفى نهاية حديثهما ســـمعت جميزو يقول يا عبد الكريم ستضرنى بإبعاد هذا الغلام عنـــى ، فمنذ أن عرفت الخدم لم أر أبدا أعقل ولا أخلص من هذا الغلام؛ فمنذ أن شاء الله أن يدخل هذا البيت ، لم أسمع مطلقا واحدة مـن نسائى أو خادما من خدمى يشكو منه ، أجاب عبد الكريم مثـــل هذا الخلق هو الذى يحبه العرب ، أى إنسان فى هذه الدنيا علـــى

سعتها إن لم يكن على خلق يستوى فى ذلك الأبيض والأسود ، فهو مثل الدابة تماما ، لأن العقل والبصيرة والحكمة لا تتوفران فى إنسان إلا إذا كان كريم الخلق .

عند سماع هذا الكلام بدأت أقول فى نفسى لا شك أن عبد الكريم سيذهب بى إلى بلدهم ، وأنا فى هذه الحالة من الاضطراب النفسى التفت إلى جميزو وقال يا عمر ، ها عبد الكريم يلح علي فى طلبك ، إنه يطلبك لا لتصير عبدا له ، إنه يريد إذا استطعت التغلب على نفسك استطعت الحياة معه ستصير له ابنا لأنه لم يرزق ابنا ، وليس له قريب واحد ، وقد رضيت أن تذهب معه والآن ننتظر موافقتك فقط .

وبعد هذا رفعت رأسى وأخذت أفكر فى مدى البعد بين بلده وبين بلدى ، وأتذكر أن أمى إذا كانت على قيد الحياة فلن تعرف أين ذهب الله بى ، وهنا اسودت الدنيا فى عينى ولم أشعر متى أخذ الدمع يفيض من عينى ، ولما رأى عبد الكريم ذلك سألنى ألا أحبه ، فأجبته أن الأمر ليس كذلك إننى لا أريد أن أبعد عن موطنى فإذا اتبعته إلى بلده متى سأعود إلى وطنى ؟

فقال لى فى كل عام إذا جاء سيأتى بى لأرى موطنى ، فقلت وهو كذلك موافق لكى لا يقال عنى إننى عديم الحياء بعد أن امتدحانى ، وبعد أن انتهى من هذا الكلام تماما وافقت فطلب منى جميزو ، أن أعود إلى المنزل ، فلما قمت وهممت بالذهاب أحضر عبد الكريم نوعا من الطعام لذيذ الطعم وقدمه إلى مع

بعض التمر الجاف الذى لم أذق ألذ منه ، فركعت وأخذته ثم وقفت ووضعتهما فى طيات سترتى الكبيرة التى اشتراها لى جميزو ، وخرجت وسلكت الطريق إلى المنزل فوصلت إليه بما أحمل من هم فى نفسى ، وذهبت إلى أمى ثم عدت إلى الحظيرة وجلست القرفصاء وصارت هيئتى تستدر العطف تماما فلما رأت ذلك انفجرت فى البكاء وأخذت تسأل عما أصابنى فقصصت عليها قصتى من البداية حتى النهاية فأخذت تبكى وتقول لا بأس يا عمر تذكر دائما فى نفسك أن الله مالك كل شىء ، وجلسنا نتحدث كثيرا حتى شاء الله أن يدخل جميزو ويخبرها بنفسه أننى ذاهب إلى مصر مع صديقه العربى ، فقالت لا بأس ، أحيانا الله، قال آمين .

ومرت الأيام وذات يوم بعد هذا الحديث بخمسة عشر يوما عزم عبد الكريم على الرحيل ، وكان قد استعد تماما ، بعد أن قضى كل مآربه ، واشترى كل ما يريده من العبيد ، إلى جانب بعض الأقمشة السوداء التى تلف حول الرأس وغيرها من الأقمشة السوداء لبيعها فى الطريق ويشترى الزاد .

وبعد أن أتم استعداده كان عليه أن يسافر فى صباح اليوم التالى ، بعث من يستدعينى فذهبت فأخبرنى أنه استعد للسفر وسيرحل فى صباح الغد ، وطلب منى أن أذهب وأستأذن من أصدقائى وأمهاتى أى عائلة جميزو، فقلت وهو كذلك . قمت وعدت إلى المنزل ودعوت كل من أعرف ثم لففت حصيرة صغيرة ووضعتها تحت أبطى وقصدت منزله لأنام فيه حتى لا

أتأخر ، فوجدته جالسا وقد اقترب العصر بعد أن أحضر عبيده ، وكان عددهم عشرة مختلفين مقيدين ، كان قد بعث بـــهم إليــه الأمير ، ولما أقبل الليل دخلت الحجرة معه ونمنا على فـــراش واحد حتى حان الصباح .

نغادر مدينة كانو :

ظهر نور الصباح فسمعت صوتا يصدر من شيء كـــــالقرن ينفخ فيه ويدق الجرس ، عند سماع ذلك دهشت فقمت مذعــورا وأيقظت عبد الكريم وأخبرته فقال لي هذه إشارة المســـافرين أي أن باقي رفاقه قد استعدوا للسفر ، وسيرحلون ، وفي الحال فتـح الباب وخرج ، وذهب وسحب جمله الأبيض ذا السنامين ، ثـــم توجه إلى الحظيرة حيث ينام هـــؤلاء العبيـــد فـــي فضـــاء الله كالخراف ، وأيقظهم وتهيأنا للرحيل .

غادرنا مدينة كانو في صباح يوم السبت الثالث مـــن شـــهر رمضان ، وقد مضى على هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ألف وثلاثمائة سنة تماما ، وقد حضر كل المسافرين إلى مصـــر إلى بوابة المدينة ، لا أتذكر اسم البوابة الآن .. وعندما تجمعوا كلهم أعطيت لهم إشارة بدء الرحلة ، وقبل أن نغادر البوابة بعث لنا الأمير بحوالي خمسين خيالا ليودعونا ، وعندما أوشكنا على الرحيل ناداني سيدي وأخذني وأركبني أمامـــه فـــوق جملـــه ، وواصلنا السير ولم أعرف الجهة التي كنا نقصدها ، وأشـــرقت الشمس وغربت ولم نترك ظهور الإبل .

وباختصار منذ قيامنا من مدينة كانو لم نسترح فى أية مدينـة إلا مدينة كركا ، ولما غادرنا كركا لم نتوقـف إلا فـى أرض خلاء كثيرة الرمال ، ليس فيها منزل واحد ، إلا علامات مـن الأكواخ على الطريق ، وهنا توقفت القافلة واستعد أعضاؤهـا لورود الماء قبل أن يدخلوا فى الصحـراء الكـبرى ، ومكثنـا يومين ولا عمل لهؤلاء العرب إلا إصلاح أسلحتهم وملء القرب بالماء ووضعها على ظهور الإبل ، وقبل أن نتحرك أقبل رجـل عربى على عبد الكريم وطلب منه أن يخبر رجاله كى يسـتعدوا لأن المكان الذى سندخله خطير ، وهنا بدأت أشعر بـالخوف ، وأخذت أفكر ربما سيحاربون ، ولا سيما أننى رأيتهم يصلحـون بنادقهم وحرابهم ، وبعد قليل دق الناقوس فتحركنا جميعا قـرب العصر ودخلنا الصحراء الكبرى .

وفى هذه الصحراء رأيت عجبا وأحسست بخشية الله وآمنـت بأن ما قاله الأسد للذئب حق ؛ إذ قال " بنى آدم شىء مخيـف " منذ بدأنا الدخول فى الصحراء لم أر شجرة كبيرة ، فحينما تنظر ترى مدى بصرك ، لا ترى شيئا إلا الرمـال ، لا أمطـار ولا نبت فى أى مكان ، هناك الرياح ولكن ليست مثل هذا البلـد ، رياحهم ليس فيها إلا الرمال ، كل من يعرف كيف تكون ريـاح الصحراء ، لا يرجو أن تصل إليه فى أى مكـان ، فـهناك إذا هبت ونظرت إليها حسبتها عاصفة ، لقد أخبرنى صديق عربـى أنه أحيانا إذا هبت هذه الرياح على قافلة جعلت الناس فى حالـة من الاضطراب حتى يضلوا الطريق ، وينتشروا فى الصحراء ،

ومهما كانت سعة الطريق فى الصحراء فعندما تـــهب الريـــاح تختفى معالم المكان تماما ، سبحان الله .

عندما دخلنا هذا المكان تملكتنى الشفقة على هؤلاء العبيـــد ، كنت كلما نظرت إليهم رأيتهم يسيرون فـــى الرمـــال يقتلعـــون خطاهم وقد حنوا ظهورهم ، لا أشق على الإنسان الذى تعـــود على السير فى أرض صلبة من أن يسير فى كثبان الرمال .

هكذا واصلنا السير فى الرمال يوما بعد يوم ، ولا أذهب بـك بعيدا فى الحديث فمنذ أن تحركنا من المكان الذى وردنا المـــاء فيه لم نجد ماء مرة أخرى إلا بعد أن قضينا ثلاثة أيـــام ، ثـم وجدنا قرية صغيرة يسكنها بعض الطوارق بالقرب من بعـــض الآبار الصغيرة فى الرمال ، فى هذه القرية رأيت أمرا عجيبـــا كل سكان هذه القرية صغارا وكبارا يلفون عمامة سوداء طولـها حوالى ثلاثة أذرعة حول رؤوسهم ، وأكثر من تـــراه ملثمـــا لا يرتدى قلنسوة ، وإذا تلثموا يشدون اللثام حتى يغطوا وجوهـــهم به، أما النساء فتغطى كل منهن وجهها بقطعة من القماش ، مثل هؤلاء الناس سمعت عن شجاعتهم كثيرا ، وقد رأيـــت بنفســـى الدليل على ذلك عندما سمعت كلامهم فكل ما تسمع من كلامـــهم كأنه شجار .

وعندما وصلنا إلى هذه المدينة التى تحدثنا عنها ، توقفنا عند بعض الآبار واغترفنا الماء واغتسلنا ، وبعد قليل رأيـــت أهـــل المدينة نساء ورجالا يقبلون علينا وقد وضع كل تاجر فى القافلة

متاعه وأخرج عمامات سوداء ، وأقمشة كالتى تصنع فى مدينة كانو ، ثم رأيت المكان كله فى هرج ومرج يتبادلون التجارة ، واستمر تبادل السلع حتى مالت الشمس ، وبعد العصر أخذ كل تاجر سلعته وربطها، وعند المغرب دق ناقوس الرحيل فرحلنا .

وتوغلنا فى السير داخل هذه الصحراء ، ولم نخرج منها إلا بعد شهرين وثمانية أيام ، وذات يوم بعد أن سرنا سيرا طويلا ، قربنا من بلدة فى مصر غربى نهر النيل ، يقال لها بركوفة، لقد كانت مدينة " عبد الكريم " حيث سنمكث عدة سنوات ، وعندما أوشكنا على الوصول قال لى عبد الكريم إنها بلدتهم ، وأن منزله قريب على مدى البصر ، وبعد أن توغلنا قليلا دخلنا مدينة لم أر مثلها منذ ولدتنى أمى، ولما تجاوزنا ثلاثة منازل دخلنا منزل عبد الكريم ، ونزلنا حيث خدمه ، ومضى باقى أفراد القافلة إلى منازلهم .

وفى هذا الوقت سارع العبيد وأحضروا لسيدى الطعام والشراب ، ولكنهم لم يستطيعوا تناول لقمة واحدة لشدة تعبهم ، أما أنا فقد أخذنى عبد الكريم إلى زوجته بمجرد وصولنا وتركنى عندها ثم خرج ، وبعد أن استراح هؤلاء العبيد تماما ، وهدأت نفوسهم ، انهالوا على هذا الطعام كالجراد الذى هبط على مزرعة للدخن كادت تنضج ، ومكث عبد الكريم مع هؤلاء العبيد حتى انتهوا من تناول الطعام تماما ، ثم دخل المنزل فوجدنى جالسا مع زوجته نتحدث بلغة الهوسا التى تعرفها ، لأنه

كان يأخذها معه عندما بدأ يتاجر مع بلاد الهوسا ، وقد أقاما معا فى مدينة كانو حوالى ثلاث سنوات ، دخل عبد الكريم المنزل وقص لزوجته قصتى كاملة ، وأخبرها بكل ما ينوى عمله معى، ففرحت لذلك فرحا شديدا .

بعد أن قضيت سبعة أيام تعودت على زوجة عبد الكريم تماما ، وذات يوم أخبرنى أنه ينوى الذهاب إلى شاطئ البحر ليبيع عبيده .

وقبل أن يرحل طلب من زوجته أن تأخذنى إلى أحد المعلمين من جيرانه ليعلمنى القراءة، ونادانى وأخبرنى بذلك ، ثم سافر إلى الإسكندرية بثمانين عبدا ، ولكن مات منهم خمسة وعشرون فى الطريق ، وعندما حان مغرب اليوم الذى سافر فيه ، ذهبت مع زوجته زينب إلى الشيخ مسعود الذى سأتعلم القراءة لديه ، وأخبرته بكل ما قال زوجها ، ثم عدنا معا إلى المنزل، وقالت إننى لن أبدأ القراءة إلا فى الغد إن شاء الله وكنا أحياء .

وفى صباح اليوم التالى قدمت إلى قميصا جديدا وسروالا وشيئا من الطعام ، وبعد أن تناولت طعام الإفطار طلبت منى أن أتوجه إلى الكتاب فخرجت متجها إلى منزل الشيخ مسعود، وبدأت أتعلم القراءة ، ومنذ ذلك اليوم لم يكن لدى الرغبة فى البقاء فى المنزل إلا قليلا من الوقت بقدر تناول الطعام ، ولم ينقض وقت قليل حتى صارت القراءة بالنسبة لى أمرا سهلا، فقد كنت أستوعب كل ما أتعلمه بسرعة شديدة ، ولم يمض شهر

واحد حتى بدأت القراءة فى اللوح ، وقبل أن يعود عبد الكريم من الإسكندرية كنت قد حفظت من الفاتحة حتى سبح .

وفى اليوم السابع من الشهر ، وكان قد بقى على يوم عاشوراء ثلاثة أيام ، عاد عبد الكريم ، فأخبرته زينب بأخبارى، ففرح فرحا شديدا ، وأمر أن يذبحوا له خروفا ليتصدق به ، ومنذ ذلك اليوم كان يلبى كل طلباتى؛ فلم يترك نوعا من الثياب إلا اشتراه لى .

ولما حال الحول عزم عبد الكريم على العودة إلى مدينة كانو، وقال لى سنذهب معا على العهد الذى اتفقنا عليه ، عندما سمعت ذلك تعجلت الوقت الذى سأرى فيه وطنى ، وبعد أن أعددنا كل شىء جاءته أخبار ما حدث فى بلاد السودان ، وهو أن محمد أحمد توجه إلى مصر وقال إنه المهدى ، وتبعه كل أهل السودان ، فأرسلت إليه حملة حربية من مصر .

عندما سمح عبد الكريم ذلك قال الأفضل أن ننتظر لنرى ما سيحدث ، الآن بلاد السودان هى الطريق الذى سنسلكه ، وكان الجميع حينئذ يظنون أن الأمر لن يطول، وسينتهى قريبا ونسافر، وأثناء ذلك وصلتنا الأخبار بأن الحرب انتهت وأن جماعة المهدى انتصرت ، وصارت كل البلد فى هرج ومرج ، ومرة أخرى أرسلت حملة عسكرية من مصر ، ولكن الأمور كانت قد تأزمت ، فلما علمنا بذلك أدركنا أنه لا توجد فرصة للرحيل ولا مفر من البقاء.

وكما هو حال الطفل دائمً ، بمرور الأيام بدأت أنســـىبلدى وأهلى حتى أمى وواصلت التعليم حتى حفظـــت القــرآن فـــى عامين، وقد أتممت حفظ القرآن يوم الأربعاء التاسع عشر مـــن شهر المحرم ، وفى هذا اليوم أقيم احتفال ربما لم أر مثله حتـــى اليوم ، ففى الصباح الباكر ذبح من أجلى ثلاث بقرات وجملان، وحوالى تسعة خراف غير الديوك الرومية ، وكان الطعام الـــذى صنع فى منزلنا وأهدى إلينا لا حدود له .

دخل عبد الكريم حجرته وخرج بنوع من الثياب العربيـــة ؛ لامعة مثل الفضة ، وسروال تونسى مشـــغول حتـــى موضـــع الحزام ، وعباءة من الحرير ، وطربوش له ذر مـــن الحريـــر الأبيض ، وعمامة صفراء ، وأخذ كل هذه الثياب وقدمها إلـــى لأرتديها ، فلما ارتديتها طلب منى أن أمضى أمامه إلى المدرسة حيث يجتمع صفوة العلماء انتظارا لأقرأ لهم قليلا مـــن القـــرآن وليستمعوا إلى ويدعون لى .

سرت أمامه حتى وصلنا إلى المدرسة ، وجلسنا وأخذ كـــل منهم ينظر إلى فى دهشة ، ثم جـــاء الشـــيخ مســـعود ببعـــض الوريقات من المصحف وقدمها إلى لأقرأها أمام الحـــاضرين ، وهم فى صمت شديد ، مرهفين السمع أثناء قراءتى .

قرأت هذه الوريقات جيدا ، دون أدنى خطأ ، وعندما انتهيت أخذ الجميع يقولون الحمد لله ، ويرددون لى الدعـــاء ثـــم وزع الطعام على الحاضرين .

وبعد أن حفظت القرآن بأيام قليلة ، أحضر سيدى عبد الكريم بعض الكتب العلمية وقدمها إلى مع بعض كتب الأدعية والأحاديث ، فأخذتها وذهبت إلى الشيخ مسعود ، وعندما قدمتها إليه أخذها ووضعها على فراشه ، وأخذ كتابا منها " اسمه العشماوى " وأعطاه لى قائلا سنبدأ به لأنه الكتاب الأول الذى يعلم الإنسان مسائل الدين جيدا .

بدأت بهذا الكتاب وحفظته بسرعة ، وبعد سنوات قليلة صرت الرجل الثانى فى العلم بعد الشيخ مسعود فى مدينة بركوفة ، ومنذ هذا التاريخ أخذ الناس ينادوننى بالشيخ عمر ، وأخذ الناس يتوافدون من بلاد كثيرة فى مصر لزيارتى وهم فى دهشة من أمرى ، فأنا رجل غريب ومع ذلك وهبنى الله من البصيرة والفهم الكثير ، وفى هذه الأثناء توفى الشيخ مسعود ، وبلا أدنى تردد وضعت فى مركز الإمامة بعده ، وصرت معلما لكل تلاميذه .

أمى تبحث عنى :

منذ أن علمت أمى أننى سرقت لم يهدأ لها بال ولم تستمتع بأى شىء من الحياة ، وكانت كلما خلت إلى نفسها حدثتها بأنها ستذهب إلى كل بلدة يحتمل أن أكون فيها ، ومنذ أن افترقنا لم تأكل طعاما ويستقر فى جوفها ، لقد صارت ذابلة عجفاء مثل الشبح قد تغيرت هيأتها ، حاول ماكو كثيرا أن ينسينيها ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى ذلك حتى يئس .

وذات يوم بعد أن فارقتها بعام تقريبا ، طلبت من ماكو أن يسمح لها أن تتوجه حيثما أكون فى هذه الدنيا تبحث عنى ، فرفض فى بادئ الأمر ثم وافق بعد إصرارها ، وأحضر بعض المال والثياب وقدمها إليها ، فقامت وذهبت إلى مدينة كانو فلما وصلت إلى المدينة سألت عن منزل جميزو ، ونزلت فيه ، وسألته عن مكانى فأخبرها ، ولم يخف عنها شيئا ، أخبرها اسم البلد الذى ذهبت إليه ، واسم المدينة وكذلك أسم سيدى ، فلما سمعت هذه الأخبار هدأت نفسها وحمدت الله ، وسألته عما تفعل لتصل إلى .

فقال لها جميزو " إنك جئت فى الوقـــت المناســب فبعــض القوافل ستسافر إلى هناك فى خلال ثلاثة أيام ، وتوجد قافلتان ، إحداهما ستتجه إلى مرزوق ، والأخرى إلى حيث يقيم ابنك .

وبعد أن قال لها ذلك بيومين خرجت وذهبت إلـــى الســوق وسألت عن القافلة التى سترحل غدا ، فدلوها على القافلة التـــى ستذهب إلى مرزوق ... وكان فى هذه القافلة تاجر من مدينـــة كانو مسافر إلى هناك اسمه أدو ، فذهبت إليه وركعت بين يديه، وحدثته فى أمرها فأخبرها أن الرحيل غدا وسألها عما إذا كانت ستلحق بالركب فأجابته قائلة " نعم أننى أريد أن أذهب لأبحـــث عن ابنى الذى يقيم فى مدينة بركوفة فى مصر " .

عندما سمع أدو هذا الكلام أضمر فى نفسه أن يخـــدع أمـــى ويذهب بها ويجعلها كزوجته، ويضمها إلى جواريه ونســـائه ، وقال لها " حسنا عودى إلى منزلك وأحضري متـــاعك ، لقـــد أسعدك الله بأن جعلك فى هذه الرحلة ، عليك أن تذهبى وتعودى للإقامة معنا حتى يكتب الله لنا سلامة الوصول إلى هناك لأننـــا سنتوجه إلى المدينة التى تقصدينها " .

عندما سمعت والدتى هذا الكلام عادت إلى منزلها وأخـــذت متاعها البسيط ووضعته بين يديه ، فقد صارت الأمانـــة التـــى أودعها الله لديه ، لقد سلمته هذا المتاع فى المغـــرب ، وكـــانت الرحلة فى صباح اليوم التالى .

وطال بهم السير ، يقضون اليوم فى مدينة ، وفى الغد يرحلون إلى أخرى ، واستمروا على هذا الحال حتى وصلوا إلى مدينة جات ، وفى هذه المدينة عزموا على البقاء أياما للتجارة ، وحتى هذه اللحظة لم تكن والدتى تعرف ما ينوى أدو أن يفعل معها . وكان الناس الذين يرافقونها يظنون أنها زوجته لأنهم كانوا يرونه يغار عليها فى الطريق.

وذات يوم قبل الرحيل ذهب أدو إلى السوق يشترى بعض الزاد فقابلت والدتى امرأة من كانو جارية لرجل عربى ، فجلست تتحدث معها وسألتها عن سبب تركها لمدينة كانو فأخبرتها ، فدقت المرأة صدرها وقالت لها إن هذا الرجل خدعك لقد تركتم الطريق المتجه إلى مصر منذ خروجكم من المدينة .

فسكتت أمى ولم تعرف بماذا ترد ، وبعد قليل قالت لمحدثتها، وماذا أفعل الآن ؟ و لقد بعد بنا الطريق ولا سبيل للعودة ، نفذ المال الذى خرجت به من المدينة ، قالت المرأة " لو سمعتى نصيحتى لا تظهرى له أنك أدركت حيلته ، حتى يأذن الله وتصلوا إلى مرزوق ، وعندئذ قاضيه واشتكيه " .

يصلون إلى مرزوق :

عاد أدو من السوق حوالى العصر ، وعندما حان وقت المغرب بدأوا فى الرحيل ، وواصلوا السير أياما طوال،حتى شاء الله أن يصلوا إلى " مرزوق " وتوجه كل عربى كان معهم إلى منزله ، وقد اكتشفت أمى أن لأدوا مسكنا فى هذه المدينة ، فأخذ والدتى ومتاعها ونزلا فيه ، وبعد أن مضى يومان قال لأمى " لا تظنى أننى لن أذهب بك إلى بركوفة ، أريد أن أصفى بعض الحسابات ثم نذهب معا ونعود إلى كانو معا " .

وأخذ يتكلم كثيرا ، ولم تقل له أمى شيئا ، حتى انتهى من كلامه وسكت ، فتركته وحده ، وعندما رأت أن الجميع استعد للعودة قالت له " سأشكوك إلى القاضى"، فقال لها "اذهبى للقاضى لنرى هل يستطيع أن يأخذك منى ؟ "

وخرج أدو لشأنه ولم يتوقف إلا فى بيت القاضى، وقال له " لقد جئت بجارية لى من بلاد الهوسا ، وقد أصبتها لوثة من الجنون وعندما عزمت على الرحيل رفضت أن ترحل معى ، وقالت إنها ستشكونى إلى القاضى".

قال القاضى " حسنا "، فلتأت.

ولما عاد أدو إلى المنزل ، ذهبت إلى القاضى لتشكوه ، فسألها عما جاء بها ، فقالت "أشكو رجلا يسمى أدو ، ونحن فى مدينة كانو طلب منى أن أتبعه ليوصلنى إلى ابنى ، وقد طالت بنا الرحلة ولا يبدو أنه سيفى بوعده ، ولا أعرف أحدا فى هذه المدينة ليدلنى على الطريق".

فسألها القاضى " فى أى بلدة ابنك ؟ "

قالت " فى بلدة بركوفة فى مصر " .

عندما سمع القاضى هذا الكلام ، ظن أنها ليست عاقلة ، فقال لها " إذا كان الأمر كذلك ، فهو أمر يسير ، امكثى لدى حتى أجد مسافرا ".

وفى المساء بعث القاضى من يستدعى أدو ، فلما حضر أعطاه القاضى بعض المال ، وقال له " عد إلى بيتك انتهى الأمر ، مع السلامة " ، ظلت والدتى فى منزل القاضى ، حتى رآها رجل من طرابلس اسمه أحمد فقال للقاضى إنه يرغب فى تحريرها ، وتساوما ودفع للقاضى فدوها ، فناداها القاضى وقال لها "ها قد وجدت الرجل الذى سيذهب بك إلى بركوفة سأضمك إليه ليوصلك إلى ابنك " ، ففرحت فرحا شديدا وشكرته .

وفى اليوم التالى ، بدأوا رحلة السفر ، وبعد مسيرة طويلة وصلوا إلى طرابلس مغربا ، ولم يتوقف الرجل فى أى مكان إلا

في منزله ، وعندما طلع النهار نادى كبيرة جواريه وقال لها "ها أخت لك ، أحضرتها لك ، اعملوا كل شيء معا " .

فلما سمعت أمي ذلك ، قالت " لا يا سيدى ، إن قاضى مرزوق ، الحقنى بكم لتوصلنى إلى المكان الذى فيه ابنى ، ثم تقول إننى جاريتك " ؟

قال " أبدا ليس الأمر كذلك ، لقد اشتريتك من يد قاضى مرزوق " .

فقالت " أهكذا ؟ "

وعادت تقول " أنا التى أصابتنى مصائب الدنيا ، لعل الله يلطف بى " .

وعاشت حياتها ، ولم تبد ما أصابها من آلام ، حتى بدأت وكأنها تعودت على الآلام ، وذات يوم بعثها سيدها إلى السوق ومرت بمنزل القاضى فرفعت إليه شكواها ، فأمر القاضى بإحضار أحمد ، وعندما جاء كررت الكلام ، فقال " هذا كذب ، لقد أشتريتها من يد قاضى مرزوق " .

قال القاضى " وهو كذلك ، عودى إلى منزله ، وامكثى فيه ، وسأبعث برسالة إلى قاضى مرزوق ، ليقول ما لديه ، وإذا جاء الرد سأبعث إليك " .

وبعد أن انصرفت بعث برسالة إلى قاضى مرزوق، وبعد فترة جاء رد الرسالة ، فأمر القاضى أن يحضر ، فقال لها

القاضى : ، " لقد وصلنى الرد من قاضى مرزوق ، وقال إنـك تكذبين ، إنه باعك له وعليك أن تذهبى معه ، وتقيميـن لديـه وتخدمينه " .

فقالت للقاضى " حسبى الله فيما بيننا " ، واستأذن أحمد وقـام بجاريته .

وعندما عاد إلى المنزل ، قال لها " طالما أن حالك هذا معـى فلن أتركك طليقة ، سأقيدك حتى ينصلح حالك"، وأمر أن تقيـد ، وأخذ يسند إليها كل الأعمال المنزلية الصعبة ، ولا يطعمـها إلا من حين لآخر ، وتغيرت هيئتها لشدة ما أصابـها مـن حـزن وبؤس ، فإذا فرغت من عملها انزوت وأخذت تبكى .

ولما رآها على هذا الحال قال فى نفسه " لقد ازداد أمر هـذه الجارية سوءا ، وليس لها علاج إلا الضرب "، وأخذ يضربـها كل يوم ومع ذلك لم يتغير حالها ، وظل يعذبها لمدة عام .

أما هى فلم يضايقها كل هذا العذاب الذى تتلقاه، وكان كل ما يشغل بالها هو عدم الوصول إلى أبنها ، حتى ذبلت وعجـزت عن العمل ، فما زادها سيدها إلا عذابا .

وعجز سيدها عما يفعل معها ، فقال " إذا استمر الحال هكـذا مع هذه الجارية الملعونة، سأميتها وأخسر مالى، فتركها ومـع ذلك لم تهدأ نفسها ، وظلت فى ذبول مستمر .

رؤيا مخيفـــــة :

وبينما كنت فى غمرة سعادتى فـــى بركوفــة ، ولا شـــىء يضايقنى ، وقد نسيت كل شىء فى بلاد الهوســـا ، ذات يــوم استيقظت من نومى بعد العشاء فتوضأت وأخذت أقــرأ القــرآن كعادتى اليومية ، فأخذتنى سنة' من النوم ، ولم أســتغرق فــى النوم طويلا ، فرأيت فى منامى ، أننى على جبل عال ، علـــى مدخل كهف كبير ، وفى هذا الكهف لبؤة وابنتها ، وأننى كنــت مع بعض صيادى الأسود ،وعندما التفت بعد برهة لم أر أحـــدا على الجبل غيرى واللبؤة وابنتها ، وفجأة خرجت اللبـــؤة مــن الكهف وتوجهت إلى الغابة تبحث عن صيد لها ، وبعد أن ذهبت عادت بعد قليل ودخلت الكهف ، ثم خرجت مسرعة وهى تهذى وتزأر لأنها فقدت صغيرتـــها وأخـــذت تـــدور حـــول الكـــهف وتبكى.ولم تجدها ، ثم رأيت أشياء مبعثرة ، وعندمـــا أوشــكت على الاستيقاظ رأيت أمى على مدخل الكهف تنادينى باســـمى ، رأيت ذلك فى المنام فشعرت بالخوف وقمت من النوم مندهشـــا ومرتبكا فى تفكيرى ، وظللت أتذكر هذه الرؤيا فـــى نفســـى ، ومكثت فترة لا أخبر أحدا بها ، إلا أننى عجزت عـــن الصـــبر على سرها فذهبت وقصصتها على سيدى عبد الكريم ، وقلت له "اليوم نفسى فى قلق ، وما يشعر به قلبى هو أن والدتى تبحـــث

عنى ، وأرى أن كل روحى متعلقة ببلدى ولكن لا أعرف أبـــدا السبيل إلى رؤيتها " .

قال عبد الكريم " وأنا أيضا أفكر كيف نجد السبيل للعودة إلى بلاد الهوسا ، لأن هذا الأمر الذى استصغرناه قد عظـــم ، فقـــد ضاعت كل بلاد السودان ... واستولى رجـــال المـــهدى علـــى البلاد، ولا أرى أن مصر ستعيد سيطرتها عليـــه ، وهـــا كـــل البضاعة التى أعددتها للبيع مزجاة ، ولكن سمعت بالأمس مـــن أخ ذهب للتجارة فى طرابلس أن القوافل تتبع طريقا آخر إلـــى بلاد الهوسا ، الأفضل أن نسلك طريق طرابلس ، لذلك ما أفكـــر فيه أن نذهب إلى البحر ، ومن هنـــاك نســـلك الطريـــق إلـــى طرابلس، وبذلك نستطيع أن نجد القافلة المتجهـــة إلـــى بـــلاد الهوسا، وبإذن الله سوف أذهب بك ، وسأوصلك إلى البلدة التـــى تقيم فيها والدتك ، ولكن لدى شرط واحد لابد أن نتفق عليه وهو أن نعود معا إذا ذهبنا وإذا كنت تنوى أن تخدعنى كمـــا يفعـــل أبناء السوء ولا تعود معى فقل لى لأعرف ، وكن واثقـــا فـــى نفسك أنك إذا قلت لى : إننى إذا ذهبت لن أعود ، هو كذلـــك ، فلن ألح عليك لأنك تعرف أننى جعلتك كإبنى وأنت الذى تستريح عينى إذا نظرت إليه ".

عجزت عن الرد وأصغيت فقط حتى انتهى عبد الكريم مـــن كلامه ، فقلت له " أنت تعرف أنه ليس لى أب فى هـــذه الدنيـــا كلها إلا أنت ، بين يديك نشأت ، وأنت الذى رفعتنى بين الناس،

فكيف أرى السبيل إلى خداعك، وهل تعتقد أن الشـخص الـذى أسدى إلى إحسانا أرده له شرا ، لست من يفعـل ذلـك ، وإذا فعلت ذلك فإن الله سيحاسبنى " .

وجلست أتحدث مع عبد الكريم حتى اقترب الظهر، فطلـب منى أن أعود إلى المنزل لأن التلاميذ أخذوا يتجمعـون ، فلمـا وصلت وجدت كثيرا من التلاميذ قد تجمعوا أسفل شجرة أمـام المنزل ، وقد فتح كل منهم كتابه وأخذ يقرأ فيه ، فدخلت المنزل واغتسلت ثم خرجت لإلقاء الدرس عليهم .

بعد إلقاء الدرس قام كل منهم وتوضأ وتقدمتهم فى الصـلاة ، وعندما انتهينا من الصلاة، أخبرتهم أننى سأسافر خـلال هـذا الشهر مع عبد الكريم لزيارة بلدى إن شاء الله ، فلما قلت ذلك لم تبد الفرحة على وجوههم ، فسألتهم عن السبب ، فقـالوا إنـهم يخشون ألا أعود إذا سافرت ، فقلت لهم لن يحدث هذا مطلقا .

وفى اليوم التاسع من شهر الصيام ، انتهينا مـن الاسـتعداد وبدأنا الرحلة ، فأخذنا المركب حتى وصلنا إلى مدينة القـاهرة ، ومنها إلى مدينة الإسكندرية ، حيث أخذنا باخرة كبيرة ووصلنـا إلى طرابلس بعد أيام قليلة .

وعندما نزلنا من الباخرة سأل عبد الكريم رجلا عن شـخص تعود أن يتعامل مع بلاد الهوسا فى التجارة. فقيل له فـى هـذه المدينة لا يوجد رجل مشهور بذلك إلا أحمد ، وذهب بنـا إلـى منزله ، فرحب بنا التاجر وأنزلنا عنده وأكرمنا كثيرا.

وذات يـــوم بعد أن استرحنا ، جاء عبــد الكريــم وأخــذ يتحدث مع التاجر ويسأله عن أخبار الطريق ، فأخبره أحمد بكل ما يعرف ، فقال له عبد الكريم ، إن شاء الله سنسافر غدا ؛ فقال له أحمد " عندى جارية من بلاد الهوسا اشتريتها العام المــاضى من مرزوق ، ولكن حالها يسوء يوما بعد يوم فمنذ أن اشــتريتها لا تفيدنى فى شىء ، ولا تزداد إلا فسادا ، فهى دائمة التفكير فى بلدها ، وإذا لم تفارقنى الآن سأخسر مالى ، وطالمــا أن هــذه تجارتك وأنت تعرف لغتها ، ســأدعوها ربمــا تفــهم كلامــها وتريحنى منها " .

قال عبد الكريم " وأين هى ؟ "

فدخل أحمد وناداها فخرجت ، فقال لها عبــد الكريــم " مــا اسمك ؟ "

فلما سمعت أنه يكلمها بلسانها ركعت أمامه وأخــذت تبكــى فسألها عما أصابها ، ومن أية مدينة هى ؟ قالت " أنا امرأة مــن فاتيكا ، وزوجى هناك تركته فى إحدى المدن اسمها مقرفى".

قال " ماذا حدث حتى جئت إلى هنا ؟ "

فأخذت تقص عليه خبرها ، وكيف خرجت من المدينة تبحث عن ابنها ، وكيف خدعت وبيعت ، حتى جاءت إلى هذه المدينة، ولما انتهت من كلامها قال لها :

" والآن ماذا تريدين ؟ "

قالت " لا أريد شيئا إلا ما خرجت من منزلى من أجله ، وهو أن أجد أبنى ، ثم أموت" :

فلما سمع ذلك تعجب لسوء حالها ، وقال لها: " هل تعرفيــن اسم المدينة التى بها أبنك ؟".

قالت " نعم ، لأنهم قالوا لى إن رجلا ذهب به إلى بلدتهم فــى مصر ، واسم المدينة بركوفة " .

قال لها " بركوفة ! وما اسم سيده ؟"

قالت " اسمه عبد الكريم " .

قال " عبد الكريم ، وما اسم الولد ؟ "

قالت " عمر

فلما سمع ذلك قال " الله أكبر ، يفعل الله ما يشاء، أبشــرى ، لقد نظر الله لك بعين رحمته ، اليوم انتهت مشكلتك " .

ثم التفت إلى أحمد وقال له " كم أدفع لك لتحريرها ؟ "

قال " أى شىء تعطنى موافق " .

فدخل وأحضـــــر المال وقدمه إليه ، ثم نادانى، وقال لـــها " ها هو من تبحثين عنه ، وأنا عبد الكريم ".

أمى ترانى :

ثم نظرت إلى وقالت " أنت عمر " ،وانفجرت فى البكاء ، أما أنا فقد وقفت مذهولا ، ثم شعرت بجسمى يقشعر ، وسألت عبد الكريم " من هذه ؟! ولماذا تبكى"؟!

فردت والدتى قائلة " أنا أمك ، أبحث عنك منذ سنوات حتى جمعنا الله اليوم معا " ثم هبت قائمة واحتضنتنى ، أما أنا فقد عجزت عن الكلام .

ثم قال عبد الكريم لنذهب إلى مسكننا ، وعندما ذهبنا عاد لها هدوءها ، وأخذت تقص علينا أخبارها ، وكل ما أصابها وبدورى قصصت عليها أخبارى ، وبعد ذلك قلت " إن شاء الله أذهب بك إلى البلد " قالت " لا أظن ذلك ، فقد ذبلت ، وأعلم أننى لن أعود ، وطالما رأيتك فهذا يكفينى ، أما أنت فأسأل الله أن يعيدك بالسلامة ، وترى باقى أهلك " .

فقلت " لا تقولى ذلك ، ربنا يسهل " .

لقد خارت قواها ، بسبب المصاعب التى تحملتها وفرحة اللقاء التى فاقت الحد ، لذلك لم تقم مرة أخرى ، لقد شاء الله أن نلتقى مرة أخرى ، وماتت بعد أيام قليلة ، فدفناها ، وبعد سبعة أيام واصلنا السير ، وكنت عبارة عن جسد يتحرك ، أما عقلى

فقد كان مشغولا بالتفكير فيما حدث لى ، ومرت الأيــام ، ولــم يحدث لنا شيء فى الطريق حتى وصلنا إلى مــرزوق ، ولمــا نزلنا فى مرزوق ، لم نجد قوافل مسافرة فمكثنا أشـــهر حتــى وجدنا القافلة المسافرة.

مواصلة الرحلة :

عندما قمنا من مرزوق وواصلنا السير حوالى ثلاثة أشـــهر ، حتى شاء الله أن نصل إلى قرية صغيرة اسمها محتد ، وتفرقنا ، لنسأل عن أخبار الطريق الذى سنسلكه ، سألنا كل إنسان فعلمنـا أن الطريق اختفى ، ولا شيء فى الطريق سوى الحــرب بيــن القبائل ، فلما سمعنا ذلك اجتمع كبار رجال الرحلة ليتشـــاوروا فيما سيفعلون، ولكنهم اختلفوا فى الـــرأى ، فبعضـــهم رأى أن نعود، والبعض الآخر رأى أن نواصل السير ، ومن خلال هــذه المشاورات رأيت كيف يعض الناس المال ؛ فكلـــهم يحســبون الربح الذى سيجنونه فقط ، ولمـــا تغلــب رأى الذيــن رأوا أن نستمر، وافق الجميع ، فاستعدوا للرحيل فى الليل .

ولما انتهينا من تناول الطعام ، دق جرس الرحيـــل ، فقمنـــا وغيرنا الطريق خشية المتحاربين ، وانحرفنا داخل الصحــراء ، وكان هذا الانحراف أكبر خسارة لنا ، فمنذ أن رحلنا من محتــد ونحن نسير فى الليل ولم نقابل أحدا ، ولم نسمع أيـــة حركـــة ، حتى طلع النهار ، واقتربنا من بعض الكثبـــان الرمليـــة التـــى جمعتها الرياح ، ولما وصلنا إلى هذا المكان طلعـــت الشـــمس فطلب منا قائد القافلة أن نرتاح ، حتى تنقشع الشمس ويلطـــف الجو ، ثم نرحل ، فنزلنا وأنزل كل منا متاعه من فوق ظـــهر

جمله ، واسترحنا بعد أن نال كل منا ما يشاء من طعام وشـراب ، مكثنا فى هذا المكان ، وذهب هواة التجوال يتجولون ، ونـــام الراغبون فى النوم ، وأخذ البعض يقرأ القرآن ، والبعض الآخر يتحدث فى شئون الحياة الدنيا ، كل منا يفعل ما يريد حتى مالت الشمس تماما.

وبينما كان الجميع مشغول بأمره ، تغير الجو تمامـــا، ثـم سمعنا صراخا من جهة رفاقنا الذين ذهبوا يتجولون ، ورأينـاهم من بعيد يجرون مثل الخراف المذعورة ، فنظرنا جهة المشـرق فرأينا على البعد شيئا أسود داكن كالعاصفة، وأخذ يرتفـع مـن الأرض إلى السماء ، واتجه إلينا، ولم أكن أعرف ما هذا الأمر، ولكن رأيت أفراد القافلة قد أخذوا يجمعون متاعهم ويصيحـون، أما أنا فقد وقفت مذهولا أراقبهم ولم أدرك ما يحدث ، وبعد ذلك رفعت رأسى فرايت هذا الشيء أمامنا كالعاصفة ، ولـــم يكـن للأسف عاصفة فقد كان هواء محملا بالغبار ، ولم يكن بداخـل هذا الغبار إلا الرمال ، فلما وصل إلينا هاج الناس ولم أسـتطع أن أرى شيئا أو أعرف مكان رفاقى ، فتضايقت وعجزت عـن إدراك ما نحن فيه .

نجوت وحدى من العاصفة :

ولا أطيل عليك ، لم تهدأ الرياح إلا بعد وقت طويل ، وعندما استطاعت عينى رؤية الأفق ، لم أر أحدا سواى أو أثرا لجبل الرمال الذى نزلنا أسفله ، فاستولى على الرعب وحدثتنى نفسى بأننى هالك لا محالة ، ثم تذكرت سيدى والجماعة التى كنت معها ، وأخذ قلبى يحدثنى أن الرمال دفنتهم جميعا ، ومع ذلك أخذت أطوف حول المكان وأنادى عبد الكريم ، ولكن لم أسمع حركة واحدة حتى تعبت ، فجلست وانفجرت فى البكاء ، وأقبل على الليل وأنا على هذا الحال ، فنمت فى فضاء الله ومع ذلك لم تغمض لى عين .

وعندما طلع النهار ، قمت وطفت حول المكان مرة أخرى لعلى أجد شخصا على قيد الحياة ، فلم أر أثرا لبشر ، فأخذت أتجول دون أن أعرف لى مقصدا ، ومضت ثلاثة أيام على هذا الحال ، حتى نفد الماء الذى أدخره فى قربتى ، واشتد على الظمأ ، وارتفعت درجة حرارة الشمس ولا مخبأ لى منها ، وعجزت عن الوقوف أو السير ، ورقدت على الأرض أنتظر الموت.

وبعد عصر اليوم الرابع أثناء رقادى ، سمعت صوتا كصوت الجمل ، فدق قلبى ، ورفعت رأسى ، ونظرت إلى الأفق فرأيت جملا من بعيد محملا بالمتاع يقبل على، فقلت "حقيقة إن الله قادر على كل شيء " وأخذت أراقبه حتى وصل إلى ، ووقف فنظرت إليه فإذا به جملى ، فلما ركع أمامى زحفت بجسمى إليه وأخذت قربة الماء ، وشربت ، ولما هدأت نفسى تناولت قليلا من الطعام وأكلت وحمدت الله ، ونمت بجوار الجمل .

وعندما طلع النهار وشعرت بالقوة ، جمعت المتاع وركبت الجمل وقام الجمل وأنا أفكر فى الطريق الذى سأسلكه رأيت الجمل يتبع طريقا من نفسه فلما رأيت ذلك لم أقم بأية حركة وتركته يسير ، حتى أخذت أرى بعض شجر النخيل من بعيد ، وعندما وصلنا إليها رأيت مدينة كبيرة ، وأخذ الجمل يسير حتى وصل بى إلى حافة بئر ووقف ، فنزلت من فوق ظهره اغترفت بعض الماء وقدمته إليه ، وتوجهت إلى إحدى الأشجار وجلست تحتها بالقرب من إحدى القوافل ، ووجدتهم يتحدثون فأصغيت إليهم فسمعتهم يقولون فى مثل هذا اليوم ، وفى مثل هذا الوقت ، إن شاء الله سنكون فى مدينة كوكا فى بلاد برنو ، ففرحت فى نفسى لأننى وجدت المسافرين إلى بلدنا .

ونحن جالسين أسفل هذه الشجرة نتحدث سمعنا صراخا من المدينة ، ثم رأينا الناس يخرجون مسرعين ، ولم يمض وقت قصير حتى رأينا المدينة تنفجر ، ورأينا النار من بعيد تشتعل

فيها ، ونحن جالسين لا أعرف مـا يحـدث ، ولكننـا شـعرنا بالخطر، فقمنا جميعا وتهيأنا للرحيل وركبنا الإبل انتظرنا فـوق ظهورها .

ولم ننتظر طويلا بعد الاستعداد حتى رأينا فرقة من النـاس بالبنادق ، فتفرقنا ، واتخذ كل منا الطريـق الـذى يظـن أنـه سينجيه، وواصلنا الهرب ، وبادر أكثرنـا بـالجرى وقصـدوا المكان الذى خرجوا منه فى الصحراء ، أما أنا فقد دفعت الجمل للجرى تجاه الفرقة المسلحة ، ومررت بهم مسرعا ، وواصلـت الجرى حتى وصلت إلى مدينة كبيرة مملوءة بأشجار الكوكـا ، وأمام أحد المنازل أنخت الجمل بعد أن كادت روحـى تفـارق جسدى.

خرج صاحب المنزل وقال لى " من أين جئت ؟ "

قلت له " من إحدى المدن بعض المحاربين طاردونا"

فقال " لعل هؤلاء الناس من رجال رابح الذين ذهبوا خلـف الفرنسيين ، قبضوا عليه وقتلوه ".

كيف وصلت إلى روتا :

ولم أستطع السفر من هذه المدينة ، لأن جملى كان مريضا ، وبعد ستة أيام قضيتها فيها مات ، وبعد موته بيومين توجـــهت إلى بلدى سيرا على الأقدام ، ومرت الأيام حتى أنزلنى الله فـــى روتا مدينتكم هذه ، وهنا علمت أن ماكو قد مات، ولم يبق لـــى أقارب أذهب لرؤيتهم ، فمكثت هنا ألقى العلم ، هذا هو ســـبب حضورى إلى بلدكم .

" الحمد لله ، اللهم أنت المحمود ، أسألك أن تغفر لنـــا كـل ذنوبنا وما سنفعل من ذنوب ، اللهم أذهب عنى الحزن وحســـد الأعداء ، ونجنا من شر الدنيا والآخرة ... آمين ".

المغـــــامــر

Gandoki

تأليف : الحاج محمدو بللو

مقـــــدمـــة :

لا شيء جعلني أكتب هذا الكتاب إلا أن يجد الناس ما يستمتعون بقراءته . ففي كل أنحاء الدنيا ، حيث يوجد المتعلمون لا تنعدم القصص المضحكة والممتعة التي يكتبها الأدباء بلغتهم ، وها هي لغة الهوسا من لغات الدنيا الكبرى وكثير من متكلميها بدأوا الآن يتعلمون القراءة ، ولكن ليس لدينا إلا الحكايات الشعبية المروية ، لذلك رأينا من الأفضل أن نقترح على العلماء محاولة كتابة قصص الهوسا بأنفسهم لفائدة الناس ، وفي الحال استجابوا ، ومن يقرأ هذه القصة سيرى أن الهوسا لم تحرم من كتابة أصحاب اللفظ الجميل والقصص الممتع .

وهذا هو الكتاب الأول الذي وصل إلينا ، وأعددناه وأمرنا بطبعه ، ونعد الآن غيره وسيطبع بإذن الله.

وقد وضع الأستاذ بللو هذه القصة عن المغامر والحروب التي خاضها ، وما كتبه عن حرب كونتا جورا لا شك فيه ، فقد كان ممن نجوا منها ورآها بعينه ، وقد عمد إلى خلط الحقيقة بالخيال .

ولد الأستاذ بللو في كاجر مداكن تيجنا ، ولكن والده من سكوتو ، وقد دخل الشيخ عثمان سكوتو مع جده ،

ولما استولى الإنجليز على " بيدا " في سنة ١٩٠١ ميلادية، كان بللو في هذا الوقت مدركا للأمور ؛ فقد كان عمره عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة ، وقد عين والده قاضى كاجرا ، وقد تعلم العربية على يده ، ولما أنشأ الإنجليز مدرسة في كانو بعث به إليها ، ولما تخرج منها اشتغل بالتدريس .

ونرجو أن يقتفى الآخرون أثره حتى تعم الكتب النافعة والممتعة أنحاء البلاد .

مكتب الترجمة ، زاريا

مايو سنة ١٩٣٤

لقد خص الله جنطوكى القائد العسكرى بطول العمر وخوض غمار الحروب واقتحام الأخطار ، لذلك تجده فى كل أماكن اللهو المرح ، وهو لا ينتظر الدعوة لنجدة المستغيث ، فحينما تسمع الهرج والمرج تجده بين الناس لا شيء إلا ليتفرج ويقص ما رأى ، ولذلك يقول الناس له " يا أبا جربا لا تتدخل فيما لا يعنيك "، ولم يكن حب الكذب من عادته ، فلا يقول إلا ما يراه بعينه أو يحسن سماعه ؛ لذلك لجأ إلى العلماء ليمدوه بالتمائم المختلفة للنجاة من المكروه .

وقُضيت حاجته بحصوله على هذه التمائم ، لأن كل من حصل عليها ، ينجو من كل المصائب ، حتى لو دقت عظامه فى الهاون ينجو بإذن الله .

وذات يوم جمع الأطفال حوله ، وأخذ يقص عليهم أخبار الحروب التى خاضها جميعاً، أخبرهم أنه حارب مع الشيخ عثمان بن فوديو فى مدينة الكلوا Alkalawa والوسا Alwasa وتسنتسوا Tsuntsuwa وغيرها من

المدن ، وكان من ضمن من ذهبوا مع أمـــير المؤمنيــن بللــو إلى قبيلة جوارى Gwari فى عهد الشـــيخ عثمـــان ، وكـــان مشتركاً فى كل الحروب التى خاضها الفلاتـــا حتـــى اســـتولى على إمارات الهوســا ، وكــان أحــد العيــون فــى الحــرب الأهلية فى مدينة كانو ، والتـــى أشـــعلها المعلــم خليــل فــى بوتشــى .

وعندما خـــرج عمـــر نجوامتسـا Nagwamatse بجيشـــه لمحاربة قبـــائل بســاوى Basawa وكامكــاو Kamukawa ودكرضــــم كــــــراوى Dakarkarawa وجــــــواروى Gwarawa كان جنطوكى ضمـــن جنـــوده ، وعندمـــا عــاد إبراهيم أمير كونتاجورا إلى مدينة جوارى فـــى عـــهد الأمـــير برو كان ضمن جنوده ، وهـــو الـــذى طـــارد أمـــير مرطـــى Maradi التى استنجد بها الجـــوارى، وعندمـــا رأوا ألا مفـــر استسلموا ، وتصادف فى هذا الوقت ظهور رابــــح فـــى بـــلاد الكانورى حيث أثار الفتنة ؛ فلمـــا وصلتـــه الأخبـــار أســـرع إلى هنـــاك .

قال الأطفال " عجبا أيها القائد العســـكرى ، ولـــم تمـــت ؟ ولم تصبـــك أيـــة مصيبـــة فـــى كـــل هـــذه المعـــارك التـــى خضتــها؟".

فهب واقفاً فى زهـــو وأخـــذ يقـــول " أننـــى البـــذرة التـــى تمكث فى التربة حتى العام التـــالى ! فليعلـــم الأطفـــال إننـــى

المغامر ، كيف يصيبنى الهلاك بعد أن نجــوت منـــه ؟ وهـــا أنا أحمل التميمة التى تنقذنى من كــل الأخطـــار ، لقــد كنــت أستعد لمحاربة الجن فما بالكم ببنـــى آدم ؟ إن كــل العفـــاريت المردة فى هذه الدنيا قـــد انتصـــرت عليـــهم ، إننـــى الحديـــد الذى يفل الحديد ، إننى أبو جربــــا ! أنـــا المـــارد العمـــلاق ، الذى أفزع الناس وهو وليــــد " .

وهناك ما يفوق هذه المعـــارك جميعـــاً ، وهـــى الحـــروب التى خضناها مع الأوربييـــن منـــذ هبوطـــهم علـــى الســـاحل حتى جاءوا إلى الغابات فى بلاد اليوربا وبيــــدا ، وأنـــا الـــذى استدرجتهم إلى كونتا جورا، بمدافعـــــهم الرشاشـــة والســـريعة الطلقات وبنادقـــهم المختلفـــة، ولمـــا رأيـــت الهزيمـــة حلـــت برجالنا تركتهم وذهبـــت إلـــى بـــلاد الـــهند حيـــث خضـــت المعارك فى صفوف الجـــن " .

وعندما سمع الأطفال ذلـــك ألحـــوا عليـــه ، حتـــى يقـــص عليهم الحروب التـــى خاضـــها ضـــد الإنجلـــيز ، والمعـــارك التى قادها فى صفوف الجن ، فقد كـــانت أمنيـــة أى طفـــل أن يسمع أخبار السنين الماضيـــة .

قال " حقاً ، ولكن هذه الأخبــــار ســـبق أن قرأتموهـــا فـــى كتب التـــاريخ " .

قالوا " ومع ذلك ليست كما ترويـــها لنـــا ، لأنـــك شـــاهدت هذه الحروب بنفسك ، وعرفت كل صغـــيرة وكبـــيرة فيـــها ،

تعرف بدايتها وتعرف نهايتها ، وأنت تعرف مــــا يــأتى فـــى الكتب من أخبار ، وتعرف الأخبار التـــى نحـــب أن نســـمعها، وليضحك الكبار أيضاً وتملأ النشوة قلوبـــــهم ، ومـــهما قــص الناس هذه الأخبار فلن يقصوها مثلك ، ولــــن يقصـــوا علينـــا كل شيء كما نريــــد ، ونحـــن لا نريــد أخبـــاراً تاريخيـــة ، ولكن نريد ما يضحكنــــا " .

قال " وهو كذلك لقد أعطيتـــم القـــوس للصيـــاد المـــاهر ، وسألتم من يجيد الرد الشافى ، فليصـغ كل منكـــم إلـــىّ ليســـمع ما يشتهى من الأخبـــار " .

الأخبار التى رواها جنطوكى القائد العسكرى:

نبدأ باسم الله ، ونصلى على أفضل الخلق ، ونسأل الله أن يقبض روحنا على الدين الإسلامى والإيمان، آمين ؛ برحمته التى وسعت كل إنسان ، وليس بفضل عملنا ، ويجلعنا فى حماية نبيه يوم القيامة ، ببركة شيخنا أحمد التيجانى " رضى الله عنه ، آمين " ويعفو عما فعلنا من آثام ، وما سنفعل ، بدرجة أصحاب الدرجات ، آمين، تسمعون منذ نشأتكم أنه يوجد بعض الناس يخرجون من الماء ، يكتبون بلعاب فمهم ، وإذا تكلموا يتصاعد الدخان من فمهم ، لا يأكلون إلا البيض ، لهم أربعة عيون، سيأتون للسيطرة على هذه الدنيا كلها ، وقد صار هذا الكلام كقصة شبيهة بما يذكره السمار بالليل . ومرت الأيام حتى تجاوزتم السابعة وأصبح هذا الأمر حقيقة. التجار القادمون من بلاد الغابات يخبروننا أن الإنجليز يحاربون الوثنيين فى بلاد اليوروبا ، ولا يستطيع أحد الخروج من هذه البلاد أو الدخول إليها .

فلما سمعنا ذلك أخذنا نتهيأ فى شمال نيجيريا لملاقاتهم، فأعددنا السموم للحراب ، والأسلحة والدروع

وحوامل الذخيرة ، والتمائم التى تعلق فى الذراع ، وسألنا الله أن يأتى بهم إلينا لأننا شعرنا أن لدينا البنادق والحراب والسهام الملوثة بالسم الدفين الذى يقضى على ذريتهم . والفرسان الذين لو أضرمت النيران وطلب منهم خوضها ما تخلفوا للفتك بالعدو ، واتباع أوامر قادتهم ، إلى جانب فرساننا المشهورين مثل مالم حسن وابنه، جمفى Jimfi فى كوناجورا ، ومداكن تيجنا فى كاجرا ، وبونا الذى ينظر لعدوه نظرة احتقار فى باقو Bako وقور هسو Kaura Hasau فى مرطى ، وطنويرى فى كتسينا ، وحرمى فى كانو ، وأحمدو فى دمجرم ، وكنشلا فى برنو، وتجوى دوتسى فى ززو ، وميتوراری فی سکوتو ، وبرو فى مدينة جوارى ، ومججى ابن ياموسفى كفى ، وسما فى أرجنجو ، وطنياى فى ننجى ، اتحدوا جميعا مع ماكو Makau رئيس قبيلة نوفى . وهم كثيرون لا يخشون أحداً، إذا حمى الوطيس ، انظر مثلاً ابن أمير روما ابن طنويرى الذى ضرب بالسهم فى عينه ، فوقف أبوه وطلب أن ينتزع منه السهم ، وإذا دمعت عينه سيقطع رأسه ، فليس ابنه ، وقد حدث فعلاً ولم يغمض له جفن ، وكذلك مداكى كنباقو أيضاً فى كاجرا ، الذى طعن بالسهم فى قدمه ، وحاولوا انتزاع السهم فلم يستطيعوا فلواه وانتزعه ثم وضع رجله فى الركاب ونزل من فوق

ظهر الحصـــــان وهــو يــردد المثـل الهوســوى " الرجــال يتشابهون فى الملامح ويختلفون فـــى الطبـــاع " .

لقد سمعنا أن الإنجليز ظلوا يحاربون الوثنييـــن فـــى بـــلاد اليوروبا سنين طوال ، يعانون من القتال مـــع نســائهم فقـــط ، فلما سمعنا هذه الأخبار قوت عزيمتنـــا ، وتحفزنـــا لملاقاتـــهم إذا دفعهم الله إلينا ، حتى مل أطفالنـــا والمداحـــون انتظـــارهم، فنظموا فيهم شعراً يقولون " لقد تأخر النصـــارى ولــم يــأتوا، أين هم النصارى ، وأيـــن جنودهـــم ؟ " وأخـــذوا يرقصـــون رقصة الشباب ويضربون الأرض بالعصـــا لشـــدة ســـرورهم وانتظار وصولهم . وللأسف لــم يعرفــوا أن وصولـــهم أمـــر وهزيمتهم أمر آخر ، لأنى شاهدت حروبـــهم مـــع بعضـــهم ، وأعرف كيف يحـــاربون ، ولا أدرى مـــا يخفـــون ، ولـــم أر إلا الهجرة والنزوح بسبب الخوف والجـــوع ، الـــهجرة التـــى لا رجعة بعدها ، والفرار فى ظلام الليل كما قلـــت لـــهم " مـــا شأن جنطوجى لو طحنت عظـــامى فـــى الـــهاون ، ســـأنجو منهم بـــإذن الله .

وبعد قليل ونحن فى كونتا جـــورا ، ســمعنا أن الأوربييـــن استولوا على بيدا بالحرب ، وكان أميرها أبـــو بكـــر ، الـــذى كان الناس يمدحونه بقولـــهم " أبـــو بكـــر قـــاتل الأوربييـــن " كان مـــن أبنـــاء مســـبا Masaba ،وله شـــهرة واســـعة فـــى

مجال الحرب والكرم ، حتى صار ما يمدح به أمراء الهوسا.

عندما نزل الأوربيون بيدا وجدوا كثيراً من المحاربين ببنادقهم الكثيرة، ولم يجدوا ماكو الذى ذهب مع بعض ، رجاله الشجعان إلى إحدى البلاد المجاورة ، فلما سمعت ذلك قلت لن أدع هذه الفرصة تفوتني ، فحملت أدوات القتال ثم توجهت إلى هناك ، وتركت نسائى وابنى جربا جاجرى وفرستى الشهباء وباقى م 'عى فى المنزل ، واتخذت طريقى ولم أتوقف إلا فى بيدا، وقبل أن نصل إلى ليبين Lepene قابلنا شقيق الأمير الأصغر فى سكبى Sakpe وواصلنا معا ، ومكثنا ثلاثة أيام نقاتلهم ، ولما أدركنا أن جنودنا على وشك الهزيمة ، عدنا وأخبرنا الأمير ، ولكنى قلت فى نفسى " هذا أمر خطير " .

ثم أعد التوفاويون العدة لقتالهم ، وتخلف الأمير أبو بكر فى قصره فترة يدعو لهم بالنصر، فلما انتهى أعد أدوات القتال وحمل التمائم ، وخرج وامتطى ظهر حصانه وكأنه الأسد لما وهبه الله من هيبة وجمال .

وجاء أحد خدم الأمير بحصانه يعدو ، وركع أمام الأمير وحيّاه قائلاً أطال الله حياتك، لقد هزم رجالنا، إذا لم تخرج إليهم حالاً ستدور الدائرة عليهم ، إنى تركتهم وحواجبهم ترتعد، وعروق جباههم منتفخة من شدة

الغضب والحمـــاس ، فقصـــد ميـــدان القتـــال ، ونـــزل فـــى العراء، وجلس وأخـــذ ينتظـــر علـــى أحـــر مـــن الجمـــر أن يستفزه الأعداء، حتى أخذت الطلقـــات مـــن بنـــادق العـــدو تنهمر فوق رأسه كالمطر ، فلم يلهه كل ذلـــك عـــن تحريـــك حبات مسبحته بأنامله ذاكـــرًا الله ، حتـــى إذا تكـــاثر الرمـــاد والأتربة على ثيابه مد يديه ونفضـــها مـــن فـــوق قميصـــه ، دون أن يصيبـــه أذى .

وبعد ذلك أمر جنـــوده أن يركعـــوا ويطلقـــوا النـــار مـــن بنادقهم ، حتى عظم الغبـــار وارتفـــع إلـــى الســـماء ، وهـــاج الناس ومـــاجو ، واستشـــهد كثـــير مـــن الجنـــود فـــى هـــذه المعركة، وقتل فيها سابو بن مالك وبشارو بـــن علـــى جنـــدى وكثير غيرهمـــا .

ولمـــا حمـــى الوطيـــس قـــال أبـــدا مـــا ســـينجا Ubda Masinja للأمـــير إذا لـــم تنســـحب مـــن المعركـــة ســـيفنى رجـــالك .

ولما قام لم يدخل المدينة بل طـــاف حولـــها وتوجـــه إلـــى ليمو Lemu ، استسلمت المدينة ، ونجا كـــل إنســـان بنفســـه، ولما انقشع غبار الحرب ذهبوا إلى أبـــى بكـــر أمـــير نوفـــى يخبرونه بانتهاء القتـــال .

وعاد أبو بكر أمير نوفـــى ووقعـت اتفاقيـة ، وذات يــوم دخل أحـــد الأوربييـــن علـــى الأمــير دون إذنـــه ، فــأمرنى الأمير أن أقطع عنقه بالسيف ، فأثار هـــذا الحــادث الفتنـــة ، فقلت " لا أبالى، ما شـــأن جنطوكـــى " ، ولمـــا أدرك الأمـــير سوء عمله ، وأنه بمثابة نقض الاتفاق، خـــرج وقصـــد لافيـــا ومنها إلى كفى Kafi ، وهو فى حـــيرة ورعـــب .

وسمع أن الأوربيين طـــردوا إبراهيـم ، وأنـــه الآن يقيـم فى ززو Zazzau ، ومن هناك قصد إلى زاريـــا والتقـــى بـــه فى قاى Kaya ، وأكرمـــه كواســـو Kwasau أمــير زاريـــا كثيراً قبل أن يغادر المدينـــة ، وعندمـــا وصـــل إلـــى مســـكا Masaka نزل فى حـــى ياكوروتـــاوا Yakurutawa ، ولـــم يتوجه إلى ميدان القتـــال .

وبعد أن غادر الأمير أبو بكـــر بيـــدا عيّـــن محمـــد مـــاكو أميرًا لنوفى ووقع الصلح مع الأوربييـــــن ، فقـــد جـــاءوا بـــه من إحدى البلاد المجاورة حيث كان يقـــود الحـــرب ، وعـــاد الناس إلى ما كانوا فيـــه ، وأخـــذ كـــل منـــهم ينعـــم بالحيـــاة الهادئة ، لن يستطيعوا القبض عليه ، وهكذا انتـــهى الأمـــر.

بعد ذلك غادر الأوربيـــون بيـــدا قـــاصدين كونتـــا جـــورا Kwantagora لقد صارت المنقطة ملجـــأ للمجرميـــن الذيـــن جاء بهم طيشهم إلى بلادنا ، ولقـــد ســـررت بتحركـــهم إلـــى مدينتنا ، فتنكرت وتبعت جنودهم ومعى خـــادمى إنـــدا غانـــا

الذى التحق بخدمتى فى بيدا ، وواصلنا السير حتى وشيشى Wushishi ، وأكرم محمد قاضى وشيشى وفادة الأوربيين (لأن أمير وشيشى إبراهيم بن موديبو كان فى كونتا جورا) وقد توجه كبار رجال المدينة إلى مججى دودو Magaji Dodo بن تنيطو ونصحوه بألا يقدم للأوربيين شربة ماء ، ولكن القاضى كان يؤثر عدم إثارة المشاكل .

وكان رأى القاضى أن العدو الذى لا نقدر على مواجهته يجب مهادنته ، فقلت له إننى أشعر بشعورك، ولكن لابد أن نقاتلهم .

ولما طلع النهار طلبوا رجالاً يحملون لهم متاعهم ، فأثار هذا حفيظة سكان وشيشى ، وفى المساء تسللت إلى منزل القاضى ، وناديت عليه فخرج ، وهو لا يرتدى إلا الحِرام (لشدة الحرارة فى غرب أفريقيا يخلع الرجل ملابسه أمامنا ويلف جسمه بملاءة كالحِرام) فأمسكه إندا غانا وقطعنا رأسه ، وتوجهت إلى الأمير وأخبرته بكل ما حدث وقدمت إليه رأس القاضى هدية .

قال "إننى أحبك ، أحسنت صنعا ، إن جنونك كثيراً ما يفيد " فقلت "إنه يفيدنى ويفيدك " .

وفى الصبــاح علــم الأوربيــون بمــا حــدث للقــاضى ، فغضبوا أشد الغضب لهذا الأمر الــذى أســاءهم .

ولما أقبل الليل أضاءوا مصباحاً ذا لـــون بــاهر ، تنبعــث من ضوئـــه ألــوان مختلفـــة ،ولمــا رأى السـكان المصبــاح أصابهم الرعب وفــروا إلــى أوجــو Ygu وتيجنــا Tegina وكاجرا باحثين عــن الأمـــان حــول كونتــا جــورا ، وقــد أشعلت هذه الفتنة جرمى بن جــارا Jarmi Dan Gara حاكم أوجــو .

وقال جربى إنه لن يتحرك إن لــم يــر كونتــا جــورا قــد استولى عليها الأوربيون وعاش السكان فـــى رعــب ، وبعــد أن أحرقت المدينة ، عاد سكان أوجو فـــى الصبــاح وأزالــوا الأنقاض وأقاموا فى المدينة ، ولكنـــهم لــم يفكــوا أمتعتــهم ، وهكذا استمر الحال فترة طويلة ، وقــد عــاش جيرانـــهم فــى مدينتى تيجنا وكاجرا فى رعب شــــديد .

وأخيراً جمع أمير الســـودان رجالـــه وشــاورهم فيمــا إذا كان يحارب الأوربيين أم لا ، وإذا كانوا قــد جــاءوا للقبــض عليه وأخذه أسيراً فها هو ذا حتى تعيش البـــلاد فــى ســلام لا يهلك النــاس.

وهنا وقفت قائلاً " لن يكون هذا " ووافقنــــى طنجــلا ديمــا بووايـــــــى GaladimaBuwaye Dan وأبندومـــــــــا

Ubandome وباقى الأمراء ؛ فقــالوا جميعــاً " لــن يكــون هذا ، أطال الله حيــاة الأمــير ، لابــد أن نفعــل كمــا قــال جنطوكى ، لابد أن نواصــــل القتــال ، إن الســودان جميعــاً يرهبنا ثــم يــأتى الأوربيــون ويقبضــون عليــك ، كــالمرأة ونحن أحفاد الشيخ عثمــان بــن فوديــو الأفريبيــن ، ويقــول الناس عنا إننا استسلمنا من أجل الصلـــح ولــم نقــاتل قتــالاً مريراً ، ولا ندع لأبنائنا ما يفخرون به ، لــــن نستســلم ولــن نترك العار لأبنائنا من بعدنا إلى الأبد .

قال الأمير " وهو كذلك ، لقد قلت هـــذا القــول لأبلوكــم ، وأعرف ما تفكرون فيه وما رأيكم ، نســأل الله أن يــأتى بــهم لنسومهم مر العــذاب.

وفى اليوم الثالث بعـــث الأوربيــون ثلاثــة رجــال إلــى الأمير ، وفى طرفة عين قطعت رأس اثنيــن منــهم بســيفى واويلو قبل أن أستمع إلى رسالتهم ، وطلبــت مــن الثــالث أن يعــود ويحمــل الخــبر إلــى الأوربييــن ، وأخبرتــه أننــى جنطوكى والد جربا القائد العسكرى لجيـــش المســلمين الــذى لا يقــهر.

وأخذ الرجال يعدون العدة للقتـــال مــن دروع ، وخــوذات حديديــة وبنــادق وســيوف وســهام ... ولشــدة حماســـى واستعداد كل من تلقاه من الرجال يخيل لـــك أنـــهم يســتعدون ليوم العيد ، أو حفل هام ، ولم يكن إلا شـــوقاً للشــهادة .

وفى يوم الخميس بعثوا برسولين آخرين ، فقال لى الأمير " لا تقتلهما ، لا يقتل الرسول ، ولكن دعهم ليعودوا ويخبروهم أننا على استعداد للقائهم ، وكان كل من ينظر إلى وجه الأمير يشعر أنه مستعد لقتالهم حتى الموت ، بدأ جنودنا يخرجون إلى بوابة نجوارجى Nagwarji منذ يوم السبت .

وفى يوم الأحد العاشر من شهر شوال ، التقى الفريقان وأخذ كل منهما يتبادل الكر والفر ، وكان كل من يرانى فى هذه المعركة يدرك أنه لا مثيل لى فى هذا الزمان ، وكان ابنى الكبير جربا يقتفى أثرى حينما سرت ، حتى أخذ الناس بمدحونه قائلين " جربا رجل الرجال ، لم يكتسب الشجاعة ولكن ورثها ، حينئذ طلبت من أليارا Aliyara قائد المشاة أن يصطف الجنود فلما اصطفوا أطلقوا بنادقهم فملأت السماء بالدخان ، وصمت الأذان من شدة صوت البنادق التى انطلقت من كل مكان ، وصارت كعاصفة غير ممطرة ، فتسللت إلى صفوف الأعداء ، وأخذت أحصد رقابهم وأنا أنشد أنشودتى المحببة"من الذى لا يعرف المغامر والد جربا ، أنا الأسود خادم الأمير ، قل للرجال إننى جنطوكى " .

وأثناء هذه المعركة قتل جلاديما بجيلى Mujaili وميجرى جبودبى Mai Gari Gwadabe وكثير غيرهما، ولولا أن الله قد كتب لى الحياة لقتلت فى هذه المعركة ، وكان ميجرى جودبى قد توضأ وصلى قبل أن يخرج من منزله وسأل أهله المغفرة ، وودعهم قائلاً " أسأل الله أن يجمعنا فى دار السلام "وسبب ذلك أن الناس أشاعوا عنه منذ البداية أنه جبان ويستعد للفرار مع أولاده خوفاً من لقاء العدو لأنهم لم يسمعوا كلمة منه حينما استشارهم الأمير فى أمر الحرب ، ولكنهم لم يحسوا بما يضمر فى نفسه.

ولم يهزم الجاموا ساوا إلا المدافع الرشاشة التى أطلقتها عليهم ، وكان الفرسان يحاولون التقدم ، ولكن الخيول كانت تتراجع خوفاً من أصوات المدافع ، التى لم تسمعها من قبل ، فلما أدركت ذلك غضبت ونزلت من فوق ظهر الحصان ، وأخذت درعى وهجمت عليهم وأخذت الخسائر تتهال فىهذه المعركة ،حتى أخذت الخيول تشب على رجليها الخلفيتين وتوقع فرسانها ، اللهم قنا من رؤية هذه المناظر المؤلمة ، وسماع هذه الأخبار السيئة، آمين .

ونزل أمير السودان وجلس القرفصاء ، غضبان آسفاً ، لا يحركه شيء ، وكلما هجم عليه الأعداء نهرهم جميعاً ، المعتدى والمعتدى عليه فيفر الجميع .

وعندما يئس الأمراء من النصر وبعد أن ازدادت الخسائر فى الجنود قالوا للأمير " أطال الله حياتك ، إن المعركة التى لا تستطيع كسبها الأفضل الانسحاب منها ".

حاولوا كثيراً إقناعه بالانسحاب من المعركة ولكنه رفض ، فذهبت إليه وقلت له "أطال الله حياة الأمير " خير من الفرار نحاول مرة أخرى .

قال " لن أخالفك فى هذا الأمر " وقبل أن يقوم هداهم الله إلى حيلة ، فأمروا أن يغلق قصره ، والباب الذى سيدخل منه ، لأنهم يعلمون أنه إذا سبقتهم دخل المدينة سيتجه إلى قصره، ولن يخرج منه أبدا ، وسيكون موته مؤكداً وحتى لا يحدث ذلك فكروا فى الحيلة التالية.

عندما ركب وقصد المدينة وجد باب المدينة مغلقاً، فقال " لا حول ولا قوة إلا بالله " إن الأمراء الذين أمروا بذلك خدعونى ، وأدار حصانه وطاف حول المدينة، وفى الحال اشتعلت الحرب فى المدينة !! لا حول ولا قوة إلا بالله ، فعال لما يريد ، لقد سيطر الرعب على المعركة وأخذنا نقتل بعضنا البعض لشدة ما أصاب المكان من اضطراب وأخذ الجبان ينجو بنفسه ، وأخذ الكبار

والصغار يفرون إلـــى الغابـات زرافـات كأنـهم الجـراد ، يعانون من الظمأ والجـوع ومشـقات السـير فـى الغابـة ، يسيرون حفاة فيمـا تثـيره الخيـول مـن غبـار ، وحـرارة الشمس المحرقة وما تكبدوه من خسائر أثنـاء فرارهـم فـاق ما تكبدوه أثناء المعركـة .

سرنا فى الطريق وجعلـت زوجتـى فـى المقدمـة يليـها ابنى جربا جاجرى ؛ وفرستى الشهباء، وخـادمى إنـدا غانـا، ولم أر فى هـذا اليـوم مـن لـم يتملكـه الغضـب إلا أحـد المجانين الذي كان يسمى كواسو أمـير الحـرب ، فقـد كـان يجرى ويقلد الفارس فـوق ظـهر حصانـه ، كـان يتمنطـق بخرق بالية ، ويعلق قرعة الماء وتميمة فـى ذراعـه ، ولـم يأبه بما حولـه .

وبعد ذلك اجتمع سـكان وشيشـى وأوجـو وكـاجرا مـع الأمير فى غابة وشيبا ، لقد كان هـذا الفـرار أمـراً محتمـاً علينا ، حتى أهل البـلاد الأصليين كـانوا بيـن الفـارين ؛ لذلك كان وثنيو أنجوى يسخرون منـا ويطبلـون ويرقصـون قائلين " يجرون بمتاعهم فراراً من النصـارى " لقـد أضنـى هذا الفرار أشجع الشجعان ، وقد جريت معـهم حتـى تعبـت، وعانيت من الظمأ والجوع ، حتى سقطت فـاغرا فمـى ..

وأثناء الليل لدغ الثعبان خادمى إندا غانـا فوضعتـه علـى ظهر الفرس وسـحبها جربـا جـاجرى ، وكـانت زوجتـى

تركب خلفها طفلها الرضيع ، وربط الثلاثة فوق ظهر الفرس بشال العمامة خشية سقوطهم أثناء النزول إلى النهر، أو أثناء النعاس فى الليل .

وكان جربا جاجرى يعلق فى كتفه قرعة الماء ، بينما يعلق إندا غانا قرعة الحبوب التى نتخذ منها طعاماً فى مقدمة السرج ، وكان كلما أخذ بيده حفنتين من الحبوب ليأكلها قدم لمن خلفه حفنة واحدة ــ لعن الله الشخص الأنانى ، الذى لم يرحم المرأة العجوز ــ حتى لاحظ جربا جاجرى ذلك ، فكان إذا أحس بالظمأ يضايقهم ، قدم لهم الماء ليبلوا ظمأهم ، وإذا انتهى الماء قبل أن يجدوا ماء آخر ، أخذ يبحث لهم جربا عن ورق الكلجو فيمضغونه ، حتى يسيل لعابهم .

وفى الطريق رأينا امرأة تربط رجليها بالخيوط التى تربط بها شعرها حتى صارت كالحذاء، وأخرى تسقط فاغرة فاها وهى على وشك الموت ظمأ وجوعاً فى حالة إغماء هى وطفلها ؛ بعض الرجال يفترقون عن عائلاتهم ولا يعرف كل منهم مصير الآخر ، نسأل الله أن يقى كل مسلم من شر الفتنة والحزن فى الدنيا والآخرة ، آمين .

وبينما كنا معسكرين فى الليل فارقت هذه المرأة الحياة، وأخذ الدود والصديد يخرج من رجل إندا غانا التى لدغها الثعبان بعد أن ازدادت سوءًا . وفى الصباح

وضعت عائلتى علـــى ظـــهر الفـــرس وربطتـــهم ، وســـلمت الزمام لجربا جاجرى ، وأخذ الخادم يـــترنح مـــن شـــدة الألـــم حتى كاد الجميع يسقط من فـــوق ظـــهر الفـــرس ، وأخـــذت الرائحة الكريهـــة تخـــرج مـــن ضمـــادات الجـــرح المهلهلـــة والملوثة بالصديد ، وفجأة نفد المـــاء فســـلمت زمـــام الفـــرس للخادم المريض ، وذهب جربا جاجرى إلـــى الغابـــة ليبحـــث عن المـــاء.

لم أعد إليهم إلا فـــى المســـاء ، فوجدتـــهم جالســـين علـــى شاطئ النهر يحدقون بأعينهم ، فلمـــا أدركـــت اليـــأس علـــى وجوههم سألتهم ، فقال إندا غانا " لقـــد نزلنـــا إلـــى النـــهر ، ولما شددت زمام الفـــرس لنصعـــد إلـــى المرتفعـــات ســـقطنا جميعاً فى الماء ، وقد شاء الله أن تقـــع المـــرأة العجـــوز فـــى ناحية وأنا فى ناحية أخرى ، فأنفجر فـــى البكـــاء والنحيـــب. ولم يسمع لنا صوت إلا الله لخلـــو المكـــان مـــن العـــابرين . وحاول كل منا الصعود ، حينئذ تذكرت أننـــى رجـــل، فقمـــت وأمسكت الفـــرس وصعـــدت بـــها وربطتـــها فـــى شـــجرة وجلست ، وجمعت العجوز متاعها وجلســـت عليـــه، أظلمـــت الدنيا فى عيوننا وأخذ كل منا يلـــوم الآخـــر ، ولـــم يســـتطيع أحد منا الحركة حتى جئت إلينـــا " .

ونحن على هذا الحـــال وصـــل جربـــا جـــاجرى حـــاملاً القرعة مملوءة بالماء ؛ فغمرنا السرور وفغر كـــل منـــا فمـــه

وكأنه سيلتهمه ، إنه رجل يساوى عشرة رجال ، عظيم ابن عظيم ! وبعد أن شربنا الماء هدأت نفوسنا ، فحملتهم على الفرس وأمسكت الزمام وواصلنا المسير.

واصلنا السير حتى وصلنا إلى مدينة جوارى ، ولأننى قائد عسكرى ذهبت إلى قصر الأمير بنفسى وقلت له " أطال الله حياتك ، إننا فارون ، الأوربيون يتتبعوننا مع برو Barau أمير جوارى وأنت تعلم ما بيننا وبينه ، ولم يبق بيننا إلا مرغما وبالقوة ، ومعروف بين الشجعان ، وقديماً قالوا إن الضرورة هى التى تجعل الإنسان يهادن عدوه ، وهى وحدها التى جعلته يبقى بيننا ، ونخشى أن نطلق سراحه فيذهب إلى مدينة جوارى فيجمع منها الرماة، وينتقم لما فعلناه به فنقع فى حيرة من أمرنا ونكون كمن وقع بين الذئب والنمر أو بين شقى الرحى ، فيهلك بعضنا بعض .

قال الأمير " وهو كذلك يا جنطوكى وما الحيلة الآن ؟"

قلت " الأمر بيدك ، أنت تعرف ما ينبغى أن نفعله، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، لقد تركت لك الأمر فأنت اللحم وأنت والسكين " .

قال " اذهب وأتينى به "

وفى الحال أخذت بعض الفرسان ، وذهبنا إليه ، فوجدناه يصلى العصر ، فأمرت أن يحيطوا به وينهالوا عليه ضرباً وطعناً ، ولكن لم يؤثر فيه شىء من هذا ، فهجمت عليه وأمسكت عنقه ولويته بقوة شديدة قائلاً : "إذا كنت تعرف شيئاً فقد غابت عنك أشياء ، إننى جنطوكى الأسود ، خادم الأمير ! "

ولما عدنا وأخبرنا الأمير ثار غاضبًا لأنه لم يأمرنا ، وقال " لا أحد يفعل هذا إلا أنت يا جنطوكى هكذا تفكيرك دائمًا ، لا تفعل الأمر كما ينبغى" .

وقال بعض الناس ممن لا يدركون الأمور ، إن أهل جوارى بعثوا إلى أمير السودان بكل شىء عن أحول برو، لأنهم يريدون الخلاص منه والنجاة بأنفسهم ،حتى لا يدخل المدينة ويثير فيها الفتنة ، ويصير مصدر الفتن لهم ؛ لذلك دبروا هذه المكيدة له ، ولكنهم يخبطون خبط عشواء ولم يكن الأمر كذلك ، نسأل الله أن يتوفانا على الإيمان مسلمين لله على كل حال !!

وهكذا قضينا يوما فى الطريق وسط الغابة لا نذوق طعامًا ، إلا عندما نحط الرحال ويذهب الفرسان للسلب والنهب ، كان بعضهم يحرق القرية وينهب ما فيها ويبيعون ما سلبوا من حاصلاتهم الزراعية ، وكان البعض يتمكن من الفرار فيذهب المغيرون إلى منازلهم

ويفتشونها، حيث يجدون بعض الدقيق وبقايا الثريد الذى صنع فى اليوم السابق ، فيحملونه إلى أهلهم ليأكلوه .

وهكذا حتى وصلنا إلى فاتيكا ونزلنا فيها ، وكانت مشتعلة بالحرب ، وكانت تحت إمرة الأمير الفولانى محمد تكنير Muhammadu Tukunyar جوارى Gwari وقد نهب جيرانهم تمامًا ، وأثرنا الاضطراب فى مدينة ززو ، مما أثار غضبة أهلها ، لأنهم لم يعرفوا ما ستسفر عنه الأمور ، وأخذ أميرها كواسو Kwasau يدفع بجنوده المزودين بالبنادق إلى فاتيكا ، وتصديك لكل من يريد بك الضر حلال فى نظر الشريعة الإسلامية ، وواجب على كل جائع أن يبحث عما يشبع به معدته هكذا حكم الله .

وأصبح الظاهر أن الحرب مع فاتيكا ، ولكن الواقع أنه كان مع أهل ززو ، ولا شك فى ذلك ، وكان لكل أمير من أمراء كونتا جورا يحلم بقصر فى ززو يعده للإقامة فيه لأى سبب من الأسباب ، فقال أهل ززو " اتركوهم مطرودين ، إنهم لم يصنعوا شيئًا طيبًا يدافعون عنه " ولا تجرى فى عروقهم دماء الشيخ عثمان ، ولم نسمع أنهم حاربوا تحت رايته فكفانا الله شرهم.

وبعد هذا القول أنزل الله البلاء فى معسكرهم ، فأصيبوا بوباء الجدرى ، وصارت القبور فى كل مكان

كأنها خطوط اليام (يدفن الموتى فى نيجيريـــا كمـــا يدفنـــون فى المملكة العربية الســـعودية وتكـــون القبـــور علـــى هيئـــة خطوط كالتى تعد لزراعة القطـــن أو اليـــام) ، ولـــولا أن الله أراد أن يبقى على بعض خلقــــه مــــا بقـــى أحـــد منـــهم فـــى المعســـكر ، فقـــد أصيـــب الشـــباب بـــالجدرى ولكـــن الله ، نجـاهم.

كنا نعيش سبعة فى كوخ واحد نعانى مـــن الـــبرد والجـــوع ولا يسأل الأخ أخاه فى أمر الله ، وكان كـــل مـــن نجـــا مـــن هذا الوباء يدرك أن الله هو الشافى ، وأن لــــه وحـــده الحمـــد والشكر ، نسأل الله أن ينجينا من كل الفتـــن ، ويتوفانـــا علـــى الإيمان ، آميـــن .

ولما إشتد الأمر غادرنـــا المدينـــة وتوجـــهنا إلـــى قـــاى ، وإذا بالحرب قد اشتعلت فيها هى الأخرى ، لقـــد وقعنـــا بيـــن شقى الرحا ، وصرنا كمـــن يفـــر مـــن الأرض الســـهلة إلـــى الأرض الوعرة ، فقـــد هاجمـــهم الأوربيـــون كذلـــك ، وقـــد خسر توكرى أمير بكن قايا خسارة كبيرة فى هـــذه الحـــرب.

وكان الناس يقولون إذ توسطت الشـــمس الســـماء ، تســـمع الجن يزغردون فى المدينـــة ابتـــهاجًا بـــالحرب ، ولمـــا أدرك مسك خليل ذلك عمل بالمثل القـــائل " انـــج ســـعد فقـــد هلـــك سعيد " أو المثل الهوسوى " إذا رأيت النار قـــد اشـــتعلت فـــى لحية أخيك ، فصب الماء علـــى لحيتـــك " كمـــا كـــان الجـــو

متساوا Gwamutsawa فى حيرة مـــن أمرهـم ولـم يكـن لديهم قائد يقودهم إلى الطريق القويـــم .

ونحن على هـــذا الحـال مـن الارتبـاك ، إذ بـالأوربيين يصلون ، فكانوا كالسيل الغزير الذى يحطـم البنيـان ، ولمـا إشتد الأمر ، ولم يعد هناك مفر جاءوا وقبضـوا علـى أمـير السودان وتركوا الناس بلا قائد يقودهـم كـالأفراخ الصغـار التى فقدت أمها ، فذهبوا إلى مدينة كـانو وكتسـينا ، وعـاد بعضهم إلى كونتا جورا إلـى الأبـد ، وأثنـاء هـذا الشـتات ازداد الأمر سوءًا وصـار مثـيرو الفتنـة كالسـمك الكبـير الذى يلتهم الصغير يعيثون فـى الأرض فسـاداً دون عقـاب ، ووقع الضعيف فى حـيرة وارتبـاك ، فقلـت " مـا شـأن جنطوكى فى ذلك ، إن كل ما يفخر به الإنسـان مـن أصـل ومهارة فى الحرب لا ينقصنـى" ، ووصـل الأمـر إلـى أن يخرج الرجل بجاريته التى لا ابن لـها، ويبيعـها فـى سـوق الرقيق ويشترى بثمنها ما يقتات بـه بـاقى الجـوارى ، وإذا انتهى ثمنها جاء الدور على جارية أخـرى ، وقانـا الله مـن شر هذا البـلاء .

وحاول الأوربيون أن يجمعـوا الفـارين ويعيدوهـم إلـى موطنهم قائلين " لن تنشب الحرب بعد ذلك ، لقـد كنـا نريـد القبض على الأمير فقط " ، أما مـن تولـوا المنـاصب فـى كونتا جورا فقـد عـادوا إلـى مناصبـهم واسـتقروا فيـها ،

وعاش البعـــض فـــى مســـكا Masaka أو بكـــورى Bakori أو روجــــــو Rogo أو جونجـــــون Gwangwan أو ملمفاشـــى Malumfashi أو كتمـــا Kutama أو جـــــورزو Gwarzo وكثير منهم فى مدينة كـــانو وكتســـينا فيمـــا عـــدا مدينة ززو ، لأن الحـــــرب كانت دائـــرة فيـــها .

وقد طلب بللو الشـــقيق الأصغــر للأمـــير بعـــض الجنـــود ليتجه بهم إلـــى كتســـينا ثـــم إلـــى كوتـــر كوتشـــى وأبرمـــا Abrama حيث بايعوه هناك ، وعينوه أمـــيراً ، لذلـــك كـــان يقال " بللو أمير أبرمـــا"، ومـــن هنـــاك ذهـــب برجالـــه إلـــى موطنه.

وفى وشيشى عيـــن عمـــر بـــن إبراهيـــم أمـــير وشيشـــى أميراً، لأن والده اتبع أمير السودان عنـــد القبـــض عليـــه فـــى قاى ، وكان عمر فى هذا الوقـــت طفـــلاً صغـــيراً ، فجـــاءوا به ونصبوه أمـــيراً ، وعندمـــا هـــم أمـــير الســـودان بالقيـــام برحلته قال أمير وشيشى إنـــه لـــن يـــترك الشـــقيق الأصغـــر لوالده يذهب وحده ، ولابد أن يذهبـــا معـــاً ، وليكـــن قدرهمـــا واحدًا ، وحاول الأمير منعه من مرافقته ولكنـــــه أبـــى ؛ فلمـــا وصلوا إلى ززو ، جاء أميرهـــا كواســـو Kwasau واســـتقبل أمير السودان ، ثم عاتبه عما فعله فى إمارتـــه ، فـــهب أمـــير السودان كالأسد ، فتدخـــل ميجمنـــا Maijimna قـــائلاً " مـــا

هكذا يفعل الكبار " فأخذوا يهدئون من روع أمير السودان حتى هدأ .

وواصل الأوربيون السير إلى يولى وأخذوا أمير السودان معهم ، وأثناء هذه الرحلة عانوا كثيراً من غضبه والأمور العجيبة والخارقة للعادة التى كان يأتى بها ؛ فكانوا إذا سجنوه فى كوخ من الصاج وأغلقوا عليه الباب، يرونه فجأة خارج الكوخ يصلى ، والباب مغلق كما كان يحرسه الجنود والشرطة ، وإذا ذهبوا إلى النهر وهموا بعبوره، يرفض ركوب المركب ، فيركبون ويتركونه على الشاطئ فإذا وصلوا إلى الشاطىء المقابل وجدوه فى انتظارهم ، وإذا غضب أخرج لسانه ولفه حول رأسه كالعمامة ، أو يمد رجله فتصل إلى حائط الحجرة التى يجلس فيها، وإذا خفت ثورته أعاد رجله إلى حالتها فتصير كرجله الأخرى ، أو يستدعى الطيور من الغابة فيمسكها ويلعب معها ، وإذا تعب من اللعب أطلق سراحها فتطير لشأنها ، فلما أعيتهم حيله وأعماله الخارقة كتموا السر فى قلوبهم وأعادوه إلى موطنه وولوه السلطة مرغمين .

هكذا خص الله أمير السودان بالثروة والنصر منذ نشأته ؛ فهو لا يخشى ما يخشاه الناس جميعًا ، ويركب الصعب الذى يفر منه جميع الناس ، وفى الخير والصبر

لا حدود له كالأرض الطيبة ، وفى الشـــجاعة كأنـــه عنـــترة ، منذ أن خلقنى الله لم أر أبداً أميراً متواضعـــاً مثلـــه ، ينتصـــر دائماً على أعدائه ، إذا رأيته يركـــب الحصـــان قـــام بألعـــاب بهلوانية لا يصدقها إلا من يراها بعينه ، ويســـتوى فـــى ذلـــك أى حصان يركبه ، وأعجب ما فى الأمر مـــا يـــراه الإنســـان إذا غضب أو ضاق صـــدره بعـــدوه فيـــأخذ درعـــه ورمحـــه وثيابه الحربية وخوذتـــه الحديديـــة ، ويـــهجم عليـــهم ، فـــإذا رأيته يحصد الـــــرؤوس ظننـــت أنـــه ليـــس إنســـاناً ،وإنمـــا عفريت من الجن ، ولم يصل إلـــى هـــذه الدرجـــة إلا ببركـــة والديه وأجداده ؛ لأنه ليس بينـــه وبيـــن الشـــيخ عثمـــان بـــن فوديو إلا جدين اثنين فقـــط .

قلت " لقد رأيت كيف انتهت الحرب مـــع هـــؤلاء ، وعلـــىّ أن أبحث عن حـــــروب الجـــن حتـــى يعلـــم الخلـــق جميعـــاً أمـــرى".

وبينما كنت أتجول فى مدينة كتســـينا قلـــت لخـــادمى إنـــدا غانا " الأفضـــــل لـــى أن أذهـــب الآن إلـــى ســـكوتو لزيـــارة أقاربى المقيمين هناك وقبر الشيخ عثمان بـــن فوديـــو "؛فقـــال "لا ، لن أذهـــب "

وبينما كنت أستعد للرحيـــل ســـمعت أن الحـــرب اشـــتعلت فى سكوتو ، فقد أصابها مـــا أصـــاب البـــلاد الأخـــرى، وأن أمير المؤمنين عزم على الذهاب إلى حـــج بيـــت الله الحـــرام،

ولا فائدة من البقاء فى هذه البلاد ، وقلت لإندا غانا : الأفضل أن نتبع القوافل المتجهة إلى حج البيت،لأنه ليس لنا حرفة إلا القتال ، وقد كسدت حرفتنا فى هذه البلاد ، ولكن الخادم أصر على الذهاب إلى زاريا حتى يلتحق بجيش الأوربيين فى غانا .

لم يدهشنى هذا منه لأنه فارق والديه من زمن طويل وهو غلام صغير ، واعتاد الفواحش والأخلاق السيئة ، ولن يصلحه إلا الله ، وجذب حصيرته والحواية التى يستعملها الحمال ، وصبغ نفسه بصبغة سوداء فصار شديد السواد ، وعلق حقيبة لاعبى القمار فى وسطه ، وهو يقول " أنا حر ، أستطيع أن أذهب حيث أريد ومتى أريد كما يفعل قطيع الحاكم " ، ثم التفت إلى قائلا " أما أنت فلن تترك تهورك وجهلك ، عجوز أبله ، على الرغم من شيخوختك ما زلت تلقى بنفسك إلى الهلاك ، لا حديث لك إلا عن الحرب كأنك عنترة ، أسأل الله أن يهدى المتهور " .

فوضعت يدى على خدى وجلست أحدق فيه بنظرى ، وأتذكر المتاعب التى اجتزناها معاً فى الطريق ، وكيف ربيته ، وأدركت أن الإنسان ليس له ولاية على غير أبنائه ، وكاد جربا جاجرى أن يرد عليه ، وتنشب معركة بينهما ولكننى منعته ، وهكذا فارقنا إندا غانا بسلام .

بعد ذلك أخذت أتحايل طلبـــاً للـــرزق ، فاشـــتريت لجربـــا جاجرى حذاء من جلد البقر الوحشـــى ، وقرعـــة مـــن المـــاء وكثيراً من الدقيـــق المحمـــر مـلء الإنـــاء وقدمتـــه إليـــه ، وطلبت من أمه ، أى زوجتـــى أن تســـتعد للرحيـــل ، فقـــالت " أهكذا أظل أتنتقل مـــن مكـــان لآخـــر ، لـــن أذهـــب معـــك وسأظل هنا وحدى ، سأصنع الـــثريد وأبيعـــه وأعتمـــد علـــى نفســـى " .

تضايقت مما قالته زوجتى ، وتحيرت فـــى أمـــرى فقـــال جربا جاجرى " هيا يا والدى نرحل وســـنلتقى بـــها إذا كتـــب الله لنا اللقاء "، ثم التفت إلـــى والدتـــه قـــائلاً " وإذا لـــم نلتـــق أسال الله أن تغفرى لنـــا " .

وشعرت بعزيمتى تقوى ، فقلت " حسناً فعلـــت يـــا جربـــا، إنك رجل عظيم ، وسيسمع العالم اســـمينا بفضـــل الله".

قال يا أبتى ، لا يضر الإنســـان فـــى هـــذه الحيـــاة إلا أن يموت ولا يسمع الناس عنه شـــيئاً ".

قلت " حقا ما تقول ، لابد أن يســـمع كـــل إنســـان أخبارنـــا بـــإذن الله " .

أخذت السلاح وكتيب الأوراد ، وحملـــت ســـيفى بربـــرا ، وأخذ جربـــا ســـلاحه ومتاعنـــا وســـيفه الطويـــل ، والتحقنـــا بإحدى الفرق العســـكرية .

ومرت الأيام حتى وصلنا إلى جبل بيما Bima فى إمارة جومبى Gwambe ، حيث التقينا بالأوربيين الذين هجموا علينا وفرقوا جماعتنا ، لقد رأينا الجحيم فى هذا الهجوم ؛ فقد كان الرصاص يتطاير فوق رؤوسنا كالطير، ورأيت جربا الذى لا يبالى بالشدائد يصرخ من هول المعركة ؛ فأخذت سلتى وركعت على ركبتى وبدأت أمارس هوايتى قائلاً " ألم تعرفوا من أنا ؟ ألا تخافوننى ، إننى جنطوكى " ؟

فلما قلت ذلك رأيتهم يولون الأدبار قائلين " لقد سد علينا الطريق هذا الرجل المغوار ، إننا نعلم أنه لا يستطيع هذا العمل سواه " .

أحس جربا بعد ذلك أننى تعبت ، فتشجع واخترق صفوفهم بسيفه بربرا ، وأخذ يحصد رؤوسهم كما يحصد الدخن ؛ فوقفت أنظر إليه ، أنشده أنشودة النصر .

فلما أقبل الليل وليس فى المعركة إلا نحن الاثنين ، صعدنا إلى جبلٍ عالٍ ، ودخلنا أحد الكهوف وجلسنا فيه على مرأى من المارين ، وأخذت أنظر إلى الخارج وأصلى على الرسول ، ولولا سلاحنا ما نجونا من شىء، ولم نعرف ما وقع لجماعتنا منذ فارقناهم .

ولما طلع النهار خرجنا نتجول على ظهر الجبل ، وتركت جربا جاجرى عند الكهف ، وذهبت أبحث عن الطعام ، ولما ذهبت جاء جماعة من الرجال كالنمل ، سود الوجه ، مدججين بالحراب ، أحاطوا به، انهالوا عليه بالحراب من كل مكان فأخذ يرد طعناتهم وهو يقول " أنا لا أعيش من أجلكم " إنني الأسود بن جنطوكي أيها الوثنيون ألا تعرفون جربا الشجاع ؟ " وبعد أن فتك بهم جميعاً عاد وجلس حيث كان ، وهو مضطرب الأنفاس من شدة الجوع والتعب .

عندما عدت إلى الكهف وجدت الجثث فوق بعضها فاشتد غضبى وقلت " سبحان الله ، هذه إرادة الله يا جربا" عدت فوجدت الولد يتنفس بصعوبة ، فقمت وغسلت وجهه ، وقدمت إليه الماء فشرب ، حتى أحسست به يتنهد، ولما فتح عينيه ورآنى حمد الله ، ففحصت جسده كله فلم أجد فيه جرحاً واحداً ، ونظرت إلى ساعده الأيمن فوجدت التميمة الواقية من الأخطار ، فقلت " أحسنت صنعا يا جربا إن من حملتك على ظهرها لم تحمل إلا بطلاً (من عادة النساء فى غرب أفريقيا أن يحملن أطفالهن على ظهورهن ، وتلف رجلية حول وسطها حتى يصل قدم الطفل إلى بطن الأم فتلف ملاءة حول وسطها فتحتويها هى وطفلها) ، ولد واحد شجاع ، يلتهم عشرة رجال فى كل صباح كما يلتهم الطعام ، خير من عشرات

الجبناء" وقدمت إليه الطعام الذى جئت به مــن الغابــة فأكلــه، وأحضرت الثقاب وأشعلت النـــار وشــويت الدخــن وجلســنا نأكل ونشرب الماء ، ثم تيممنـــا وصلينـــا ، وتنـــاولت كتيــب الأوراد ، وقرأت وردى وســـألت الله حــاجتى ، قــال جربــا جاجرى : آمين ، ثم مسحنا وجــهنا بأيدينــا .

بعد ذلك اضجعنا لنرتاج ؛ فغلبنا النــوم ، فلمــا اســتيقظنا أحسسنا بمن يضغط علينا ، فلــم يســتطع أحدنـــا التنفــس أو الكلام ، ثم طار بنا بيــن الســماء والأرض ، ولــم نــنزل إلا على جزيرة سيلان فى بلاد الـــهند ، وإذا بنـــا أمـــام ملــك لا مثيل له فى الجمال والملــك ، ورأينـــا مخلوقـــات ليــس لـــها وجوه البشر ، ثم سمعتهم يقولون ســـلاما ، جيتامـــا .

فقال " وعليكـــم " .

لقد كان هؤلاء الجنود الذيـــن حاربـــهم جربـــا جـــاجرى ، عندما ذهبوا للصيد فى الغابـــة ، بعثـــهم هـــذا الأمـــير الـــذى نقف أمامه عندما سمع عن الخسائر التى ألحقـــها بـــهم جربـــا جاجرى ، بعث جيتاما ليـــأتى بنـــا ، وإذا كـــان هـــذا الجـــن يشبههم إلا أنه هو الـــذى يـــأتى فـــى صـــورة الإنـــس ليـــلاً ويضغط على صـــدر الإنســـان حتـــى لا يســتطيع التنفــس ، وهكذا يفعل بالصيادين فى الماء والأطفـــال الذيـــن يســـتحمون فى البحر ، وهذا ما يفعله جيتامـــــا .

عندما أفقنا سألنا هذا الملك عن أخبارنـــا ، فأخبرنـــاه بكـل شيء منذ البداية حتى النهاية ، فلما شعر بما لنـــا عفـــا عنـــا ، وقال " هؤلاء يمكن إدخـــارهم لوقـــت الشـــدائد " فعشـــنا فـــى قصره معززيـــن مكرميـــن ، وذات يـــوم رأيـــت ابنـــة هـــذا الملك، فقلت لا أشتهى فى هـــــذه الحيـــاة إلا الـــزواج منـــها ، وكان هذا شعورنا فقالت لا تريد أحداً ســـــواى ، فقـــال أبوهـــا " لا تملكين هذا كيف أزوج ابنتي مـــن إنســـى " .

وجمع رجاله واستشارهم فى هـــذا الأمـــر ، فقـــالوا "هـــذا رجل مثير للفتنة وعنده ابـــن كالشـــيطان يســـتطيع وحـــده أن يثير الفتنة فى هذه المدينـــــة ، وإذا قلـــت إنـــك لـــن تزوجـــه سيقضى علينا ، ويتزوجها بالقوة ، ويقتلـــــك ويســـتولى علـــى مملكتك ، ويعين ابنه حاكماً ويصير باقى رجـــالك عبيـــداً لـــه، وقد يأتى اليوم الذى يجمع فيه ثـــروات هـــذه المدينـــة ويعـــود بها إلى وطنـــه " .

قال " هذا الكلام لا ريب فيـــــه أيـــها الوزيـــر ، هـــذا مـــا يمكن أن يحدث ، فما العمــــل ؟ "

" قل إنك ستزوجه ، وإنك لا تريد مـــــهرها مـــالا ، ولكـــن يأتى لك برأس درنجن همبامـــا فيذهـــب إليـــه حيـــث يقضـــى عليه ونرتاح من شره ، ولا تدع إبنـــه يذهـــب معـــه حتـــى لا يجتمعان ، ونحن على يقين أنه لــــن يقـــدر عليـــه إنســـى ولا جنى ولا يســـــتطيع مخلـــوق أن ينازلـــه العـــداء " (درجـــن

همباما لا يملأ فمه رجـل واحـد مـن البشـر ، لا يسـتطيع الحصان أن يحملــه ، لا يحملــه إلا ذكـر الفيـل، ويصنـع رمحه من جذع النخيل ، ولــهذا يمدحونــه بقولــهم " ربكـو زوج أمينة ، فتاله أمر مخيـــف " .

عندما ذهب جرجـــا جـاجرى للصيـد مـع الأولاد كمـا تعود، وكما وجدوه على ظهر جبـــل بيمـــا ، نـاداني الأمـير وقال لى كل ما اتفقــوا عليــه ؛ فقلــت لــه " وهــو كذلــك ، وسآتى برأسه بإذن الله ، ليس الجبن من شـــيم الرجـــال ".

حينما يذهب الإنســـان لا يعـدم الحبيـب والعـدو ، وودع كل أحبابى عائلاتهم وركبــوا خيولــهم واتبعونــى ، قـائلين " كل ما يصيب جنطوكى يصيبنـــا معـــه " ، وواصلنــا السـير حتى سفح جبلٍ عالٍ ، فنزلت مع رفاقى مـن الجـن لنسـتريح ثم تركتهم وصعدت الجبل ، فلما وصلت قمتـــه رأيــت كـهفا، لم أنتظر لحظة ودخلته ، فرأيت شخصاً عجــوزاً قضــى فــى الكهف مائة وخمسين عاما ، رفع هذا العجـــوز رأســه وقــال لى " أنت إنس أم جـــن ؟ "

قلت " إنس مسلم تماماً ، تيجـــانى الطريقـــة ، مـن أهـل السودان "، وأخبرته بكل ما جاء بى إلى هـــذا المكـــان ، ولـم أخفِ عنه شيئاً منذ البداية حتـــى النهايـــة .

قال العجوز " ويحك أيها الرجل ، لقــد وقعــت فــى شــر أعمالك ، وأوقعت نفسك فى الــهلاك ، هــذا الأمــر لا يقــدر عليه أحد حتى ولو كان جنطوكى القـــائد العســكرى".

عندما ســمعت ذلــك ، طأطــأت رأســى ، وقلــت " هــل شهرتى وصلت إلى كــل مكــان " ، ثــم تــرك هــذا الأمــر ليستمع إلى قصتى كلـــها ، ثــم غــيرت موضـــوع الحديــث وقلت " أيها العجوز ماذا تعبـــد ؟ "

قال " الشــمس " .

قلت " ويحــك " .

فقال " ايها الصبى ألا تحــترم شــيخوختى ؟ "

" أى احترام لرجل كافر مثلــك؟ اعبــد الله الملــك ، الــذى خلق الشمس والقمر ، والنجــوم والســماوات والأرض ، هــو الملك الذى خلق كل شـــىء مــا تــرى ومــا لا تــرى ، وإذا رفضت ، سأقطع رأسك الآن ، وأعجـــل بــك إلـــى النــار "، فأسلم الشيخ فى الحـــال.

بدأت أحس بلذة الحيـــاة ، ولا ســيما بعــد أن أدركــت أن هذا الكـــهل يخشـــى مـــن المــوت ، وأن بعــض الرجــال لا يساوون النساء ، قال العجوز " دعنى أســـاعدك بمـــا ورثتـــه عن أجدادى الذين عاصروا النبـــى إبراهيــم ".

وجاءنى بعصا غليظة ، وقدمها إليّ وقـال " لـو ضربـت بهذا الصخر لانفلق مهما كان حجمـه ، وهـاك سـيف شـافو تستطيع أن تقطع به ما أردت ، ومـهما كـان، الجـن قويـاً يتبعك ، هاك العصا إذا هززتها ، تصـدر صوتـاً كـالرعد ، وينبعث منها ألسنة اللهب التى تقتل كـل إنسـان".

أخذتها وشكرته ، وودعنا بعضنـا وخرجـت أقـول فـى نفسى " الله قادر على كل شيء ، فعال لمـا يريـد " .

عندما نزلت ، قـال لـى رفـاقى " لمـاذا غبـت هكـذا ، فذكرت لهم كل شـيء . ثـم قمنـا وتوجـهنا إلـى درنجـن همباما ، وأثناء الرحلة التقينا بفارس يلبـس لبـاس الحـرب ، لا تستطيع أن ترى من خلالها عينـه ، تتدلـى منـها تمـائم كبيرة الحجم ؛ فظنناه درنجن همباما فقلت لـه " مـن أنـت ؟ إنس أم جـن ؟ "

ونشب بيننا قتال مرير ، وأخـذ يحصـد رفـاقى حصـدا حتى تفرقوا جميعاً مـن حولـى ، ولـم يبـق فـى الميـدان سواى، فنازلته منذ الصباح حتـى الظـهر ، حتـى غضبـت وأمسكته من كتفه بشـدة فصـرخ صرخـة شـديدة وكشـف عينيه ففوجئت بأنه ابنى جربا جـاجرى ، عندمـا سـمع مـا أصابنا ركب حصانه وخرج ليساعدنى ، ولمـا التقينـا أخفـى وجهه وتنكـر .

قلت " جربتى ، لماذا فعلت ذلـــك ؟ "

فقال " لتعرف أنك أنجبـــت بطـــلاً صغـــيراً ، ولتـــذق مــا يذوقه الرجال معنا فى ميادين القتال، ولتعــرف أننـــا نســتطيع أن نقضى علـــى أى مخلــوق ولــو كـــان درنجــن همبامـــا، نقضى عليه فى يوم واحـــد ".

" إننى أعرف أن ذلـــك الشـــبل مـــن ذاك الأســد " ، منــذ البداية أدركت أن هذه الشجاعة لا تظـــهر إلا فـــى ســلالتى ، لا يستطيع أحد أن يصاب برمــــح مـــن رمـــاحى ويتحملـــه ، لذلك طلبت أن تكشف وجهك حتى لا أضـــر نفســـى " .

تبادلنا التحية ، وقصصت عليـــه كـــل أخبـــارى ، وقلـــت " لماذا اتبعتنى ؟ وكيف علمت مكـــانى ؟ "

قال " جئت لنموت معًـــا "

بعد ذلك رأى همباما غبار خيولنــــا ، فــأمر أولاده قـــائلا " اذهبوا واخطفوا لى هذا الكتكوت ، لعلى أجد ما أفطــــر بــــه".
وعند وصولهم إلـــىّ حدقـــت بعينـــى فـــى كبـــيرهم ، ثــم ضربته بعصاى الغليظة التى قدمــــها إلـــىّ الشـــيخ العجــوز ، فوقع مغشيا عليه ؛ فقلت لجربا جـــاجرى " انـــزل ، واربطـــه " فقيده بالسلاسل ، ثم قصدنــــا غــيره وهكــذا قيدنـــا أربعـــة منهم ، وهرب واحـــد ، ووصـــل إلـــى أبيـــه يلـــهث ، كـــأن

روحه ستفارق جسده ، وقص عليه كل ما حدث ، فلما سمع ذلك غضب ، واقتلع شجرة نخيل ، وتوجه للقائنا ، ولما وصل هجم على جربا جاجرى وأمسكه بيده اليسرى ألقاه على الأرض ، فدفعت الحصان والتويت به فأصاب جزع الشجرة أردافه ، فانكسر جزؤه السفلى وسقطنا فى ناحية واحدة ، فنطقت بكلمة الشهادة ، وهجمت عليه هجوم الفدائى ، وضربته بالعصا الغليظة فى ساقه ؛ فانبعث منها صوت الرعد ، واشتعلت النار فى جسده ، ووضعته مع أولاده فى سلسلة واحدة وربطتهم جميعاً ، ودعوت وبصقت على رجله فخمدت النار .

عندما أفاق جربا جاجرى ، ورأى ما فعلت قال "قائد عسكرى بارع ، الويل لمن ينازلك " .

سقناهم أمامنا حتى مدينتهم ، فعم المدينة كلها الصراخ والصياح ، لأن هذا الأمر لم يتوقعه أحد ، لذلك كان الناس يقولون "معظم النار من مستصغر الشرر "، وها أنا أصل إلى قصر همباما وأعتلى كرسيه آمر وأنهى ، وأمرت أن يأتونى بأولاده وبأمراء المدينة ، وقلت لهم " إذا أسلمتم تركتكم ، وإذا رفضتم الإسلام قتلتكم الآن فوراً، وألقيت جثثكم للكلاب " .

ردوا قائلين " سمعاً وطاعة ، أطال الله حياة الأمير، أسلمنا واتبعنا الله ورسوله ، واتبعناك يا أمير المؤمنين ".

أمرت بفك وثاقهم ، ودخلنا قصر همباما ، فرأيت الخزائن الكبيرة المتنوعة والثروة التى لا نهاية لها ، ولم أر شيئاً إلا ويوجد فى هذا القصر ، ودخلت إحدى الحجرات فوجدت عشرة رجال سمان مقيدين، وعلمت أنهم طعام همباما ، يذبح له كل يوم اثنان منهما ، يأتى غيرهم قبل أن ينتهوا ، فمددت يدى وأطلقت سراحهم جميعاً ، ففرحوا كأن الله قد غفر لهم ذنوبهم ، وفى الحال أعلنوا إسلامهم . ونظرت فى حجرة أخرى ، فرأيت فتاة، يضيء وجهها ظلمات الحجرة، لشدة جمالها ، كأنه نور الصبح ، يتدلى شعرها على كتفيها، عنقها كعنق الغزال ، عيناها البيضاوان كأنه اللبن ، عند رؤيتها غضبت ، وفارقنى الشعور بالرحمة ، وقلت "يا همباما ابنة من هذه؟"

قال " ابنة الشيخ طلحة، الذى طرده الأوربيون من سكوتو، إنها أوربية : فتاة جاءونى بها من بلاد السودان ، بينهم وبين سكوتو مسافة لا تزيد على مسيرة شهر " .

" هل قربت منها " ؟

قام وركع قائلاً " أقسم بالله والدين الذى تعتنقه ، لا أحبها ولا يحبها أحد من الإنس أو الجن ، وقامت الفتاة وحيتنى بنفسها وهى تبكى .

فقلت لها " دعى البكاء ستعودين إلى وطنك بإذن الله ، إنى أنوى العودة إلى سكوتو ، ومن هناك سأذهب إلى كونتا جورا " .

عندما سمعت ذلك قالت " هم أيضاً إخواننا على حسب ما سمعت ، لأن أصلنا واحد " .

قلت " هو كذلك " .

بعد ذلك أمرت أن تقام الأفراح فى المدينة وتعد موائد الطعام ، فقد استقر الدين في هذه المدينة .

وقلت سأحمل هذه الفتاة إلى مدينتهم اليوم ، بإذن الله ، وطلبت مائة حصان يتبعونى ، فقال همباما " لنذهب معا".

" قلت لا ، احرس أنت المدينة ، لأننا لا نعرف ماذا ستخلف لنا الأيام ، وإذا رآك والد هذه الفتاة، سيقتلك " .

ضحك همباما وقال " أطال الله حياة الأمير ، إذا أعطيتهم قدمى ماذا سيفعلون بها " .

قلت " أحرس أنت المدينة " .

قال " سمعا وطاعة ، أسأل الله أن يعيدك سالماً ، آمين".

ثم قلت لجربا جـــاجرى ، أن يذهــب بــهم إلــى آبائــهم، فقاموا جميعاً وعادوا إلى المدينة ، ونعمــــت المدينــة بالحيــاة السـعيدة .

ثم قمت وذهبت بالفتاة ومعى حصــــان ، وأثنــاء الطريــق رأيت الغبار يرتفع بكثافة حتي ملأ الفضـــاء العلــوى؛ فقلــت لأحد الفرسان " اذهب وانظر مـــاذا هنــاك " ؛ فــأخذ يســير على مهل حتى وصــل ، وعــاد يقــول " بعــض المحــاربين عددهـــم ضعفنـــا أو ثلاثـــة أضعافنــا ، ذاهبــون لمحاربــــة همبامــل".

قلت " أنزلوا واستعدوا ، فقد حــدث المطلــوب ".

اقــترب الرجــال ، والتقــى المتقــاتلون ، وحــدث الكــر والفر، وأخذ كل ينظر إلى أخيه ، فنزلت إلـــى الميــدان أكــبر وأفخر قائلاً " أين المقـــاتل ، الجبــان لا يخــرج ، لا يخــرج إلا من يثق فـــى نفســه ! " " أقــول ذلــك وأضــرب الأرض بالعصا التى قدمـــها إلــيّ الرجــل العجــوز ، فصــدر منــها صوت كالرعد، وأخذت أقتل كل من يخـــرج ، وقبــل صـــلاة الظهر قتلت تسعين رجلاً ، ودقت طبـــول التســليم وانســحبوا فجمعت رجالى وأممتهم وأديــت الصـــلاة .

بكت الفتاة كثيراً ظناً منها أنــــهم ســيقتلوننى ، لقــد كنــت مرهقاً وكان حصانى متعبــاً ، وأجســامنا تؤلمنــا مــن شــدة

التعب والجوع ، قلت لها " كفى عن البكاء ، ولا تخشين شيئاً ، غداً سننتصر عليهم فى الصباح بإذن الله " .

قالت " أيها القائد إذا هلكت أنت هلكنا معك ، ووقعنا فى أيدى الكفار " .

قلت " إن الله معنا ، ومن يعتمد عليه لا يخيب فى الدنيا والآخرة " .

لقد كان من أفراد العدو شخص سودانى ، فى معسكرنا، وسمع كل ما قلنا ، والآراء التى تبادلناها ، فعاد وأخبر قائدهم بما سمع ، فلما سمعونا نذكر الله ، همدت كل أجسامهم ، وقضيت الليل أتلو وردى وأسأل الله أن يعيننا على العدو ، ولما طلع الصباح جاءوا إلى ميدان القتال، فكبرت وكان الله قد استجاب لدعائى ، فأنزلوا أعلامهم ، وسألونى ماذا كنت أقرأ فى الليلة السابقة ، وماذا أعبد ، وما منعنى من النوم ليلاً غير القراءة ؛ فأخبرتهم بكل شىء وفى الحال أسلموا ؛ فأمرتهم أن يذهبوا إلى درنجن همباما حتى أعود ، فإذا رأوا أنه سيهجم عليهم ليقتلهم ، ينطقون أمامه بكلمة الشهادة ، فإذا سمعهم لن يمسهم فقالوا سمعاً وطاعة .

عندما رآهم درنجن همباما من بعيد اقتلــــع شــجرة نخيــل الزيت وقصدهم فرفعوا صوتهم مرة واحــدة بكلمـــة الشـــهادة، فتراجع إلى الوراء ووقـــف يخـــرج لســانه ويلعــق لعابـــه ، وسألهم سبب إسلامهم ، فقصــــوا عليــه القصــة كلـــها ولــم يخفوا شيئاً عنه ، فقال " إنه جنطوكى القــائد العســكرى والــد جربا " وأمر أن يذهبوا جميعـــاً إلـــى قصـــره ، وبـــالغ فـــى إكرامهم ، وصاروا أخوة كأن أباهم واحـــد وأمـــهم واحــدة ، ببركة الإســـلام .

ولما عاد جربا جاجرى إلى جيتامـــا وأخـــبره بمـــا حــدث لهمباما ، أصابه الرعب وقـــال " إن لــم نتحــايل علـــى هـــذا الرجل ونقضى عليه ، سيقتلنى ويسلب الملك منـــــى بـــالقوة".

ثم قال جربا " سمعت أن لك أمـــــاً " .

قال جربا " نعم هى فى بـــلاد الســـودان " .

قال الملك " سنبعث معك عفريتـــا ليحملـــك إلـــى الســـودان الآن لتأتينا بها ، ونذهب معاً إلـــى أبيـــك " .

وظهر حنين الابن إلـــى أمـــه ، أخـــذه العفريـــت ، وفـــى طرفة عين ، عاد بـــــها ، ووضعوهـــا أمـــام الملـــك ، ولمـــا أفاقوا قصوا عليه أخبارهم ، لقد كان الملـــك يريـــد مـــن هـــذا العفريب أن يقضى عليهما هناك ، ولكن الله لــــم يـــرد ذلـــك ، وفى الحال أمر عفريتــــاً أن يقطـــع رأس الأم .

أما جربا جاجرى فقد ورث عنى كل الشجاعة؛ فقد أشبعته طعاماً وماء وإلى جانب ذلك يحمل تميمة تصد عنه كل الأخطار ، فقد صار لهم كالعظمة فى الحلقوم ، فكلما دبروا له مكيدة للقضاء عليه، نصره الله عليهم ، وأخيراً استعمل التميمة التى تخفيه عن الأنظار وجاء إلى.

أما الشيخ طلحة فقد بحث عن ابنته فى كل مكان بعد أن خطفها الجن ، ولكنه لم يجد لها أثراً ، فغضب غضباً شديدا ، وكانت كإنسان عينه ، لا يريد أحداً أن يمسها ، وبعث بأربعة رجال ، أحدهم إلى الشرق ، والثانى إلى الغرب ، والثالث إلى الجنوب والرابع إلى الشمال ، وطلب من كل منهم ألا يعود إلا إذا رآها ، ومن يعود بدونها سيقتله .

وكيف عثر عليها همباما ؟ لقد خرجت مع جاريتها إلى حفلة عرس ، فتوقفت عند النهر لتستحم فخطفها الجن .

عندما اقتربت من المدينة رآنا جماعة من الناس ، فبعث كبيرهم من يستطلع أخبارنا ، فعاد إليه الرسول قائلاً " إنهم عائدون بجوريا ابنة الشيخ طلحة " ؛ فلما سمعوا ذلك نزلوا من فوق ظهور خيولهم وساروا حتى وصلوا إلينا ، وذلك تعظيماً واحتراماً لسيدتهم ، فتبادلنا التحية وذكرت لهم أخبارى ، وتقدم كبيرهم إلى السيد

وقص عليها الحال الذى وصل إليه بعد فقدها، وقصت عليه بدورها ما فعلت مع الجن الذى خطفها ، وما أبديته من شجاعة نادرة ، ووفائي وأمانتى وصدق إسلامى ؛ فالتفت إليّ هذا الخادم قائلاً " أرجوك أن تدعنى أحمل هذا الخبر السار إلى سيدى ، حتى أحصل على الأجر الذى أرجوه " .

قلت " لك ما تريد " .

ذهب إلى الأمير وقال له " أطال الله حياتك ، بشراك".

فقال الأمير " خيراً سأعطيك ما تريد " .

قال الخادم " لقد عادت جوريا " ، وقص عليه أخبارها وكل ما حدث .

وفى الحال أغدق عليه بأكثر مما كان يتوقع ، وجاءت أمها بألف دينار وقدمتها إليه ، ثم ركبوا وقابلونا، وعم الفرح كل أنحاء المدينة.

قال الأمير " كل من يحبنى يثبت ذلك بما يقدمه إلى جنطوكى من خير ، وهكذا لم تنقطع الخيرات التى أخذت تنهال عليّ لمدة ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً.

وهكذا عشت بينهم فترة أستمتع بالحياة ، وذات يوم ، رأيت غباراً قادماً من جهة الشرق ، فبعثت من يستطلع

الأخبار ، فإذا بجربا جاجرى قد خرج يبحث عنى، وأخذ يحارب كل من يعتدى عليه فى الطريق وينتصر عليه حتى جمع حوله جماعة كبيرة يشد بهم أزره . " ابن جنطوكى يتحرك كالعفريت " أمر أن يأتونى به ، ولما التقيت به قص علىّ كل ما حدث بينه وبين الجن ، وكل ما حدث لوالدته .

وبعد أن أنقشع الغبار ، قالت جوريا ابنة الأمير لأبيها " يا أبتى إذا أردت خيراً ، زوجتنى هذا الرجل ، وأبقه معنا في هذه المدينة ، فإن فراقه خسارة كبرى لنا ، فهو محارب ماهر ، وعالم فاضل ، وتقى ورع ، لا ينقصه أى صفة من صفات الإنسان الكامل .

قال الأب " لك كل ما تريدين ، فهو كما تقولين ، ولكن أحد الأمراء الكبار يريدك زوجة له ، وتسلمت المهر منه، فما العمل الآن ؟ "

جاءت الفتاة إلىّ ، وأخبرتنى بما فعله هذا الأمير مع أبيها فتوجهت إلى أبيها وحدثته فى الأمر ، فلما أحسست أن والدها تحير فى أمره ، خشيت هذا الأمير ، ولعدم استطاعته رد ما أخذه من مهر الفتاة قلت له " إذا كان ما يحيرك أمر المال فسأرد إليه كل ما أخذته منه من مال وهدايا وصداق بإذن الله ،وإذا كنت تخشى من فتنة تحدث

فى المدينة ، لقـــد حـــاربت الأوربييـــن والجـــن فمـــا بـــالك بالرجل الأسود ، لــو تركـت لـه هـذا الغـلام الصغـير ، جربا، لكفاك من كل شر فى هــذه الحيـاة " .

قال الأمــير " لـم أقبـض صداقــها مــالاً ، ولكنــه رأس كورنجو " ، لقد قال الأمير ذلــك لأنــه يعتقــد أن هــذا أمــر عسير على أى إنسان فى المدينــــة .

فقلت له ، أعطنـــى عـــدداً قليــلاً مــن الرجــال يحمــون ظهرى ، وخرجت وعسكرت وكتبت إليه هــــذه الرســالة .

" من القائد العسكرى جنطوكـــى ، تحيــة إلـــى كرونجـــو القائد الفاسد وليــس القــائد المــاهر ، أنصحــك أن تسـلم لله لتنجو من عذاب ســـيفى واويلـــو ، وعـــذاب الله ، ولأتركــك فى أمان الله ، ودع الفتنة نائمة ،وإذا كان الغـــــرور قــد مــلأ صدرك ، وخدعك الناس ، سيشرب الكلـــب مــن دمــك الآن، وتندم حين لا ينفع النـــدم " .

وطويت الرسالة ولم يستطيع أحـــد حملــها إليـــه ، فتقــدم إلى جربا جـــاجرى الـــذى لا يخشـــى المــوت ، وقـــال إنـــه سيحملها إليه بنفسه ، وأخذها وتوجـــه إليـــه ، ولمـــا وصـــل إليه سمحوا لـــه بـــالدخول ، فقـــدم إليـــه الرســـالة ، وقرأهـــا كرونجو وأحس بما فيها ، واحمرت عيناه مـــن شـــدة الغيــظ ومزق الرسالة وقال لجنوده " اضربـــوا هــذا الرســول حتـــى يموت ".

عندما سمع جربا جاجرى ذلـــك ، قـام مسـرعًا وركـب حصانه واستل سيفه ، ودخل منازلـــهم ، وأخـذت رؤوســهم تتهاوى فى جميع أنحاء المدينـــة كمـا تتــهاوى الثمــار مــن أعلى الأشجار. وشق طريقه بين رؤوســـهم بصعوبـة وعــاد وقص عليّ خـبرهم .

فقلت هذا أمر خطير ، وفى الحـال بعثـت برسـول إلــى همباما ، ليأتى مسرعًا بكل أبنائه، فقـد حـدث مـا توقعـت ، وفى لمح البصر وصلوا جميعًـا ، فلمـا رأى رجـال طلحـة همباما وأولاده وقعـوا مغشـيًا عليـهم ، وخرجنـا وتوجـهنا إلى قصر الأمير ، فلما رأتهم الفتـــاة انقلبـت علــى وجهـها وأخذت تبكى بكاء شديداً ، ظنـاً منـها أنـهم جـاءوا ليقتلـوا حبيبها .

عندما وصلنا إلى مدينة كورنجو بدأ القتـال فـى الحـال ، اندفع همباما وخطف فارساً من الكفار ، وســلمه إلــى أبنائـه قائلاً لهم " بسرعة اشوه لى فى وسط الميدان حتـى أجـد مـا آكله ، ولكنه لم ينتظر حتى يشوى علـــى النــار ، ومـد يـده وقطع رأسه وأخذ يأكل لحم العنق كمـا يـأكل كـوز الـذرة ، ثم كسر الجمجمة واستعملها كإناء يشرب منـــه المــاء ، فلمـا رأى الأعداء ذلك ولوا الأدبار يطـــأون أقـدام بعضـهم مـن هــول الموقـف ، ولـم يجـد قـائدهم كورنجـو مفـــرًا إلا الانسحاب من المعركة ، وأخـذ يعـــدوا حتـى وصـل إلــى

مدينته إنكوى وبـايع الأمـير ، وأعلـن رضـاءه بكـل مـا يقضى بـه .

أما أنا فقد توليت السـلطة فـى المدينـة وصـرت الآمـر ألناهي فيها ، وطلبت أن يأتونى بكورنجـو لأراه ، فلمـا قـدم إلى قال " أطال الله حياتك لقد فعلت كل مـا طلبـت ".

ثم قدمت المدينة بكل ما فيـها صداقـاً ، وأقيـم حفـلاً لا مثيل له ، ودخلـت بزوجتـى ، وبعـد ذلـك أمـر همبامـا وجنوده أن يتتبعوا كورنجو ويـأتونى بـه .

أما أمير إنكوى فقد أعـد فرقـة عسـكرية علـى رأسـها وزيره ، وأمرهم أن يذهبـوا ويعـودوا لـه بجنطوكـى فـى أيديهم ليقتله بنفسـه .

فقال الأمير " سـمعاً وطاعـة لقـد انتـهت اليـوم حيـاة جنطوكى وكل من ينـاصره " .

وركب وتبعه أكثر من ألـف فـارس ، كـل منـهم كأنـه عفريت من الجن ، وتصادف أن تقـابل الفريقـان فـى الليـل على شاطئ نهر ، ونزل أتباعى على شـاطئ ونـزل أتبـاع أمير إنكوى على الشاطئ الآخر ، ولـم يعـرف كـل منـهم الآخر ، وفى الليل خرج ونكـا قـائد جيـش أمـير إنكـوى يتجول ؛ فلف حول معسكرهم ، فسمع صـهيل الخيـل علـى الشاطئ المقابل ، فركـب حتـى وصـل إلـى معسـكرهم ،

فرأى خيولاً لا حد لـــها ، ورأى السـيوف فـى كـل مكــان كأنها حبات الرمال ، وسمع بعضهم يتحدثـــون قـــائلين" قبــل ثلاثة أيام ستدور الدائـــرة علـــى جيـش المسـلمين ، ونقيــد جنطوكى " ؛ فلما سمع ذلك انسحب وطلـــب مــن جنــوده أن يستعدوا غداً لأمر هام، وأخبرهم بكل مـــا ســمع ، ومـــا رأى بعينه .

فقالوا " نسأل الله أن يحيينا إلى الغـــد " .

قال همباما " غداً سأشبع ، لقـــد اشـتد علـى الجـوع ، قال هذا الكلام ولا يعرف ما يخفيـــه القـدر .

عندما طلـــع النــهار هجـم الرجــال ، وكأنـــهم الجبــال الشوامخ تلتقـــى ، واسـتعد الفريقـان وبــدأ القتـــال ، وأخــذ رجال إنكوى يقعون صرعـــى واحــداً بعــد الآخــر ، حتــى مات أكثر من نصفهم ، وفر البـــاقون ، وقــص الخـــبر علـــى الأمير ، فقال " لقد هربتم من الموت إلـــى حيــث لاقيتمـــوه "، وأمر أن يستعدوا للقائهم غداً ، وهـــدد بقتــل مــن يفــر مــن رجاله .

أسر ونكن وتا وهمباما كثيراً مـــن الجنــود ، وبعــث إلـــىّ بمن أسلم منهم ، أما الذين أبو الإسلام فقـــد قتلـــهم ، وعندمـــا عاد الرسول أخبرونى جميعاً أن هـــؤلاء الرجـــال شــجعان ، ويجــب أن يســاعدونى ، فــأمر عشــرة آلاف فـــــارس أن يستعدوا لمساعدة جيش المســـلمين .

ولما رأى أمير إنكوى ذلك قال " هذا كذب إنهم لن يفعلوا شيئاً " ، وأمر ابنه جرمى أن يتوجه لقتالهم .

والتقى الفريقان ، ونشب القتال ، وسالت الدماء أنهاراً، ولما توقف القتال خرج جرمى إلى وسط ميدان المعركة ، وأخذ يتفاخر بنفسه ، بعد ذلك هجم درنجن همباما ، فأمر جرمى بضربه فسقط على الأرض كما تسقط الشجرة الضخمة وقال لخدمة " اربطوا هذا المنافق، وفى الحال وضع همباما فى القيود وأخذوا يجرونه كأنه جثة حصان، ولم يخرج جرمى من قلب المعركة حتى ضرب رجال المسلمين أربعة وعشرين رجلاً ، قيدوا جميعاً بالسلاسل وأصبح لا حول لهم ولا قوة .

بعد ذلك غضب ونكنوتا ، ودفع حصانه إلى قلب المعركة ، وأخذ يفخر بنفسه والتقى بجرمى ونشب القتال وتصاعد غبار المعركة إلى السماء حتى حجب المتقاتلين عن الأنظار ، واشتدت المعركة واستمرت حتى العصر ولم ينتصر أحدهما على الآخر ، ثم نطق ونكن بالشهادة ونظر إلى رأس جرمى وهوى عليها بالعصا الغليظة فوقع على الأرض وانفصل مخه عن الجمجمة ، ولم يترك ميدان المعركة حتى أصاب مائتين بين قتيل وأسير ، ولما رأى الكفار ذلك أخذوا يولون الأدبار فاتبعوهم ، ودارت عليهم الدائرة حتى أقبل الليل ، وبعد ذلك عادوا إلى

معسكرهم ، وحرروامن قبض عليهم قبل ذلك ، وأطلق سراح همباما وباقى الرجال .

ولما سمع أمير إنكوى هذه الأخبار ، وأن من بين القتلى ابنه الذى يحبه ، غضب الكافر، وأخذ يسب الشمس والقمر والنار ، وأمر بقتل الفارين قائلاً " لقد لقيتم الموت هنا اليوم "، وبعث إلى البلاد رسولاً يأمر الجميع بالاستعداد للقتال ، ولن يسمح لأحد بالتخلف إلا إذا كان عاجزاً عن إمساك الرمح والقوس ، ولابد من الثأر من جنطوكى مهما كلفه الأمر .

ولما رأيت الجنود قد تأخروا شعرت أن فى الأمر شيئاً، ولابد أن أذهب لنجدتهم ، فاستعددت وتركت لمججى مهمة حراسة المدينة ، وذهبت إليهم وتركت أسرتى هنالك.

أما كرونجو فقد كان يعرف شجاعتى ؛ فقد ثقب الكوخ فى الليل وهرب قبل أن ينقشع غبار المعركة ، وبعد أن جلب لهم المصائب وولى الأدبار ، فقد عرفته جبانًا ، ولم يتوقف إلا عند أمير الهند وتقدم لمبايعته ، ولجهلهم وافقوا على الاستعداد للحرب .

أما رجال ونكن وتا الذين هزموا فى المعركة فقد حملوا رأس جرمى وذهبوا بها إلى أبيه لإثارته ، فلما

رآها أمير إنكوى اشتد غضبه . وفى الصباح اشتعلت نار المعركة، وكان المسلمون قلة ، كالشعر الأبيض فى رأس الصبى ، فلما رأوا ذلك هللوا وقالوا " الله معين للعباد"، وتجمعوا ودعوا الله فأعانهم الله على الكافرين ، وهو القادر على كل شىء ، واشتدت الحرب وارتفع الغبار إلى السماء، ولم يتوقف القتال حتى انعدمت الرؤية، وإذا بى أصل إليهم فجأة أنذر العدو قائلاً " جنطوكى أشجع الرجال والد جربا ، المعركة دائرة عليكم ، وجربا جاجرى على يمينى ، والمداحون على يسارى ، والشجعان يحيطون بى كأنهم العفاريت ، جلابو المصائب قادمون إليكم يثبون بخيولهم ؛ فلما سمعنى المسلمون فرحوا فرحاً شديداً ، وأخذوا يزغردون قائلين جاء البطل ... جاء البطل .

ولما أقبل الليل جمعت قادة المعركة وقسمتهم أربعة أقسام ، وطلبت من قسم أن يتجه إلى المشرق والباقى إلى الغرب والجنوب والشمال ، وأحاط الفرسان بالوثنيين من كل جانب وهم لا يعلمون أن سبحان الله ـ الحرب خدعة.

قلت " إذا سمعتمونى أنطق الشهادة فاهجموا بقوة فى وقت واحد ثم ينسحب كل إلى الخلف ويراقب المعركة، واتركوهم يقتلون أنفسهم بأنفسهم .

وبعد أن نام أفراد العدو ، وسكنت حركاتهم، هجموا عليهم وفعلوا كل ما أمرتهم به ؛ فلما رأى الكفار ذلك ، قاموا وأخذ كل منهم سلاحه ، وأخذوا يضربون بعضهم البعض ، واستمروا على هذا الحال ، ولما طلع النهار وجدوا أنهم قتلوا أنفسهم بأيديهم ، ولا يوجد بينهم مسلم واحد، فأخذ الأمير يعض على أصابعه حتى قطعها من شدة الغيظ .

بعد أن انتهى المسلمون من الصلاة ، خرج الأعداء وكونوا صفًا وبسرعة اضطربت المعركة ، ولم يكن منظرًا جميلاً ، ولما غربت الشمس تفرقوا ، وفى الصباح التقى الفريقان ، ونصر الله المسلمين عليهم وتفرقوا وولوا الأدبار فاتبعهم المسلمون وقتلوهم وأسروا من بقى منهم ، وبعد ذلك اخترت أحد الخدم ووليته السلطة فى المدينة .

فى هذه الليلة رأيت منامًا أزعجنى ، لم أر بعده النوم مرة أخرى ، رأيت أشياء هبطت من السماء كالطير، وخطفتنى مع ابنى جربا جاجرى ، وطارت بنا ، ظننت فى نفسى أنه ربما هذا الجن الذين خطفونى من فوق جبل بيما أو ملائكة جاءت تخبرنا أن أجلنا أقترب فأخذت أبكى وأقول ربما لن أرى بلاد الهوسا بعد ذلك ، ولكنى تذكرت أن الإنسان يموت حيث كتب له الموت ، أسأل الله أن يتوفانى على الإيمان ، آمين .

عندما طلع النهار أخبرت جربا جاجرى " أيها البطل الذى لا يرهب شيئًا " .

قال " لا تبالى ، إذا كان عدوًا سننتصر عليه بإذن الله".
قلت " حسنا ، إن شاء الله " .

عندما حان العصر ، قلت لجربا جاجرى " قم لنخرج نتنسم الهواء العليل على حافة هذه الغابة ، فقد سئمت الإقامة فى مكان واحد ، لقد ضايقنى كلام الناس الكثير ".

قال " حسنا ، إننى أشعر بالضيق ، وأريد النزهة فى مكان آخر " .

عندما خرجنا قلت لجربا " عد وأحضر لنا السلاح، الرجل لا يسير هكذا أعزل " .

فعاد وأحضر السهام والسيوف ، ثم واصلنا السير؛ فلما وصلنا إلى داخل الغابة ، رأينا مستنقعًا مغطى بالأعشاب الكثيفة ، فجلسنا نستريح ونتحدث فى أمور الحياة ، رأينا من بعيد غزالتين ترعيان ، فأطلقت السهم على إحداهما ، ولما أصيبت بالسهم حملتها الغزالة الأخرى وولت هاربة بها .

قال " ما حدث اليوم أمر عجيب " .

قلت " اليوم ستقوم القيامة ، وليس هذا أمرًا عجيبًا ، يبدو أنه حدثت مصيبة ، وسيحدث ما حدث بالأمس ، وتشتعل الحرب مرة أخرى ".

لقد نزلنا فى مستنقع ملك الجن ، وأطلقت السهم على ابنه ، فحملت الأم جثة ابنها وذهبت به إلى أبيه ، وقصت عليه ما حدث فغضب وهب قائمًا ، وخلع قلنسوته ، وألقاها على الأرض ، واستدعى عفريتين قويين، وقال لهما " اذهبا إلى المستنقع ، وأتونى بكل من تريانه هناك الآن " .

ولما جاء لم يجدا سوانا ، نرقد تحت الشجرة ، وقد غلبنا النوم ؛ فحملانا ، وطارا بنا بين السماء والأرض، ونحن نائمين ، ووضعانا أمام ملك الجن ، ولم يمض الوقت الطويل حتى قطعت رأسه ، واضطربت المدينة ـــ رجل واحد يساوى ألف أبو جربا جاجرى ـــ وفى الحال أعلنوا إسلامهم جميعًا ، ووليت عليهم أميرًا منهم .

وأثناء إقامتى فى مدينتهم ، أنشأت مدرسة ، وأدخلت أطفالهم فيها ، وأخذت أعلمهم القراءة والكتابة، وأعظهم وأعلمهم الحديث صباحاً ومساءً وأخذنى الأمير إلى أقاصى المدينة ، فأرشدتهم إلى الإسلام حتى أسلموا جميعًا، وأما من تمرد منهم فقد سحقتهم وواصلت تنفيذ خطتى .

عندما سمع شقيق الأمير أننى أدخلت ابن أخيه الأصغر فى الإسلام دفع إليه بجنود لا أول لها ولا آخر لسحق المسلمين ومرشدهم الذى منعهم من عبادة القمر ، وعسكروا عند بوابة المدينة،وبعث رسولاً إلى ابن أخيه لاستقباله،فلما وصل لاستقباله ألقى القبض عليه،فقال "لماذا ؟ " .

قال الأخ الأكبر لماذا تركت دينك من أجل رجل أسود؟"

فلما سمع رجاله ذلك عادوا إلى المدينة مسرعين ، واستعدوا للقتال ، فقلت لجربا أعد السلاح وضع السرج على ظهر الحصان ، فقد حان وقت القتال " .

تحير الولد من شدة الخوف ، وقال " كيف سنحارب الجن ؟ لا أرى أننا سننتصر على هؤلاء " .

قلت " الله أكبر ، ولد صغير لا تعرف شيئًا " .

ركبت الحصان وأحاط بى كل سكان المدينة ، كأننى أميرهم ، فقلت" كل شىء بإرادة الله " .

وأمرت عفريتين بحمل جربا جاجرى إلى المنزل ، حيث تقيم زوجتى ، فذهبا به ، وقص عليهم كيف تركنى؛ ففرحوا كثيرًا لأنه عاد إليهم بثروة كبيرة ، وأخذوا يدعون الله أن يحفظنى حتى أعود لهم سالماً.

وصلت إلى ميدان القتال بحصانى ، أكبر وأهلل ، وفى يدى سيفى شافو ، وعصا الشيخ العجوز الغليظة معلقة فى سرج الحصان ، فلما رأى هذا الأمير ذلك طلب من الجن أن يقبضوا عليّ، فهجم على مائة عفريت مرة واحدة ، فأمسكت سيفى وقضيت عليهم جميعًا ، وأخذت رؤوسهم تتساقط على أرض المعركة كثمار شجرة جوز الهند ، فأمر ملكهم الجميع أن يدخلوا المعركة ويهجموا على فى وقت واحد .

ولما رأى المسلمون ذلك هجموا هم أيضاً مرة واحدة وفى الحال اشتد القتال ، وفاقت المعركة الوصف ، وأخذت أنشد أنشودة النصر ، وسيفى يرتوى من دمائهم، ويحصد رؤوسهم ، ولما شعروا أن الدائرة دارت عليهم ، ولوا الأدبار حتى وصلوا إلى أميرهم كبيتو فأقر هروبهم، وبعث برسائل إلى أتباعه جميعًا ليستعدوا للقتال فى خلال سبعة أيام للقضاء على جنطوكى ومن اتبعه من المسلمين.

عندما عدنا إلى المدينة قال ملك الجن " أشكرك يا جنطوكى ، والآن يجب أن أحملك إلى وطنك ؛ لأن الأمير الذى حاربته ذهب يطلب العون من الملك كبيتو ، ولا ينبغى أن تبقى هنا حتى يأتى ويقضى عليك فتتركنا نقاتله نحن " .

قلت " لن أتركك حتى أقضى على كل أعدائك في هذه الأرض ، سواء كان من الإنس أو الجن ، بإذن الله " .

ووزع الملك الغنيمة التى حصلنا عليها ، فأخذ الخمس ووزع الباقى على المقاتلين ، قلت " يجب أن نستعد ونذهب لملاقاته فى عقر داره قبل أن يأتى إلينا " .

قال الأمير " وهو كذلك ، وجمعنا المقاتلين وتوجهنا إليه ، وفاجأناهم فى الطريق ، وكان عددهم كزبد البحر ، والتقى الفريقان ، ونشب القتال، وكانت المعركة التى أنتظرها ووشنت جمعهم حتى تعجب الجميع .

وعندما أقبل الليل فعلت الخدعة التى تعودت عليها ، وأيقظت أتباعى ووزعتهم فى أماكن مختلفة ،ولما كونوا حلقة حول العدو قلت لهم " إذا سمعتمونى أنطق بالشهادة فاهجموا جميعًا فى وقت واحد ، وقولوا اسحقوهم كفار فاسدين " ثم انسحبوا إلى الوراء واتركوهم يقتلون أنفسهم بأنفسهم " ففعلوا كما أمرتهم .

وعندما طلع النهار أدركوا أنهم قتلوا بعضهم بأيديهم، أما الباقون فقد أمرت أن يضربوا حتى لا ينجو منهم أحد، وواصلنا السير حتى وصلنا إلى الملك كبيتو ، فلم نجد حوله إلا النساء ، دخلنا قصره فوجدنا الثروات المكدسة ، كنوزًا من اللؤلؤ والمرجان أكواما ، وكانت حوائط القصر من الذهب والفضة ، وقد أثرى كل المسلمين بعد توزيع

الغنائم عليهم ، ورأيت ابنة الأمير تجلس فى حجرة من الفضة ، وحولها الجوارى بالمراوح ، وإذا بصقت سارعن إليها لالتقاط البصاق قبل أن تسقط على الأرض ، ولفرط جمالها أطلقوا عليها اسم " نور " فلما رأيتها أعجبت بها وقررت زواجها .

وذات يوم طلبت من ملك الجان أن يأمر اثنين ليذهبا إلى رجالى لمعرفة أحوالهم ، لأن أعدائى كثيرون ، فأمرهم بالذهاب فوجدوهم يحاربون المسلمين . وقد أخذ جربا جاجرى يقاتلهم حتى أعياه التعب وكادوا أن ينتصروا على المسلمين ، وفجأة وصل العفريتان ، وأخذت الضربات تتوالى على الكفار دون أن يروا أحدًا ، ولم يسمعوا إلا كلمات الفخر التى يطلقونها قائلين " نحن جنود جنطوكى الفارس المغوار" ، وأخذ بريق السيوف يبدوا كالبرق ، ولكن لا يرون أحداً ، حتى تم النصر وولى الكفار الأدبار يتعثرون فى خطاهم ، فرح المسلمون وأدركوا أننى على قيد الحياة ، وعاد العفريتان وقصا على كل شىء ، فشكرتهما ، وقدمت إليهما المكافآت السخية.

أما كورنجو الذى فر إلى بلاد الهند فقد استجاب الأمير لندائه وجمع الكثير من المقاتلين وتوجه إلىّ وهو يجهل أنه متجه إلى الفناء .

بعد أن انقشع غبار المعركة قلت لملك الجن " أريد أن أعود إلى وطنى لأعيش بين أخوتى من الإنس ، ولن تنقطع الأخبار بيننا بإذن الله " .

جمع الملك ثروة كبيرة وحملها الجن ، وحملت سيفى شافو وجعلت عروستى أمامى ، وأمر الملك إعطائى حصانًا من الجن لا يسبقه حصان وألف عفريت ليخدمونى ، ولكنى رفضت وطلبت اثنين فقط وجعلت واحداً عن يمينى والآخر عن يسارى ، وودعنا بعضنا وسط البكاء والنحيب لشدة ما كان بيننا من محبة ألفت بين قلبينا .

وصل كورنجو وملك الهند وأقاموا عدة حلقات حول جيش المسلمين ، بجنود وأفيال لا تعد ولا تحصى ، فلما اقتربت منهم بعثت برسول ليأتينى برجالى ، فلم يستطع الوصول إليهم ، فعاد إلىّ وأخبرنى بذلك ؛ فلما علمت بذلك نزلت وفعلت خدعتى التى تعودت عليها فى مثل هذه المعارك ، وأمسكت زمام حصانى الجنى ، وركبته وانطلقت وسطهم كالسيف فى الفضاء ، ودخلت إلى ميدان القتال ، ولم يستطع أحد التعرف علىّ ، وعند الظهر غطت جثث الكفار أرض المعركة ولما يعد هناك موطئ قدم ، ولم اقبل الليل تفرقوا وعدت إلى المنزل .

جاء إلى جربا جاجرى قائلاً " من أنت هـل الـذى فعـل لنا هـذا ؟ "

فمددت يدى وكشـفت عـن وجـهى وعينـى ، وخلعـت خوذتـى .

أدرك جربا جـاجرى أننـى أبـوه ، فـأخذ يـهلل فرحـا ويقول " أيها الناس لقد عاد جنطوكـى" .

وقد عمت الزغاريد المدينة كأنهم قـد أخرجـوا مـن نـار حامية، وأخذ كل منهم يأتينى ويركع أمامى تحيـة لـى ، ولـم أترك منزلاً فى المدينة إلا وقد نال نصيبًا مـن الـثروة ، أمـا العفريتان اللذان حضـرا معـى لـم يراهمـا أحـد سـواى ، عندما تقدما إلىّ قـائلين " "أطـال الله حيـاتك غـداً سـنرحل لشأننا "

قلت " أشكركم ، اذهبـوا " .

وعندما طلع النهار خرجت وسـط المدينـة أفخـر قـائلا " أنا جنطوكى القائد العسكرى ، غـدًا سـتأكلكم الصقـور ، لا يخرج الجبـان " .

بعد ذلك قال " ابن ملك الـهند لكورنجـو " أنـت المقـاتل الماهر اذهب للقائه أنت ، ما حدث لنا مـن خسـارة بـالأمس كان من أجلـك " .

فقال " لقد قضيت ليلة أمس وبطنـى تؤلمنـى " .

قال له ابن الملك " إن لم تخرج الآن فسأقتلك وتقع فيما تفر منه " .

ودفعوه بالقوة فخرج ، يتفاخر بصوت منخفض قائلاً " أنا كورنجو " .

عندما سمعت ذلك أعدت السيف في غمده ، وأخرجت عصاى الغليظة لأننى عدلت عن قتله ، وقلت " الحمد لله، لقد حدث المطلوب ، طالما أن الله قد جمعنا مع الهراب من المعارك، كلب الكلاب . " .

ثم هجمت عليه وما كدت ألمسه حتى سقط، فقلت لجربا جاجرى " قيده " فنزل وربطه تماما ، فركب ابن ملك الهند حصانًا وخرج ، فتقاتلنا معه حتى غروب الشمس ، وأخذ بعض الناس يقول " لقد تركه جنطوكى " والبعض الآخر يقول " لا إن من تستهين به ، قد تكون نهايتك على يده " ، ولكن السبب الحقيقى فى هذا التراخى أن حصانى توقف عندما شاهد كثرة الفيلة تمنعه من المسير، فغضبت ونزلت من فوقه ، وهجمت على الأعداء.

وبعد ذلك رأيت هذا الكافر وهو فوق ظهر الفيل يفتح صندوقًا ، ويخرج منه شيئًا مثل الشبكة ، ولما ألقاها التفت حولى ، فأخذنى ووضعنى فوق ظهر الفيل ، وفتح الصندوق ليلقينى بداخله ، ويذهب بى ـ هذا أمر

مؤسف ــ أمرت العفريتين اللذين يحرسـانى ، فأوقفا الفيل دون أن يعرف السبب ، وقيدا ابـن هـذا الأمـير ، وسلماه لى. وأمرت جربا جاجرى أن يقيـده مـع كورنجـو ، وبعـد أن غربت الشمس تفرقـوا فسألنى المسلمون عـن سـبب طول فترة قتالى لفارس واحد فقلـت لـهم " لأننـى أردت أن أقبض عليه وأدخله فى الإسـلام لأننـى أدركـت أنـه رجـل شجاع " فقالوا " لقد أدركنا ذلـك " .

أما الكفار فقد تملكتم الدهشة مـن أمـرى لأنـهم منـذ أن خلقهم الله لم يروا من يفعل فى ابن الأمير مـا فعلـت ، ولمـا شاع الاضطراب بين صفوف الهنود ، أخـذ بعضـهم يقـول إننى من الجن ، والبعض يقول إننـى رجـل شـجاع ، وبعـد ذلك صنعت حيلة وجئت بسهام غير مسـممة وقلـت " ارمـو الكفار بها " فلما أحست الفيلة بها هاجت وألقـت مـن فوقـها، وجرت وأخـذت تـدوس النـاس باقدامـها ، فلمـا أدركـوا أستحالة النصر ولوا الأدبار ؛ أما ابـن الأمـير فقـد أسـلم ، وطلبت منه أن يعود إلى وطنه فقال " إنـه يخشـى أن يقتلـه أبوه عندما يعلم أنه أسـلم ".

أما كورنجو فقـد كـان المسلمون يخرجـون كـل يـوم ويضربونه ثم يعيدونه إلى سـجنه ، ولمـا وصـل الفـارون إلى الهند أخبروا ملكهم أن ابنـه قـد أسـلم فغضـب وأخـذ يجمع المحـاربين حتـى يـأتى للقضـاء علـى جنطوكـى ، وتستحق الفيلة سكان المدينة مـن المسـلمين .

أعددت العدة للحرب وذهبت إلى بــــلاد الـــهند بجيــوش لا نهاية لها ، وواصلنـــا الســـير حتـــى اقتربنـــا مـــن المدينـــة ، فنزلنا ، وبعد ذلك تسللت مـــع جربـــا جـــاجرى وابـــن ملـــك الهند ودخلنا المدينة ليلاً ، حتى وصلنا إلـــى قصـــر الملـــك . فوجدناه نائمًـــا .

ركله ابنه برجله وقال له " قم يا كلـــب " فاســـتيقظ قـــائلاً " من ؟ "

قال الابن " سيدك ، جنطوكـــى قـــائد جيـــوش المســـلمين ؛ ألا تعلم أن الإسلام قـــوة ؟ "

لم يفعل ذلك بأبيه احتقارًا له ، ولكن لأنـــه كـــافر ، ولأننـــا نريد أن يسلم ، وحتى لا نهلك رجاله تسللنا إليـــه فـــى جنـــح الظلام .

قلت له " أسلم تخلص نفسك من المـــوت " فـــأبى

فقلت للجن " اضربوه " فانـــــهالوا عليـــه لطمـــا ، وقيـــدوه وخرجوا به إلى الدهلـــيز .

قلت للابن " اذهب إلى أبيـــك وحـــاول إقناعـــه ، وعرفـــه حقيقة الإسلام ليسلم ، لأننـــا لا نريـــد أهانتـــه إكرامًـــا لـــك " فذهب إليه وحاول إقناعه ولكنه أصـــــر علـــى كفـــره ، فلمـــا أدركت أن العجوز لم يكتـــب لـــه الإســـلام ضربتـــه ضربـــة قسمته نصفين ، وطلبت أن يلقى نصفه فـــى حجرتـــه ليكـــون عبرة لأبنائه ، والنصـــف الآخـــر فـــى فنـــاء القصـــر لـــيراه

الأمراء ليعرفوا أن هذا مصير الكافرين ، ووليت الابن السلطة بعد أبيه وقلت لخدمه " كل من ترونه يعضى هذا الابن اضربوه " .

ووقف المداحون يمدحونه قائلين " خير من الضرب والسجن طاعة الأمير " ، وعندما جاء الظهر كان أتباعه قد أسروا خمسة وثمانين رجلاً ؛ فقلت للأسرى " أسلموا تأمنوا ، واتبعوا هذا الغلام " قالوا " سمعا وطاعة " .

قلت " كل يعود إلى منصبه ، واذهبوا إلى أهلكم وادعوهم إلى الإسلام بأنفسكم ، ومن يرفض ما تدعون إليه ، حللت لكم دمه " .

قالوا " سمعا وطاعة " .

وهكذا فعلت مع كل الناس ، ووليت كل أتباعى فى المدن التى أسلم أهلها ، أما كورنجو الذى رفض الإسلام فقد أمرت أن يقتل ، فأخذ الأطفال يرمونه بالسهام حتى مات ، وحملوه وألقوه فى مكان القاذورات كالكلب .

أمرت العفريتين الملازمين لى أن يذهبا ويستطلعا لى ما يدور فى موطنى فطارا فى الفضاء حيث شاهدا جيشًا يسير فى الغابة مثل الجراد لا نهاية له فهبطا وانقلبا إلى صورة آدمى وسألا عن وجهة الجيش ، قالوا إنهم جنود انكوى ذاهبون لمحاربة هذا الشيطان الآدمى الذى يسمى

جنطوكى الذى أعيا الناس أمره ؛ فتركوهم حتى ناموا جميعًا ، ثم ذهبا إلى خيمة قائد الجيش فوجداه نائمًا والمصباح مشتعلاً ، فحملاه بالسرير الذى يرقد فوقه وطارا به حتى وصلا به إلىّ ، ووضعاه أمامى ، وقصّا علىّ كل ما شاهداه .

قلت لهما " أيقظاه " فتمدد وأخرج ما فى بطنه من غازات ، وقال " عجبا أين أنا ؟" فركله همباما بقدمه ، فقام يقول " عجبا ، أين أنا ؟ "

قال همباما " أمام أمير المسلمين جنطوكى ، اتبع الطريق السوى تنجو من الهلاك " .

قال " وماذ جاء بى إلى هنا ؟ "

قلت " الجن " .

فرفع رأسه ليراهما فظهرا له فى صورتهما الأصلية ، بأسنانهما البارزة ، وفى الحال اتبعنى دون جدال ، وقال لى كل ما لديه من أخبار وما حدث لزوجتى التى تركتها، وكيف قتلت ، وغير ذلك من الأخبار وفى الحال أعلن إسلامه .

وعندما طلع النهار لم يجد الجيش قائده ، فأمرت أن يعيدوه مكانه ، عند ذلك أسلم الجميع ، وبعد ذلك أمرتهم بالعودة ليحاربوا أميرهم إنكوى قبل أن أعود ، وأمددتهم بألف حصان ، وعادوا .

أما الذين هربوا فقد حملوا خبر إسلام قائدهم وأنه عائد لقتال الأمير فغضب الأمير وسب الشمس والقمر والنار والنجوم ، وجهز جيشًا وأمرّ عليه أحد خدمه .

وركب ليودعه عند ملتقى الطرق ، عندئذ رأى الغبار يرتفع إلى السماء ، فأمر أن يذهبوا ليستطلعوا الأمر ؛ فقالوا القائد الذى ذهب بجيشه لمحاربة المسلمين عاد ليحاربك ، أى بعد أن علمته الرماية عاد ليرميك " .

وقبل أن أعود وجدتهم أثاروا الفوضى فى المدينة ، وقد قبضوا على أميرهم وأخذ ابنه يتوسل لدى الأمير كبارا لإطلاق سراحه ، وخلال هذه الفوضى وصلت إلى المدينة بجيش لا نهاية له ، وانهالوا عليهم ضربًا ، وكأن السماء قد أمطرت دمًا فى كل مكان فى المدينة ، وفى الحال أسلموا وأخذوا يضربون الأمير وكأنهم يدقون الطبول ، وعندما سمعت أم نور حماتى بأننى جئت ، انفجرت فى البكاء لأنها تذكرت ابنتها التى أمر الأمير أن يذهبوا لقتلها ، وسألتها " من الذى قال اقتلوها ؟ " قالت

" فــلان " فــأمرت باســتدعائه ، وســألوه فقــال " أطــال الله حياتك، لم أقتلها ، لقد أشفقت عليها ، وأطلقــت ســراحها فــى الغابة ، وطلبت منها ألا تعود حتى لا نقتــل معــا. ولكــن لا أعرف مصيرهــا الآن " .

فشكرته ، وكافأته بسخاء ، واســتدعيت المنجميــن وقلــت لهم " هل نور ما زالت على قيد الحيــاة ؟ " فضربــوا الرمــل وقالوا " إنها حية ، ولكنها وقعت فى يد الجــن ، وقــد ولــدت لك ابنا حيث كانت حاملاً عندمــا تركتــها " .

أما ابن الأمير إنكوى ، الذى ذهــب إلــى الأمــير كبــارا فقد قال له أننى تزوجت نور ، وكــان هــو أيضــا يحبــها ، وكان تحت هذا الأمير كثير مــن الجــن ــ وإذا اســتجاب الله الدعاء حدث المطلوب بسهولة ــ فأمر أحــد الجــن أن يــأتى له بجنطوكــى .

وكان مساعداى قد طافا الدنيا يســتطلعان لــى أخبارهــا ، فلما وصل الرسول وقــف علــى النــافذة كالطــائر ، وكــان اجتماع الحاشية قد انفض ، ودخلت المــنزل لأنــام ، ودخــل العفريت على ، وهــو يحمــل شــيئاً فقــدت الوعــى عندمــا شممته ، ولما حملنى لم يضعنى إلا أمــام أمــيرهم ، وقــص على كل ما فعل ، فقــال الأمــير " لا توقظــه وأحملــه إلــى النهر وألقه فيه حتى يموت ، ويسود الســلام بيــن النــاس " ،

وذهب وألقانى فى الماء وكأننى جثة حصـــان نفـق ، ولكـن الله قادر على كل شئ فعال لمـا يريـد " .

عندما استيقظت شربت كثيرًا من المـــاء ، وحملنـــى مـاء البحر وأخذ يلقى بى هنا وهناك ، ولا أشعر بـأى شـــىء فقـد كنت فاقد الوعى ، حتى حملنى الماء إلـــى البحـر المحيـط ، وهو البحر الذى يحيط بالدنيا ، وألقـــت بـى الأمـواج علـى جزيرة ، فأخذت أخرج ما فى بطنـــى مـن أعلـى وأسـفل ، حتى كادت أمعائى تخرج مـن بطنـى ، ولمـا انتـهى أثـر المخدر أفقت بســلام .

وأنا على هـــذا الحـال وإذا بمركـب يبعثـه الله بـالقرب منى، فرأونى وأنا ألوح لهم بيدى ، فجـاءوا إلـىّ وحملونـى، وسألونى " ماذا جاء بك إلى هنـــا ؟ "

قلت " أعطونى طعامًا أولاً أملأ بطنـــى الخاويـة ، قدمـوا إلي الطعام فأكلت وشبعت وهـدأت نفســى .

قالوا " اقصص علينا خـــبرك " .

فقلت لهم " لا تسألوا عن أخبارى ، أخـــبرونى أنتـم مـاذا تعبـدون ؟ "

قالوا " نعبد الأصنــام " .

قلت " لعنكم الله ، أنتم وأصنامكم ، رجال فاسدون ، اعبدوا الله الذى خلق السماوات والأرض ، وخلقكم ، وخلق كل ما نرى ، وما لا نرى " .

قالوا " عجبا ، لقد نجيناك الآن وأنت موشك على الهلاك ، وبدلاً من أن تقدم إلينا الشكر تسبنا ؟ "

قلت " نعم ، لعنكم الله ، أنتم لم تنقذونى ، ولكن الله هو الذى أنقذنى ، ولا أبالى بجماعتكم الصغيرة ".

عندما سمعوا ذلك انهالوا علىّ ضربا ، ولم أكن أرتدى إلا ساتر العورة ، فضربتهم بجمع يدى ، وفى الحال قتلت أربعين رجلاً منهم ، فتراجعوا إلى الوراء وبدا عليهم الوجوم ، وأخذوا يحدقون بعيونهم ولا يتحركون ، وتقدم شاب منهم وقال " هل نحن نساء حتى يتغلب علينا هذا الرجل ؟ " فلما سمعوا هذا الكلام زاد حماسهم وهجموا علي مرة أخرى فأخذت أضرب فيهم حتى أعيانى التعب، حينئذ أسرونى ، وقيدونى ، وقالوا " لا ينبغى أن نقتله بل نحمله إلى أميرنا ليراه " ، وأخذونى وإلقونى فى المركب كما تلقى بالة القطن .

وكان لدى أميرهم صنم ، يسكنه أحد الجن ، وكل ما يريد معرفته يسأل الصنم فيجيبه الجنى ، فسأل عن أخبار الدنيا ، فقص عليه كل أخبارها ، وعند وصولهم أمرهم الأمير بقتلى ، ولكن الأمير رأى أن يتركنى إلى الغد

ويحرقنى فى ميدان عام حتى يرانــى النــاس جميعًــا ، وفــى الليل أشعلوا نيرانًا كثيرة ، وحملونـــى إلــى المعبــد وأغلقــوه حتى الصباح ، رأيتنى فى هذا اليــوم وحيــدًا مــع الصنــم ، فقضيت الليل أذكر الله وأصلى علــى الرســول ، فلمــا ســمع الجنى الذى يسكن الصنم ذكــر الله رق قلبــه ، فخــرج إلــىّ قائلاً " أيها الشاب ألا تهدينى إلى الإســلام ؟ " فأســلم وكــان ابن أحد الجن اسمه زلزلو بــن مزلزلــو .

وقبل أن يطلع النهار كان قد خلصنى مــن الأســر وطــار بى وقصد مدينة أبيه ، وقبل أن نصل إلى المدينــة كــان أحــد الجن قد أخبر أباه أن ابنه أســلم ، فغضــب غضبــاً شــديداً ، فلما وصلنا إليه أمر بحبس ابنــه ، وأمرهــم أن يذهبــوا بــى إلى النهر ويلقونى فيه ، وكــانت بــرودة هــذا النــهر تفــوق برودة الثلج ، وقبل أن يصل الخادم إلى هــذا النــهر بســاعة واحدة ، أراد الله أن يتعب مــن حملنــى فــأنزلنى ليســتريح ، فغلبه النوم ، فخلصــت نفســى وبحثــت عــن حجــر كبــير وضربته به علــى رأســه فانكســرت ومــات فــى الحــال ؛ فدخلت الغابة وأخذت آكل من ثمــار أشــجارها .

وفى الصبــاح أمــر الأمــير بإحضــارى مــن المعبــد ، فبحثوا عنى فلــم يجدونــى ولــم يجــدوا الصنــم، فأصابــهم الحزن والدهشة ، وأمــر أن يســتدعى الوزيــر الــذى أشــار عليه بإبقائى حتى الصباح لأحرق ، وقال لــه " لقــد منعتنــى

أمس من قتل هذا الضيف ، وها هو قد هـرب وأخـذ الصنـم معه ، دون أن يفتح بابـا أو نـافذة " ، ثـم أمسـك السـيف وقطع به رأس الوزيـر .

ولما رأى أبناء الوزيـر ذلـك قتلـوا الأمـير ، ونشـبت الحرب بين رجال الأمير وأتبـاع الوزيـر، وأخـذوا يقتلـون بعضهم رجالاً ونساء عـدا رجليـن اسـتطاعا الفـرار إلـى المدينة ، هذا ما أراد الله أن يقـع بينـهم .

وهناك حكمـة لا نعلمـها فـى كـل مـا يفعلـه سـبحانه وتعالى، نسأل الله أن يتوفانا على الإيمـان ، آميـن .

بعد أن قتلت العفريت ظللت أتجـول سـبع سـنوات فـى الغابة ، عارى الجسـم ، وذات يـوم رأيـت عفريتيـن كـل منهما يخطف رجلاً ، ووصلا إلىّ ، نظرا إلـىّ وظنـا أننـى من الجن ، فشعرى يصـل إلـى كتفـى ، عريـان لا يسـتر عورتى شىء ، وكنـت أصلـى هكـذا ، فسـألانى مـن أى قبائل الجـن ؟

قلت " أنا رجل من الإنس " وقصصت عليـهم قصتـى .

قال أحدهما " انتظرنى هنا ، بعد غد آتيـك وأحملـك إلـى وطنك ، بعد أن نحمل إلى أميرنا هذيـن العجليـن " .

قلت " أين همـا ؟"

قالا " هـذان الرجـلان ، حتـى يجـد أميرنـا طعامـه "؛ فتعجبت من هذا الكـلام .

وبعد يومين رأيت العفريت يعود ومعه ثـوب قدمـه إلـى لأرتديه ، وحملنى وطار بى، وارتفـع إلـى السـماء حتـى سمعت تسبيح الملائكة ، فأخذت أسـبح مثلـهم ، وأخـذ هـذا العفريت يهبط بى حتى ألقانى فـى البحـر ، وسـقط ميتـا ، وظللت أسبح ثلاثة أيام ، حتى وجـدت نفسـى بـالقرب مـن جزيرة طويلة فخرجت ومشـيت فيـها ، وأخـذت آكـل مـن ثمار أشـجارها .

رأيت طريقـاً صغـيراً ، فواصلـت السـير فيـه حتـى وصلت إلى إحدى المدن ، فوجدت سـيدة تحكمـها ، وكـانت تشبه فى عاداتها أمينة ابنة أمـيرززو ، فكـانوا يـأتون لـها برجل كل ليلة ينام معها ، وفى صبـاح اليـوم التـالى تقتلـه، وفجأة وصلت إلـى هـذه المدينـة ، فـأحبتنى حبـاً جمـاً ، وعندما أقبل الليل ، حاولت أن أنام معـها ولكنـى رفضـت ، وقلت الموت عندى أفضل من انحـراف خلقـى ، فـأحضرت ماء وبصقت فيه ومسـحت جسـمى بـه ، فصـرت قـرداً ، ومكثت قرداً لمدة عام كامل والحبل مربـوط فـى خـاصرتى، يلعبون بى ويرمون لى الفول السـودانى فـآكل .

وذات يوم قالت لى هذه الأمـيرة " هـل تفعـل كـل مـا أطلبه منـك ؟ "

فرددت عليها بهز رأسى بأننى سأفعل كل ما تأمرنى به ، وفى الليل طلبت ماء وبصقت فيه ، ومسحت جسمى به ، فعدت إنساناً سويا .

قالت" أوفى بالوعد " .

قلت " سأفعل " .

ثم قمت وأمسكت عنقها ولويته ، فماتت فى الحال من شدة الضربة ، وقمت مسرعاً وتوجهت إلى خزانتها؛ فوجدت سيفاً حاداً ، فأخذت ألهو به وتناولت قطعة من القماش ومسحته بها فرحا بحصولى على السلاح الذى أقاتل به .

وفى الصباح بحث عنها أتباعها فى كل مكان فلم يجدوها ، فجلسوا فى حيرة يفكرون فيما سيفعلون .

أما زلزلو ابن ملك الجن ، فلم يطلق سراحه إلا بعد عام كامل ، ولما أطلق سراحه قتل أباه ، واستولى على السلطة بالقوة ، وأسلم على يديه كل سكان المدينة ، أما زوجتى التى أمر أمير إنكوى بقتلها ، والتى أطلق سراحها فى الغابة ؛ فقد هامت على وجهها فى الغابة تتنقل من مكان إلى مكان حتى وصلت بفضل الله إلى مدينة طيبة ، ليس فيها إلا النساء ، ويسكنها الجنيات فرحين بها ، قصت عليهن كل ما حدث لها ، فقلن لها :

لا تحزنى ، كلى واشربى، والبسى ما تريدين ، فسرت بذلك .

وأثناء ذلك أنجبت ولداً ، فقام الجن بخدمتها أثناء الولادة ، لقد كان هؤلاء الجن خدم الملك ، يأتى لزيارتهن كل شهر ، كما أخبرنها وذات يوم جاء إليهن الملك ، فذهب الجميع لتحيته ، وذهبت معهن بابنها الذى حملته على ظهرها .

قال ملك الجن " من هذه ؟ " فأخبرته بقصتها كلها .

قال " يا فتاة ما اسمك ؟ "

قالت " نور " .

قال " سأسمى هذا الطفل ، واصبرى حتى يكبر ابنك ، وسآخذه فى جيش الجن ، ونذهب لقتل أبيك ونوليه السلطة بأية وسيلة " .

قالت " وهو كذلك " وشكرته وانصرفت .

ولما كبر الابن ، أخذ يخرج مع الجن لصيد الأسود، ثم أخذ يتبعهم حيثما ذهبوا ، وأصبح هو الوحيد الذى يستطيع قتل الأسد بالسيف ، وأخذ يخرج معهم لسلب السكان فى المدن ، وأصبح هو الشيطان الذى يرهبه الناس .

ولما بلغ عمره الخامسة عشـــر ، ســـأل أمـــه قـــائلا " يـــا أمى، أين أبـــى ؟ "

فانفجرت فى البكاء ، وقصت عليـــه كـــل مـــا لديـــها مـــن أخبار .

قال الابن " أصبرى ، إن شاء الله ، ســـآتيك بـــرأس أمـــير إنكوى ، من له ابن مثلى لا ينبغـــى أن يبكـــى شـــيئا ، ولـــد واحد مثلى خير من عشرات من الرجال لا خـــير فيـــهم ".

ثم أعد مائتين من الجن ، وقصـــد إنكـــوى ، فقابلـــه كـــل سكان المدينة ، فقتلـــهم جميعـــاً ومضـــى لشـــأنه ، وقبـــل أن يصل إلى إنكوى وصل عددهم خمســـة آلاف ، والجميـــع مـــن إنس وجن يؤيدونه ، فلمـــا وصلـــوا المدينـــة أقـــاموا دائـــرة حولها، ولم يقولوا شيئاً حتى مل الجميع هـــذا الموقـــف ، ولـــم يعرفوا السبب ، لقد بعـــث إلـــى والدتـــه لتـــأتى وتـــرى مـــا سيفعل ابنـــها .

بعد أن وجدت جثة الأميرة التى أخـــبرتكم أننـــى قتلتـــها ، استعد الجميع للقتـــال ، فحملـــت ســـلاحى وعـــدت لممارســـة هوايتى الحربية ، وفى هذه الليلة رأى صديقـــى زلزلـــو ابـــن ملك الجن مناما فـــى الليـــل ، رآنـــى فـــى مدينـــة الأمـــيرة، ويحيط بى الكفار ليقتلونـــى ، وليـــس لـــى معيـــن ســـوى الله ورسوله، فلما استيقظ فى نفـــس الليلـــة ، أمـــر بـــدق طبـــول

الحرب ، واستعد الرجال للحرب وركــب الفرسـان خيولــهم، والتف حوله ألف مــن الجــن يتعجبــون مــن خروجــه فــى الليل، ولم يعرف أحد وجهته ، وقصد المدينـــة ليســاعدنى .

ولما وصل شعر أن الرؤيا تحققت ، فقـــد أحــاطونى مــن كل جانب وأخذوا يطعنوننى من اليمين ومــن الشــمال ، وأنـــا أقول " إننى رجل واحد يغلب ألف ، أنـــا أبــو جربــا ! أيــها الكفار ألا تعرفون جنطوكــــى ؟ " وأخــذت رؤوســهم تســقط كما تسقط العاصفـــة أوراق الشــجر ، وهجــم الجــن عليــهم وفى الحال قضوا عليهم جميعًـــا .

وعندما انقشع غبار المعركـــة ، رأيــت زلزلــو ، فتبادلنـــا التحية ، فقال " رأيت فى المنــام أمــس أن الكفــار يحيطــون بك ؛ لذلك جئتك فى الحال " فشكرته ، وذكر لـــى مـــا فعلــوه بأبيه مزلزلو ، وجمعنا ثــروة كبــيرة وعدنـــا إلـــى زلــزو ، وبحثت عن شخص أمين ووليته الســلطة فــى المدينــة بــدلاً من الأميرة التى قتلتها بعد أن أســلم الجميــع .

وبعد ستة أشـــهر عزمــت علـــى العــودة إلــى وطنـــى ، وحمل أربعة آلاف من الجن ما قدمه إلى زلزلـــو مــن هديــا، وحملنى زلزلو بنفسه ، ولم يتوقفوا إلا فـــوق ســطح مــنزلى صباحًـــا ، فــنزلت وأيقظــت أولادى ، وقلــت لــهم " أنــــا زوجكن جنطوكى " ، وكلما جـــاءت واحــدة مــن زوجــاتى عانقتنى لشدة سرورها ، وبعد ذلــك خرجــت إلــى المدينـــة ،

فعمها السرور ، وأخذ سكانها يهتفون جميعًا ، لقد عاد جنطوكى ، لقد عاد جنطوكى ، جاء الأمراء جميعًا لتحيتى، وعانقت جربا جاجرى ، وقبلت رأسه وأخذنا نبكى من شدة السرور والحنين .

حينئذ قلت لهم " هذه الجيوش التى تحيط بالمدينة من أين جاءت ؟ "

قالوا " لا نعرف ، لقد جاءوا وعسكروا ، ولم نقل لهم شيئاً ، ولم يقولوا لنا شيئاً " .

قلت " غدا ابعثوا إليهم برسالة ، ومهما يكن الأمر فليأتوا ، على الرحب والسعة " .

لقد كان قائد الجيش الذى أحاط بالمدينة هو ابنى الذى قصصت عليكم خبره ، لقد وصل مع والدته فى هذه الليلة، التى ينتظرون وصولها ، وها أنا أيضاً قد عدت ، لقد فارقتها منذ كانت حاملاً فى هذا القائد ، الله قادر على كل شىء . عندما طلع النهار ، استعد هو وجنوده ، وما معه من الجن وكل من إصطحبه ، وبدأوا القتال ، خرج ابنى وأخذ يتفاخر قائلاً " لا يخرج إلا أمراؤكم " (لأنه لا يعرف أن والده استولى على المدينة وقتل جده ، والد أمه).

خرجت ، وبدأ القتال ، وتكسرت الرماح، فبدأت حرب السيوف ، حتى تلثمت ، وتعبت الخيول ، فنزلنا إلى الأرض ودارت المعركة بالأيدى منذ الصباح حتى الظهر، قال الناس " لم يتلق جنطوكى بفارس مغوار مثل هذا " وأمسك الابن أباه ، ورفعنى إلى أعلى ووضعنى فوق كتفه ، وكاد يلقينى على الأرض ، فعركت أذنه ، وكدت أقطعها ، فشعر الغلام كأن السماء قد وقعت على رأسه ، فصرخ قائلاً " تبت ، الأمان " ؛ فأمرت بوضعه فى الأغلال ، فهجم رجاله مرة واحدة ، وكذلك فعل أتباعى ، وبسرعة نشبت معركة حامية ، وصار صليل السيوف كالرعد يصم الآذان ، وفى الحال قضى على جيش الغلام ، وبعد ذلك جلست على الكرسى ، وطلبت أن يأتونى بهذا الغلام الذى قاد المعركة ؛ فلما جاءوا به قلت له " من أين جئت ؟ وما اسم أبيك ؟

قال " جنطوكى قائد جيوش المسلمين " .

قلت " جنطوكى أبو جربا، وكيف عرفت ؟ قال هكذا قالت لى أمى " فأخذ كل رجل فى الحاشية ينظر إلى أخيه" .

قلت " فكو وثاقه " ففعلوا .

قلت " أنى أعرف ذلك ، رجل ابـــن رجـــل ، إننـــى أعلـــم أنه لا يوجد سواى فى هذه الدنيا ينجب ولــــداً شـــجاعاً مثلـــك، من هى أمـــك ؟ "

قال " نور " فأمرت أن يأتونى بـــها ، فلمـــا رأتنى عـــانقتنى من شدة الســـرور، ودخلـــت إلـــى المـــنزل مـــع زوجـــاتى، وودعت زلزو ، وعاد ، وأخذ كل منـــا يقـــص علـــى الآخـــر كل يوم ما وقع له من أحـــداث .

بعد ذلك طلبت من جربا جاجرى الاســـتعداد لنعـــود إلـــى بلاد السودان لنقتـــل الأشـــرار والأوربييـــن الذيـــن ســـيطروا عليها ؛ لقد حاربنا الجن حتى أصلحنـــا أمرهـــم ، فمـــا بـــالك بـــالإنس ، إن إصلاحـــهم أيســـر علينـــا ؛ بعـــد أن وزعـــت رجالى وحددت لكل منهم المكان الـــذى يقيـــم فيـــه ، اتخذنـــا طريقنا ودخلنا مرة أخرى ، ولكن لم ندخـــل محـــاربين، لقـــد جئنا لنرى حالهم ومـــدى قدرتـــهم ، ووصلـــت الـــى الشـــيخ طلحة ، حماى ، وقضيت عنـــده يوميـــن ، ورأيـــت أخوتـــى الترنكاوى الذين فروا مـــن ســـكوتو ، ورأيـــت الذيـــن ألقـــوا الســـلاح ، واحـــترفوا الزراعـــة ، وذهبـــت إلـــى مصـــر ، ورأيتهم يعرفون كل شىء ، فقلت لـــهم " تحيتـــى لكـــم أيـــها المصريون من الصغير إلى الكبـــير " .

حينما تجولت فى البلاد رأيـــت الســـيطرة علـــى الســـكان بصورة لم أر مثلها من قبل ، رأيـــت العـــدل قـــد قـــام بيـــن

الناس ، فقلت لجربا جاجرى هــذا لا يحــدث إلا بــإرادة الله، والأفضل أن نقوم بتعليم الناس القراءة والكتابــــة حتـــى نجـد ما يعيننا على أداء فريضة الحج ، لعل الله يخفــف عنــا مــا اقترفناه من ذنـــوب " .

فهب واقفاً وقال " لا ، لن يحدث هـــذا ، لــن نحــترف إلا القتــال " .

فناديته وهمست فى أذنــــه قــائلاً " أتعــرف فــائدة العلــم؟ أتعرف أن كل ما ذهب سيعود ؟ ولولا جــــهلك لأدركــت مــا أعنى ، إذا رأيت الأمراء قد أقاموا العــدل ، وتركــو الظلــم ، يصير قتالهم أمراً عسيراً " ، عند ذلك وافق علـــى رأيـــى .

فقلت له " الأفضل أن أبعثك إلى مدينـــة كتســينا ، لأننـــى أسمع أنها مجمع للعلماء الأفاضل وطـــلاب العلــم " .

قال " سمعا وطاعـــة " .

بعد ذلــــك ذهبــت إلـــى مدينـــة كتســينا ، أخــذت أبيـــع وأشترى، وقد ألفت تلاميذ المدرسة التـــى التحــق بــها جربـــا جاجرى ، وبينما هم جالسون أمام حـــانوتى يشــمون الــهواء، سمعت يوماً أحدهــم يقـــول " يــوم الأحــد ، عشــرين مــن شهر أكتوبر ، إن شاء الله فـــى هــذه الوقــت ســنذهب إلـــى مدينة زاريــا " .

فسألته السبب فقال " سنذهب إلـــى زاريــا لــنرى ســـمارو والمحطة ومعسكر الجنـــود " .

لعلك تعرف أن من شب على شيء شاب عليه فقلت " سأذهب معكم ، لا ينبغى أن ننتظر حتى نسمع الأخبار ، لابد أن نرى بأعيننا ، فالرؤية خير من السماع".

ومرت الأيام حتى جاء اليوم ، فاستأذنت من أسرتى ، ونبهت على جربا جاجرى ، بأن يهتم بعمله ، واتخذنا طريقنا حتى وصلنا إلى مدينة كانو ، حيث رأينا طائرة ينظر إليها أهل المدينة صغاراً وكباراً فى دهشة واستغراب ، ولكن هذا لم يدهشنى لأننى رأيتها فى مصر، وها هم فى كانو مثل الجراد ، ولما غادرنا كانو ووصلنا إلى زاريا، توجهنا إلى المحطة فى حى سمارو ، لم أر مثل هذا فى وطنى ولكنى رأيته فى الشرق ، ولم يدهشنى شيء كما أدهشنى ما رأيته فى معسكر الجنود ، وقد رأيت الرجال قد حملوا السلاح يروحون ويجيئون حاملين السنكى والبندقية فى وسط الميدان ، فشعرت بجسدى يقشعر ، وبدأت جذوره تتحرك ، ورأيت ما لم أره وسمعت ما لم أسمعه ، فقلت " ويحى الأمس غير اليوم ".

ذهبنا أولاً إلى من يطلقون المدافع ، ورأينا كيف توضع فيها الطلقات وكيف يوزع عليهم العمل على المدفع ، وكيف يصدر إليهم الأمر بإطلاق النار ، وفى كل مدفع مرآة يرون فيها الهدف الذى يطلقون عليه النيران ، الذى تقربه إليهم هذه المرآه حتى يخيل للإنسان أنه يستطيع أن يمد يده ويلمسه ،فإذا وضعوا القذيفة ،

وصوبوا المدفع على الهدف تماماً جاءوا بالرصاص ، ووضعوه فى ثقب فى المدفع فيخرج من فوهته ، ويحدث ما يحدث من دمار .

وذهبت مع التلاميذ ، ونظرت فى هذه المرآة ، فرأيت مدينة ززو ، كأننى أستطيع أن أمسكها بيدى ، فقلت " نعم، إن هؤلاء الرجال لهم شأن عظيم "، ورأيت ضمن هؤلاء الرجال " إندا غانا " عرفته من مشيته والوشم الذى رسم على شفتيه ، فقلت فى نفسى " هل هذا إندا غانا ؟ " وانصرفت بفكرى عن هذا الأمر .

بعد ذلك رأيت الجنود فى كل مكان ، يحملون اللاسلكى فى أيديهم يتحدثون مع بعضهم ، ودخلنا حجرة كبيرة فلم نجد فيها إلا المدافع يصلحونها ، فقلت فى نفسى: " أهكذا تغيرت الحياة !! أم أننى فى حلم غريب؟".

وواصلت السير مع التلاميذ فرأيت العجب ، فقد كان الجنود يستقبلون الأوامر باللاسلكى ، ويستعملون الأعلام، فيحرك أحد الجنود العلم فى يده ، فيرد عليه جندى آخر من بعيد ، فيحرك العلم الذى يمسكه بطريقة خاصة ، ويستعملون المرايا كذلك التى ثبتت على بعد ميل، فيتحدث الإنسان من خلالها إلى الجندى القريب منه فيمده بالمساعدة ، وواصلنا السير حتى وصلنا إلى من يضعون الذخيرة فى بنادق طويلة ، إذا أطلقت يخرج الرصاص

ويصعد إلى أعلى، ويطلقونــــها علـــى الطـــائرات المعاديـــة ، ويستطيعون رفع رؤوسهم إلى أعلـــى مـــن خـــلال الخنـــادق التى حفروها ، وقد أطلقت أمامنا القذائف فلـــم نرهـــا عندمـــا ارتفعت فى الفضاء ، ولم نعرف أيـــن ســـقطت .

وعندما عدنا ذهبت إلى الجنـــدى الغـــانى ، وحييتـــه فقـــال لى : سيدى ، ألست جنطوكـــــى ؟

قلت " نعم أنا جنطوكـــــى " .

فقال " ألم تعرفنـــى ؟ "

قلت " أنت إندا غانـــا " .

قال " نعم ، أطال الله حيـــاتك " .

وبدأ يقص علىّ أخباره منذ أن افترقنـــا ، وكيـــف حصـــل على هذا المنصب الكبير فـــى جيـــش غانـــا ، وســـألنى عـــن سيدته ، فقلت له " لقد ماتت هنـــاك فـــى بـــلاد الجـــن "، ثـــم سألنى عن جربا جـــاجرى .

فقلت له " لقد التحق بالمدرسة ، وصـــار معلمـــا " .

فقال لى " وما أخبار حربـــك ، وانتصـــاراتك ؟ "

قلت " اترك الحديث فى هذا الأمر يا بنـــى ، الجـــهل هـــو الى جعلنا نحاربـــهم " .

المــــاء الشــــافى

Ruwan Bagaya

تأليف : الحاج أبو بكر إمام

كان يعيش فى عهد الشيخ ابن زيـــازينو رجـل مجنـــون ، كان يسمى كوجى **Koje** أمير القصـــة ، وســمى بـــهذا الأسم لأن جنونه لم يكن يدفعه إلى سب أحـــد ، أو ضــرب أحــد ، ولم يكن يريد شيئاً سوى ســماع القصــص ، فــأخذ يطــوف فى البلاد ، يقص على الأغنيـــاء والأمــراء قصصــه ، وهــم فى مقابل ذلك يقدمون لـه الطعام ، فإذا قــص لــك قصــة لــم تسمعها من قبل ، وأعطيته مالا ، يأخذ جــزءًا ممــا أعطيتــه ويرده إليك، على أن تقص له قصة لـــم يســمعها ...

وهكذا يطوف فى البلاد ، حتـــى شــاء الله أن يــنزل فـــى بلدة اسمها كونتا جـــورا **Kwantagora** ، وهـــى بلـــدة كبــيرة فى بلاد السودان ـ غـــرب إفريقيــا ـ فذهــب إلـــى أمــير المدينة ونزل عنده ، وبعــد أن أنـــزل متاعـــه ، خــرج إلـــى باب النصر ، وبدأ يمــــارس هوايتـــه فـــى طلــب القصـــص والاستماع إليها ، وظـــل حوالـــى ثلاثـــة أيـــام يقــص علـــى الأمير قصصه ، ويســـتمع إلـــى مـــا يقصـــه عليـــه رجـــال الحاشية ، مقابل ما يقص علـــى أمــيرهم .

وبينما هو يتجول فى المدينة ، وصل إلــــى مبنـــى ضخـم به حجرات كثـــيرة ، ووجـــد خدمـــا يجلســـون علـــى بابـــه، فسألهم " بيت من هـــذا ؟ "

فقالوا " من فـــى هـــذه الدنيـــا كلـــها لـــم يعـــرف الحـــاج إمـــلم!!؟؟ "

قال أمير القصة " هل ســـــيخرج الآن ؟ "

قالوا " وماذا سيخرجه الآن ، طالما أن الظـــــهر لـــم يحـــن حينه ؟ "

حان وقت الظهر ، فسمع وقع الأقدام تف تـــف تـــف فقـــام كل الجالسين فـــى الممـــر ، فلمـــا ظـــهر رب البيـــت خـــروا جميعا راكعين ، تحية له ، فلمـــا جلـــس نظـــر إلـــى كوجـــى **Koje** وقال : من هـــذا ؟

قال كوجى : أنا أمير القصة ، جئـــت هـــذه المدينـــة منـــذ عشرة أيـــلم .

وقص لـــه كـــل شـــىء عـــن هوايتـــه لســـماع القصـــص الغريبة، وكيف يدفع له ... وما يدفـــع لـــه ، ثـــم ســـأل هـــل يشـــترى ؟

قال رب البيت : لا بـــأس ، قــل وسأســتمع إليــك ، لقــد نلت اليوم ما تتمنـــى .

فابتسم كوجى وقال : وهو كذلك كل منا نال مــــا تمنـــى .

ثم بدأ أمير القصة يقص أخبـــاره ، ولــم يتوقــف ، ولمـــا قص حوالى ثلاثين قصة قال لرب البيت : ادفـــع ثمــن هــذه القصص حتى أحس بالقوة التى تدفعنــــى للاســتمرار .

قال رب البيــت : زد .

فأخذ يقص حتى تعب ، ولمـــا انتـــهى مــن الحديــث قــال رب البيــت :

كل قصصك لا تستغرق وقتـــاً أكــثر ممــا بيــن الصبــح والمغرب ، ومع ذلك يسمونك أمير القصـــة ؟ ثــم قــال لــه : عد غداً أنت وأصحابك جميعا ، وسأقص عليـــك أخبـــار كــل ما عملته فى هذه الدنيا ، حتى شـــاء الله أن أجمــع كــل هــذه الثروة التى تراها ، وســـأحاول أن أختصــر هــذه القصــص حتى أقصها عليك فى عشرة أيــــام .

فودعه كوجى أمير القصة وانصـــــرف.

وعندما طلع صباح اليوم التالى ، حضر وجلس ليستمع إلى رب البيت ، وبعد أن ظهرت الشمس بقليل خرج ، فصبح عليه الرجال الذين ينتظرونه فى مدخل القصر ، ثم جلس على كرسيه واضجع ونظر إلى كوجى وقال له : كم أذنا لك ؟

قال : اثنان

فقال رب البيت : ضف إليها الثالثة حتى تحسن السمع.

قال كوجى : وهو كذلك ، شكراً .

الباب الأول

الحاج يخرج للبحث عن الماء الشافى :

قال رب البيت : أولا ، اسمى الحاج إمـــام ، كـــان والـــدى عالمًـــا كبيرًا من علماء أمير الســـودان ، اســـمه نـــا ــ بكـــن ــ كوجى NA BAKIN KOGI وقد تقدم به الســـن حتـــى بلـــغ الكبر ، ولم يرزق بمولود ، حتى ولو ميتا ، ممـــا ســـبب لـــه حزنًـــا شديدًا ، فهو يملك الكثير من الكتـــب الضخمـــة ، ولـــم يجد لها وارثـــا ، ولكن له زوجـــة ، لـــها ابـــن مـــن رجـــل آخر ، كان شيطاناً ، يقال له ســـقيمو SAKIMU ، مـــهما يقـــدم له أبى من خير ، لا تقابله الأم أو الابـــن بالشـــكر .

وذات يوم ـــ وهو على هذا الحال ــ كـــبر الولـــد وصـــار شجاعًـــا ؛ وأصبح فارسًـــا ، وبعد أن بلـــغ الخامســـة عشـــر من عمره ، وأحس بقوة الشباب ، أخـــذ يخـــرج إلـــى القـــرى المجاورة ، ويقطع الطريق ، وينـــهب النـــاس ، وقـــد حـــاول أبى كثيرًا ، أن يمنعه فرفض ، فـــأمر بحبســـه .

وبعد أن قضى ثلاثة أيـــام فـــى الحبـــس ، أمـــر بـــإطلاق سراحه ، فعاد إلـــى البيـــت غضبـــان ، ويحـــس بـــالضيق ،

ولكنه لم يظهر شيئاً ، ولما أقبل الليل ، أخـذ سـيفه ، وتسـلل إلى حجرة نوم أبى ، وقطع رأسه ، وأخذ الجثـة وكفنـها.

وعندما طلع النهار ، خرج إلى الأمير وقـال لـه إن أبـاه قد مات فى الليل ، بعـد أن أحـس بمغـص شـديد، فـاجتمع الناس ، وشيعوه إلى مثواه ، ثم تفرقـوا ، واجتمـع النسـوة ، وأخذن يبكين كالعادة ، ثم سـكتن .

وبعد مرور أيام على مـوت أبـى ، رأى سـقيمو رؤيـة، رأى أبى واقفاً ، ورأى شيئاً صغـيراً كـانواة التمـر يخـرج من ذكره ، ثم أخذ ينمو حتى صـار كالأسـد ، وعندمـا بلـغ ذلك انقض على سقيمو وقتلـه .

هذه الرؤية أقضت مضجعه ، فلما طلـع الصبـاح ، جمـع علماء التنجيم ليضربوا له الرمـل.

أخذ العلماء يخطون على الرمل خطوطـا ، ثـم يمحونـها، عدة مرات ، وأخيراً قال كبيرهم: ستلد إحـدى نسـاء الشـيخ الذى توفى فى هذا البيت ولدا سيقتلك ؛ فقـال سـقيمو : مـع أننى لا أعرف فى هذا الفـن ، إلا أنـه كـذب ، فـرب هـذا البيت لم يسبق له الإنجاب، اغربوا عـن وجـهى ، كهنـة لا فائدة منـهم .

فنفض كل منهم يده من الرمال ، وانصرف فـى خجـل.

وفى منتصف الليل استيقظ سقيمو من نومه ، وأخذ يفكر ويدبر ، وتذكر ما قاله المنجمون ويقول : كما يجب أن نخاف الله ، يجب أن نخاف قول المنجمين كذلك ، الأفضل أن أهلك هؤلاء النسوة الأربع كلهن ، قبل أن يوفين العدة ، كيلا تصير أقوال أصحاب اللحاة الطويلة حقيقية .

لذلك فكر فى الحصول على سم ليدسه لهن ، واحدة بعد الأخرى، حتى يمتن ، فيقال إن الحزن على فراق زوجهن قتلهن ، ولكن والدتى كانت قد تركت المدينة قبل ذلك ، فمنذ وفاة والدى ، أخذها أبواها لتعيش معهما فى القرية التى يعيشان فيها .

ولكن سقيمو لم يتركها ، فأرسل خادماً من خدمه الأشرار إلى هذه القرية ، وشرح له ما سيفعله حتى يسرقها ، ويخترق بها الغابة ليقتلها، فلما أقبل الليل وضع الخادم السرج على الحصان ، وذهب وسرقها ، بعد أن ربط فمها وذهب بها خارج المدينة ، حيث أخفى حصانه، وضعها مقيدة على الحصان ، واخترق الغابة بها بسرعة شديدة ، حتى اقترب الصباح ، فوقف واستل سيفه ، ليقتلها فوطئ ذيل حية ضخمة ، فلدغته ، فسقط فى الحال ميتاً ، واخترق الحصان الغابة جريا .

تحيرت والدتى ، ولم تعرف شرقاً ولا غرباً ، وخافت أن تسأل عن الطريق إلى المدينة ، ومرت أيام عليها وهى تسير على غير هدى ، حتى وصلت إلى هنا، إلى " كونتا جوار "، وأراد الله أن تبلغ فى هذا الوقت الشهر الثانى من حملها ، ومرت الأيام ، وكبر الجنين ، ثم ولدتنى هنا، فى بيت أمام المدينة ، فسميت باسم الحاج إمام ، لأن إمام المدينة لم يكن له ولد أو حفيد ، لذلك قال إنه وجد ابنا وسمانى إمام ، أى الإمام الثانى من بعده .

وكانت أمى تسمى " ياقوتة " ، عندما بلغت الأربعين يوما من الولادة ، عقد لها على إمام المدينة ، وهكذا حتى بلغت الثانية عشرة من عمرى ، وقد حاول الإمام كثيراً أن يعلمنى القراءة ، ولكنه فشل فى ذلك، وها أنا قد كبرت، ولا أعرف حتى الألف ، ومع ذلك جعلنى كابنه تماماً ، ولم ينظر إلى نظرة غضب واحدة ، ولا ضربنى.

وذات يوم ، بعد أن انتهيت من صلاة الجمعة ، رأيت الإمام ــ أبى ــ يعود إلى البيت، وعيناه يسيل منهما دمع غزير ، فقابلته باكياً وقلت له : بابا عافية .. فقال : أين هى العافية ؟ !! لقد أحرجنى الأمير اليوم أمام الناس .

ولما سألته عن سبب ذلك قال : لأنه كان يجلس بين رجال الحاشية اليوم فقال إن ابنه ياريما **Yarima** مريض ولا يستطيع الحركة ، فقلت له : سمعت أنه يقال لو وجد

الماء الشافى ، فى أية مدينة لارتاح كل سكان هذه المدينة من وباء هذا الزمان ؛ لأننى قلت هذا الكلام البسيط ، غضب الأمير ، وادعى أننى أسخر منه .

عندما سمعت أبى يقول ذلك غضبت ، فعدت إلى البيت وأخذت عصاتى الصغيرة ، وذهبت إلى حجرة أبى، وطلبت المغفرة منه ، وقلت له سأتجول فى الدنيا ، وخرجت من المدينة من الباب الشرقى ، تفاؤلاً فقط ، وليس لمعرفتى للجهة التى سأقصدها ، وأخذت طريق تمبوكتو، سرت كثيراً ، وبعد أن سرت سبعين يوماً ، رأيت على البعد صخرة فى وسط غابة لا حياة فيها ، فقلت فى نفسى : لأذهب إلى هذه الصخرة ، ربما أجد ماء أسد به رمقى .

قصدت الصخرة مباشرة ، وعندما وصلت إليها ، رأيت كهفاً كبيراً ، فتوقعت أننى سأجد فيه ماء ، فأطللت برأسى فيه ، ثم توغلت بداخله وسمعت من يقول لى : أنت إنسى أم جنى ؟ !!

عندما سمعت ذلك ، أسقط فى يدى ، وخفت وأخذ كبدى يرتعش ، ثم تشجعت وقلت : إنسى ... فرأيت شيخاً كبيراً يقبل علىّ ، وهو يمسك مسبحة فى يده، وسألنى عن قصتى ، فقلت له كل شىء من البداية حتى النهاية .

ولما عرف أن فى نيتى الوصول إلى الماء الشافى ، صرخ صرخة شديدة ، وقال :" يا والدى أنت إنس أم جن؟ ما دفعنى إلى أن أسأله هذا السؤال إننى رأيته يحشرج حشرجة وصلت إلى صدره ، فأجابنى قائلاً : إننى إنسى ... أخوك ، قضيت هنا سبعين عاماً ، فى العبادة ، لم أر مخلوقا قط سواك اليوم .

وبدأ يقص علىّ قصته ، وقصة مدينته ، وأقاربه ، فأحسست كأنه أبى الأخ الأكبر للإمام ، الذى طالما قص علىّ الإمام قصته ، وقال إنه هام على وجهه فى الدنيا ، ولم يعرف أين هو الآن ، ولما انتهى من كلامه عرفته بنفسى ، فأخذنا نتعانق ونبكى فرحاً ، وسألنى عن أخبار المدينة فقلت له كل شىء .

قضيت يومين عنده لأستريح ، وآكل من ثمار الأشجار ، لأنها طعامه الوحيد ، وبعد أن تآلفنا طلبت منه أن يضرب لى الرمل ، ليحدثنى عن أخبارى وأخبار نيتى، فضربه وقال لى : إن الماء الشافى موجود فى هذه الدنيا ولكنه تحت سيطرة الجن ، وليس على ظهر هذه الأرض التى تطأها قدماك الآن .

وعندما انتهى من قص خبره قلت له لا بأس ، طالما أنها موجودة فى هذه الدنيا ، سأبحث عنها إلى آخر يوم

من حياتى ، مع أن الإمام زوج والدتى ، ولكننى لن أسمح لأحد أن يهينه .

بعد أن قضيت سبعين يوماً فى الرحلة ، وصلت إلى مدينة تمبوكتو ، فأعددت نفسى كما يعد التجار أنفسهم ، وذهبت إلى الأمير ، وقلت له إننى تاجر ، وتجارتى فى أعقابى ، ستصل بعد ثلاثة أيام ـ ما دفعنى إلى أن أقول له ذلك إننى تركت ماشية أحد التجار خلفى فى الطريق .

لعلك تعرف رحيل الرجل المفلس ، لا ينام إلا فى استراحة التجار فى الطريق لذلك تركهم .

وتعودت أن أشترى ماء كل يوم ، وشربه بثلاثة قروش ، وأخرج إلى باب البيت الذى أنزل فيه ، وأصبها فى كل مكان ، لأنه كان لدى صديق غنى ، يأتى لزيارتى كل يوم فى المغرب ، فإذا جلس لتحيتى أقول له : كش الأولاد وسخوا الأرض بالشربة ، فإذا التفت ليجلس فى الغرب قلت له ، وهنا أيضاً ، وإذا التفت جنوباً أو شمالاً، أقول له وهنا أيضاً ، كل المكان وسخوه ، حتى يظن أننى غنى ، أطعم كل فقراء المدينة ، منذ أن جئت ، فى الوقت الذى أعيش فيه على الكفاف .

وبقّدرة الله ، بدأ الجميع يعتقدون ذلك، حتى استطعت أن أقترض منه حوالى خمسين جنيها ، وكل يوم أتحايل عليه قائلاً ، عندما تصل ماشيتى ، لن أبيع لأحد سواه

فقط ، وسيمسك أى ثور ، ويخفض فى ثمنـــه كيفمـا يشـاء ، لأنها كلها ملكـــى .

ومضى ثلاثة أيـــام ، ولـــم تصـــل ماشـــيتى ، وذات يـــوم رأى بعض التجار ، فقال لى :لنسألهم عن أخبـــار ماشـيتك؛

فأجبته : يجب أن نسألهم .

فقابلتهم وسألتهم : هل تركتم ماشية كثـــيرة وارءكـــم ؟

فأجابوا : نعم ستصل غـــداً .

أى الماشية التى تركتها ورائى ، قـــد رأوهـــا.

وعندما أحسست أنه إذا وصلـــوا غـــداً سيكتشـــف كذبـــى ، ذهبت إلى بيت هذا التاجر وقلت له : أريـــد خمســين جنيـــهاً أخرى ، قبـــل أن تصـــل الماشـــية فـــى الصبـــاح وتبـــاع ، فأعطانى فى الحال ، وبذلك اقترضت منه مائـــة جنيـــه .

وبعد أن خرجت من عنده ، اخترقت الغابـــة ، بـــدلاً مـــن اتباع الطريق العام ، وبعد أن سرت واحـــداً وأربعيـــن يومـــاً، وصلت إلى مدينـــة يقـــال لـــها " ســـابورى **Saburi** " وهـــى مدينة كبيرة ، ولكن كل ســـكانها جـــهلاء تمامـــاً ، لا يوجـــد فيهم من يعرف حتى الألف إلا أنـــا فقـــط ، وأنـــا أيضـــاً ، لا أعرف شيئاً مـــن القـــرآن ، إلا آيـــة واحـــدة ، كنـــت أســـمع المعلـــم يقرؤهـــا دائمـــاً ، إذ صلـــى الـــتراويح وهـــى " مدهامتـــان " :

عندما وصلت أخـذت مسـبحة طويلـة ، وقصـدت بيـت الأمير ، وقلت له إننى عـالم .

فقال : من أيـن ؟

قلت : من البلاد العربيـة .

عندما سمع الأمير ذلك سر بقدومى ، وقـال : إلـى أيـن ذاهب ؟

قلت : سأبقى هنا ، لقد كنت أرى دائماً فـى منـامى هـذه المدينة ويطلب منى أن آتى لأعلمكم الصـلاة لتدخلـوا الجنـة كلكم بسبب عدلك يا أمـير.

لما سمع الأمير ذلك ، جمع كبـار رجـال المدينـة كلـهم وأخـبرهم .

جمعت ستة لأعلمهم الصلاة ، ولم أعرف مـا أقـول لـهم، مكثت كل يوم أعلمهم هـذه الآيـة "مدهامتـان " وجـاء كـل أبناء المدينة ، لأعلمهم القراءة ، وبعد أيام قلائـل حفـظ كـل واحد منهم "مدهامتان " ومـن حفظـها جيـدا أخـذ يرددهـا بطرق مختلفة ، فمرة يرفع صوتـه ، أو يخفضـه، أو يخـرج صوتا مختلفا حتى يحفظها تمامـا .

بعد أن مكثت حوالى سبعة أشـهر ، حضـر إلـى المدينـة ذات يوم أحد العلماء فأخبره الأمـير قصتـى وشـهرتى فـى المدينة كلها ، ولعلك تعرف أن العلمـاء يعيبـون زملاءهـم ،

فجاء وتبادلنا التحية ، فى هذا الوقت جمعت مالاً كثيراً ، لأننى كنت صاحب الأمر والنهى فى المدينة، حتى جعلونى كالصنم الذى يعبد .

وعندما وصل هذا العالم وتبادلنا التحية قلت :

ما اسمك ؟

قال : اسمى المعلم زرقية بن محمد ، وأنت ما اسمك؟

قلت : المعلم الحاج إمام ، معلم المعلمين .

عندما طلع النهار ذهبنا للصلاة ، فأحس أننى لا أعرف شيئا ، فأخذ يهاجمنى لدى الأمير ، وطلب أن يمتحننا معاً ، ليرى من منا الأعلم ، فقال الأمير : لا ، المعلم الحاج إمام لا يغلبه أحد فى هذه الدنيا كلها ، ولكن المعلم زرقية بن محمد أصر على طلبه ليحرجنى ، ليسخر الناس منى .

وذات يوم ناداني الأمير وأخبرنى بما قال هذا المعلم له ، فلما سمعت ذلك قلت فى نفسى " اليوم انكشفت كذبة الرجل " .

قال الأمير : لم أسمعك تقول شيئاً ؟

فقلت : لابـد أن يكـون ذلـك ، فـالعلم القليـل مضلـل، وطلبت من الأمـير أن يعلـن علـى النـاس الحضـور فـى صباح الغد ، كباراً وصغاراً ، لمشـاهدة المناقشـة .

فلما سمع الأمير ذلك رفع يده تحية لى وقـال " عـالم ابـن عالم " .

وفى الصباح تجمع الناس فبعث الأمـير إلـىّ ، فحضـرت وجلست وسط الناس ، وبينما أن جـالس رأيـت ثلاثـة أولاد يحملون كتاباً كبيراً ، فقلت " من أيـن جئتـم ؟ قـالوا : مـن منزل المعلم زرقية بن محمـد " .

وبعد قليل حضر المعلم زرقيـة ، فـأعطى فـروة وجلـس عليها ، وحوله كثير من الناس ، بعد أن تبادلنـا التحيـة قلـت " هذه الكتب جمعتـها ؟ " .

فقال : عندى التوراة ، والزبـور ، والإنجيـل ، والقـرآن، والسمرقندى الأول والثانى ، وكتب أخـرى لا أذكـر اسـمها، ولم يسبق لى أن سمعته ، فقلت له : اف كل هـذه الكتـب لـم تحفظها ... ثم تقول إنك تريـد مجـادلتى ؟؟ !!

فنظر إلىّ مبتسماً ، فقلت لبعض الأطفـال " انقلوهـا فـى ذلك الركن ، سنرى نحن وأنـت، مـا فـائدة معرفـة الكتـب فقط ، كقراءة الببغاء ؛ فنقلـها الأولاد .

بعد أن هدأ النـــاس وســكتوا ، كنســت الأرض ، وكــأني سأضرب الرمل ، ورسمت علامـــة هكــذا) ونظــرت الــى المعلم زرقية وقلت : ما هـــذه ؟

قال : نــون .

قلت : ويحــك ، لا .

قــال : راء .

قلت : هكذا الراء فى بلدكـــم ؟

قــال: لام .

قلت : أى معلم جاهل علمك ذلـــك ؟

ظل يخمن حتى ذكر حــروف القــرآن التــى تشــبه هــذه العلامة كلها ، فقلت كذاب ، فقال إنه عجـــز عــن معرفتــها، فقلت للناس : قربوا ، انظروا ، ونظـــر النــاس وقلــت هــذه ليست راء ، وليست لام ، وليســت نــون ، إنــها هــلال أول الشهر ؛ فنظر الجهلاء إلى رسمى وقـــالوا : هــو كذلــك يــا معلم المعلمين، هذا هـــلال .

فنظرت إلى المعلم زرقية وقلــت لــلأولاد " التفــوا حولــه وارجموه بالحجارة ... فالتف الأولاد حولــه وأخــذوا يقولــون " ايهو ــ ايهو ... فخرج من المدينـــة هاربــاً ، ولــم يتذكــر شيئاً حتى كتبــه تركــها، وتبعــه الأولاد يرمونــه بالحجــارة حتى نجا منهم بصعوبة ، وهكذا تخلصت من هـــذا المعلــم .

الباب الثانى

الحاج مع المعلم زرقية فى السجن :

بعد أن قضيت اياماً قلائل ، وصلت إلى مدينة تسمى ياميل **Yamel** ، وعندما اقتربت من المدينة سمعت دقات طبول كثيرة ، وأصوات صفارات مختلفة ، وأفرحاً كثيرة، وأثناء سيرى رأيت ولداً يجرى متجهاً إلى مكان الاحتفال ، فناديته قائلا : أنت يا غلام ماذا حدث فى المدينة اليوم ؟

قال الولد : جاءوا اليوم بزوجة الأمير المفضلة .

قلت : من أين ؟

قال الولد : أبنه أمير قرية النعم ، لقد زوجوها الأمير.

عندما دخلت المدينة لم أجلس إلا عند باب القصر، الذى أقيم فيه الفرح ، ثم دخلت الفرح مدعياً أننى أعرف كل شيء ، وأظهرت السرور على وجهى وكأنها ليلة حنة أخى الأصغر ، وفى الحال اشتهرت لدى الهتيفة ، ولما سألونى عن اسمى قلت : الحاج إمام يحى الناس فى الفرح بشلنين ... ، شلنين ، أما أنا فأحيى بجنيه ... جنيه،

هذا السرور الــذى أظهرتــه جعــل الأمــير يرحــب بــى ، وتصادقت مع ابن الأمير حتى أصبح لا يفـــرق بيننــا ســوى الليل فقــط .

وأصبحت حيثما أذهب ألقى التحيــة مــن رجــال القصــر والأغنياء والعلماء وكل رجال المدينة ، وهكــذا صــرت فــى المدينة ، لذلك أخذ يقصدنــى كــل مــن أراد أن أتوســط لــه طلباً للســلطة.

وبمرور الأيام انتقلــت إلــى المدينــة ساســا **Sasa** ، ومــا كدت أدخل المدينة حتى وفقنى الله ، فــنزلت فــى بيــت أحــد الأثرياء الشوام ، وتصنعت عدم المبــالاة كــأننى رجــل مــن الأولياء ، فلما رأى الرجل ذلك بدأ يصــاحبنى ، وبعــد أيــام قليلة جعلنى خادماً له ، وسلم إلىّ كل أمــوره ، فغرقــت فــى الثروة ، لا أعمل أبيــض ولا أســود ، ســوى أكــل الطعــام وغسل اليديــن .

رويدا رويدا بدأت أدخل فى مشــكلة المكســب والخســارة، فأقيم الحفلات الموسيقية ، وأخذ الطبالون يقولــون لــى : يــا حاج لا تفسد حجتك ، وأنا أقول لــهم " لقــد جئــت وســأعود كما جئت " وابتدعت بدعة بالمدينـــة.

فحينما تسير تجد الناس قادمين للاحتفــالات التــى أقيمــها، لقد كنت أفعل فى المدينة مــا أشــاء ، حتــى ســمع الشــامى

ذلك ، فبدأ يعمـــل الحيـــل ليقبـــض علـــيّ ويســـجنني ، فـــإذا نصب لي فخاً من هنا تخلصت مـــن هنـــا .

وعندما رأى ذلك ، بعـــث ذات يـــوم مـــن يخـــبرني أنـــه مات، فجـــاءوا وقـــالوا لـــي ، وألحـــوا علـــيّ لأذهـــب لأرى بنفسي ، لأنه ليس له سواى ، فلا ابن ولا حفيـــد لـــه .

وكنت أعرف حال الشامى ومكره ، ولـــولا إلحـــاح النـــاس ما ذهبت إليه، قالوا لى إنه فى هذه الحجرة، لـــم يدفـــن حتـــى الآن ، حتى أحضـــر لأننـــى كابنـــه ، ونظـــرت مـــن نـــافذة الحجرة ، فرأيته نائما فاتحا فمـــــه ، منتظـــرا دخولـــى عليـــه الحجرة ليقبض علـــى .

عندما نظرت إليه جيدا شـــككت فـــى موتـــه ، فقلـــت " الله أكبر " ولكن لا أظن أنه مـــات" .

فقال الرسول الذى استدعانى " ســـبحان الله ... لمـــاذا ؟ "

قلـــت : لأننـــى ســـمعت أن الشـــوام لا يموتـــون وفمـــهم مفتوح، لابد أن يقفلوه ، وهـــــا هـــو الشـــامى يمـــوت وفمـــه مفتوح .

عندما سمع الشامى كلامى أغلق فمـــه لكـــى أصـــدق أنـــه مات ، وكأننى عبيط ؛ عجيبة : هل الميـــت يتحـــرك ويقفـــل فمه ؟ عندما رأيت ذلك خرجت هاربـــا.

أحسست أن الإقامة في هذه المدينة أصبحت غير مناسبة لي فخرجت منها وسرت في الغابة ، فرأيت قرويا يسير ومعه مائة جنيه إلا شلنا وخمسة قروش ، ولما سألته عن مصدر هذا المال ، قص علي كيف حصل عليه، وكيف أنفق شلنا وخمسة قروش ، وفي الطريق أراد أن يقف ويقضي حاجته ، فأعطاني المال لأحفظه له، أي أنه صار رفيق الرحلة.

وعندما انتهى ، قال لي هات المال لنفترق ، فقلت له دون حياء ولا خوف أعطيك ماذا ؟ !! هذا مالي ... واشتد الجدال حتى كبرت المشكلة فذهبنا إلى بيت القاضي ــ الذي أعرف من قبل ذلك أنه يحصل على رشوة ــ وعندما سألني فأجبته كأنني صادق تماما ، ثم سأل الفلاح ، ولكن الدهشة منعته من قول ما يستند إليه القاضي في حكمه .

فقال له القاضي : هل لديك شهود ؟

قال الفلاح : لا .. الله ورسوله .

ثم التفت إلى وسألني : وأنت هل لديك شهود،يا شاب ؟

قلت : نعم .. غفر الله لك يا معلم .. لدى كثيرون .

فقال : من ومن لديك ؟

قلت : المعلم طلحة وأخوه شاهدان ، المعلم سليمان وأخوه الأصغر ، المعلم هاشم وأخوه شاهدان ، وها هو أصغرهم المعلم مختار يشهد ، وبعض الناس حوالى مائة قادمون فى منتصف الليل كلهم سيشهدون .

عندما سمع القاضى ذلك فهم كلامى ، فالمعلم طلحة وأخوه معناهما شلنان ونصف والمعلم مختار معناه ثلاثة قروش ، ومائة رجل قادمون فى منتصف الليل معناه مائة شلن ، أى أنه فى منتصف الليل سأحضر له ، مائة وستة شلنات إلا ثلاثة قروش ، إذا حكم لى ـ هذا الزمن لا يصدق فيه إلا الأثرياء ـ وفى الحال حكم لى المرتشى ، فحبس الفلاح ثلاثة أشهر ، بحجة أنه سرقنى ، وفى الليل أحضرت له كل هذه النقود وعدت لما أنا فيه .

وذات يوم ذهبت خارج المدينة للنزهة ، فوجدت عقدا من المرجان ، ولم أعرف أنه عقد ابنة الأمير ، الذى سرق منها ، فأخذته إلى السوق لأبيعه ، وعندما رآنى الناس قبضوا على ، وقادونى إلى دار القاضى ، وقالوا إننى سرقته ، فحكم على بعشرين جلدة ، وحبست ثلاثة أشهر ، وفى السجن التقيت بالفلاح الذى سلبت نقوده ، وجعلت القاضى يحبسه أول أمس ، وعندما التقينا عن قرب قال لى : الله أكبر ما حدث لى حدث لك .

لقد جمعوا أقدامنا معا وربطوها ، ورأيت سجينا فنظرت إليه من أسفل إلى أعلى فوجدته يشبه المعلم زرقية بن محمد ، الذى جعلتهم يرجمونه فى مدينة سابورى مدينة الجهلاء ، فذكرته بحادثة هذا اليوم ، فقال: ويحك ... إننى كنت أشك فى معرفتك " ، وقص كل منا للآخر كيف افترق وما حدث له .

بعد ثلاثة أشهر أطلق سراحنا ، فاسترحنا يومين ، وتهيأنا للسفر معا إلى.مدينة رس **Ris**؛ فقد أصبح رفيقى ، وبينما نحن نسير فى الغابة قابلنا جملا شاردا ، فتتبعنا فاتحا فمه ، فجرينا إلى شجرة ، وتسلقناها ، فوقف الجمل تحت الشجرة ينتظر نزولنا ليهجم علينا ، ولم نستطع أن نفعل شيئا منذ الصباح حتى الظهر ، حتى شعرنا بالجوع، وقرب العصر رأيت بعض الفلاتا ذاهبين للعبة " الشارو" فلما رأيتهم من بعيد سببتهم ، ولعلك تعرف أن الفلاتا يغضبون بسرعة، فقصدونا جريا من بعيد ، ليعرفوا سبب ذلك ، فلما رفع الجمل عينه ورآهم جرى وراءهم ، ولم يعد إلينا ، ففر كل منهم واختفى فى الغابة.

نزلنا من فوق الشجرة ، وواصلنا السير حتى وصلنا مدينة " رس " ، وأخذ المعلم زرقية يتلفت حوله حتى تفرقنا ؛ فواصلت السير حتى لقيت مركبا فركبته ، وقصدت مدينة القاما **Alkama** لأبحث عما تركت بلدى

من أجله أى الماء الشـــافى ، ونزلنـــا فـــى جزيـــرة لنرتـــاح قليلا، فـــأخذت أتمشـــى حتـــى أبحـــرت المركبـــة وتركتنـــى وحدى ؛ بعد أن أبحرت المركب أخذت أبحـــث عـــن مركـــب آخر، حتى أصل إلى شاطئ البحر ، فرأيـــت رجـــلا جالســـا ، فلما اقتربت منه وجـــدت أنـــه المعلـــم زرقيـــة بـــن محمـــد ، فناديته قائلا : زرقية بن محمـــد.

فرد قائلا : الهمة يا ابن الشـــيخ .

فتصافحنا وقال : والله منذ أن جئت عرفتـــك وقـــص كـــل منا أخباره على الآخر منذ أن افترقنـــا .

بعد التقائنا واصلنا السير حتى وصلنـــا إلـــى مدينـــة مـــا، فذهبنا إلى قصر الأمير فأمر أن يهيأ لنا منزلا فنزلنـــا فيـــه .

وذات يوم انتظرت حتى يخـــرج الأمـــير مـــن المســـجد ، وأخذت أضرب المعلم زرقيـــة ، ولـــم يســـتطع أن يتخلـــص منى ، فقال الأمير : أنت .. ماذا حدث اليـــوم حتـــى تضـــرب أخاك ؟ خـــيرا .

فقلت : أين هو الخير طالما أنه يســـبك ؟ أنـــا لا أســـتطيع أن أترك أى إنسان ليسب أميرا مثلـــك ، فســـر الأمـــير مـــن كلامى ، وأمـــر أن يطـــرد المعلـــم زرقيـــة مـــن المدينـــة ، ويرجم بالحجارة ، وهكذا افترقنـــا .

ولما رأيت أن الأمير قد أمر بعقاب أخـــي هكــذا ، بــدأت أحس بالشفقة عليه ، ولكن رأيــت بعــد ذلــك كيــف يحصــد الإنسان ما يزرع ، إن خيرا فخيرا ، وإن شـــرا فشــرا.

الباب الثالث

استقرار الحاج فى طندجو وخبره مع الجثة :

بدأت أبحث عن الماء الشافى ، ولكن لم أجد واحدا سمع خبره ولو مرة واحدة ، فلما رأيت ذلك استأذنت من الأمير، فأعطانى هدية ، وعزمت على الرحيل إلى مدينة أخرى تسمى طندجو .

هناك وجدت فتاة، بنت أحد العلماء ، واسمها "جميلة " ولعلك عرفتنى الآن أتدخل فى كل أمر ، فبدأت أسعى لخطبتها ، وتبادلت معها هدايا الخطبة ، وحتى هذه اللحظة ، لم تكن الفتاة قد حددت من تريده زوجا لها ، فأنفقنا أموالا كثيرة بلا حدود ، وذات يوم ذهبت إلى أبيها وقلت له : يجب أن تختار هذه الفتاة من يصلح زوجا لها، ليرتاح كل إنسان .

عندما قال لها ذلك قالت له : بعد ثلاثة أيام ، اذهب يا أبى ، وقل لكل واحد ممن يريدون الزواج منى : إنه قد أصابنى مغص شديد ليلة أمس قضى على ، لنرى ما سيقوله كل واحد منهم .

قال الأب : لا بـــأس .

بعد ثلاثة أيام ، ذهب إلى بيـــت أحدهـــم وقـــال حالـــه يـــا فلان لقد توفيت جميلة أمس أصابـــها مغـــص شـــديد أســـلمها للموت .

فلما سمع الرجل ذلك قال : تستحقون ذلك لقـــد قيـــل لكـــم زوجوها ، فمنعكم حب المال حتى مـــاتت ، ولا يوجـــد مـــن يذكرها .

سمع أبوها ذلـــك فـــارتدى حـــذاءه ، وخـــرج مســـرعا ، يمسح دموعا كاذبة ، متصنعا البكـــاء، وقصـــد مـــنزل رجـــل آخر ، وقال له ذلك ، فلما سمع ذلك قـــال لـــه الآخـــر : هـــذا هو جزاء الطمع ، اذهبوا وادفنوهـــا .

خرج أبوها وقصد منزلي ، عندما ســـمعت هـــذا الكـــلام ، شككت فيه ، مع علمي أن قدرة الله تفعل أكـــثر مـــن ذلـــك ، وفي الحال انفجرت في البكـــاء الكـــاذب ، وعندمـــا وصلـــت إلى منزلها ، وجدتها ممـــددة علـــى الســـرير ، فاحتضنتـــها ، وأخذت أهلل بالصلاة ، فلما سمعت ذلـــك ، فتحـــت عينيـــها ، وطلبت من أبيها أن يعقد لي عليـــها ، فقـــد وجـــدت الـــزوج المنشود وفي الحال عقد لي عليـــها ، وحـــدد يـــوم الزفـــاف ، وأقيمت الأفراح وانتهى كل شـــيء .

ولما رأى الناس الذين انتصرت عليهم ذلك ، بدأوا يحقدون على حقدا شديدا ، فكانو كلما رأوني أخذوا في ذمي ، ونظرا لأنني كنت غريبا عن المدينة ، كان على أن أسكت ، إلا أن حقدهم اشتد ، فبدأوا يدبرون لي المكائد، ويرسمون الخطط لخطف زوجتي ، فصنعوا لي دواء للعمى ، وقد أسقط في يدى ، وعجزت عن كل شيء حتى العثور على الطعام ، وعندما رأيت الأمر بلغ هذا الحد ، اتجهت إلى حرفة صيد الأسماك ، لأنها حرفتي منذ الطفولة ؛اخترت لي خادما اسمه أرمي ، فكان يسحبني كل يوم بعد أن أصابني العمى ، ويذهب بي إلى شاطئ البحر ، وينزلني في القارب ، فألقي بالشبكة في الماء ، وأبدأ في الصيد ، ولعلك تعرف حال من أصابه العمى حديثا ، لا يسلم بالعمى بسهولة ، فكنت كلما ذهبت إلى الصيد مع هذا الغلام ، إذا وصلنا إلى الشاطئ يقول لي : يا حاج وصلنا .

ولكي لا يقال إنني أعمى ، أدعي أنني أرى قليلا ، مع العلم أنني لا أبصر شيئا ، فإذا قال الخادم : وصلنا ، أنهره قائلا : هل تظنني أعمى ؟ أنا كذلك أعلم أننا وصلنا لأنني أرى ، وإذا قال : ادخل أو انزل من المركب قلت: لقد عرفت قبلك ، وتهيأت للنزول .

وقد وهب الله هذا الولد الصبر على ، لذلك لم يغضب من هذا ، وبينما نحن معا على هذا الحال ، جاء شخص إلى وقال إنه يريد أن يخدمنى فقلت له : لا بأس - ومن العجيب أنه كان المعلم زرقية ولم أعرف فى حينه - وظلا يخدمانى معا ، وأنا لا أعرف صناعة أو حرفة غير صيد الأسماك ، كل شىء يقدمانه إلى لا أشكرهما عليه ، إذا قالا لى : تمهل أمامك حفرة ، أقول لهما : هل أنتما تبصران أكثر منى ؟

ولما تعبا من أحوالى قال زرقية لابد أن يعاقبنى ، وذات يوم طلبت منهما أن يصطحبانى إلى الصيد فى بحيرة اسمها بحيرة قارون ، وعندما وصلنا قالا لى وصلنا ؛فلما سمعت ذلك قلت لهما : " لقد عرفت أننا وصلنا ، أنتما دائما تظنان الناس عميان،إن ما أصابنى هو مرض فقط لا غير. فسكتا .

وعندما توغلنا فى البحيرة ، وانتهينا من الصيد ، اتجها بى نحو الشاطئ ، فلما وصلنا إلى وسط البحيرة ، قال المعلم زرقية : إنزل لقد وصلنا ، فقلت له : اليوم أنتما لا فائدة منكما ، تدعيان أن الناس عميان ، لقد عرفت أننا وصلنا ، ثم تدليت من المركب لأنزل على الأرض ، وبمجرد نزولى وجدت نفسى أغوص فى قاع البحيرة ، وبقدرة الله ، وصلت إلى منزل فى القاع، فوجدت

مخلوقات تشبه الإنسان ، لها رؤوس كبيرة ــ علمت بعد ذلك أنهم سكان البحر من الجن ــ فرحبوا بي .

بعد أن استرحت سألوني عن أخباري ، فأخبرتهم بكل شيء ، فلما سمعوا ذلك أشفقوا علي ، وأعطوني دواء شفى عيني ، وأمر الأمير أن يصعدوا بي إلى ظهر الأرض ودلوني على الطريق .

ودارت الأيام حتى وصلت مدينة يقال لها باكو **Bako** قريبة من البحر ، وفي هذه المدينة ، رأيت رجلا طويلا جدا ، لا يوجد من يدانيه في الطول ، ومعه ثور سمين يقول " من يأخذ ثوري ، وبعد سبعة أيام يأتي ليلمس رأسي ؟ " وأخذ يتجول كثيرا حتى تعب ، ولم يجد من يقول له شيئا ، فظل يتجول حتى وصل إلى منزلي ، وأنتم تعرفونني أتدخل في كل شيء ، ففكرت في أخذ الثور إلى البيت وذبحه حتى آكل وأشبع ، وليكن ما يكون، من كتب له أن يعيش حتى العام القادم سيعيش .

ثم سبقني وقال إنه إذا فشلت سيذبحني ويقدم دمي قربانا لصنمه ، اسم هذا الرجل زندورو بن زوتور .

ولما أخذت الثور سألته عن سبب طوله ، الذي فاق المثال ، فقص علي قصته ، وقال "إنهم يسمونه في بلدهم " الجبل " ؛لأن طوله سبعين ذراعا فقط ، وقال إنه من قبيلة أواجاين أونقا، أي القبيلة التي عاشت في أيام سيدنا

نوح ، عندما حدث الطوفان ، وأخبار أجداده لا تخفى على من يعرف قصة الطوفان.

عندما سمعت ذلك ، عدت إلى بيتى ، ولم أنم من كثرة التفكير، وبعد أن مضى خمسة أيام خطرت فكرة على بالى ، وفى اليوم السابع جاءنى مبكرا فى الصباح ، فنظرت إليه وقلت "ويحك يا طويل " . وتبعه الناس ليروا كيف سيلتهمنى ، وعندما جاء قال " أخرج حان الموعد " فقلت له : انتظر قليلا حتى أنتهى من إصلاح حائط هذه الحجرة ، الذى تشقق من المطر " .

فقال : عجبا .. كيف تصلح الحائط ؟ !!

قلت : هذا أمر سهل فى مدينتنا طل برأسك لترى " فأدخل رأسه ليرى ، فقمت مسرعا ، ولمست رأسه ، وقلت " آه لمستها " فرد الناس " نعم .. لمس .. نعم لمس " فعاد زندورو بيته غضبان ، وهكذا انتهت مشكلتى مع زندورو بن زوتور أكثر بنى آدم طولا.

مكثت سبعة أيام ، أسأل شيوخ المدينة وتجارها عن الماء الشافى، فلم أجد من يدلنى عليه ، فخرجت وقصدت الهند ، فلما دخلت رأيت المعلم زرقية فناديته قائلا : زرقية بن محمد.

فالتفت إلى قائلا " الهمة يا ابن الشيخ " فتبادلنا التحية ، وقصصنا على بعضنا أخبار ما حدث بعد أن افترقنا .

بعد أن مكثنا حوالى ثلاثة أيام ، قام أحد اللصوص بقتل خادم أمير المدينة ، وسحبه حتى شاطئ النهر ليرميه، وفى صباح اليوم نفسه قصد المعلم زرقية النهر ليستحم ، وبمجرد وصوله رأى القتيل ــ وما أدراك ما العبيط ــ لقد فرد البطانية ، ولف فيها الجثة ، وحملها إلى البيت ، الذى نسكن فيه .

استيقظ كل سكان المدينة من النوم ، فلما وصل إلى البيت وجدنى نائما ، فأخذ الجثة وحملها إلى حجرتى التى أنام فيها ، ووضعها فى ركن من أركانها ، كل هذا دون علمى .

بعد أن أذن للصلاة ، استيقظت وخرجت لأتوضأ ، وذهبت إلى المسجد لأصلى خلف الإمام لأنال ثواب الجماعة ، ولما انتهت الصلاة قرأت بعض الأوراد وعدت إلى البيت ، وصعدت إلى السرير لأرتاح قليلا قبل أن تظهر الشمس ، وبينما أنا على هذا الحال ، رأيت المعلم زرقية يخرج فجأة من حجرته ، فلما رأيته نزلت وبادلته التحية ، وجلسنا نتحدث فى شئون الحياة الدنيا .

بعد ذلك بقليل رأيته ينظـــر تجـاه الركــن ، حيــث ترقــد الجثة ، وقال : أف ، هذا القمـــاش الـذى تحفظـــه ألا تخــش عليه من الجــراد ؟ "

فقلت ، أى قمـــاش ؟ ليــس عنــدى قمــاش ، ثــم قمــت وذهبت الى الركن ونظرت فإذا بشىء ملفــوف ، لمــا رفعتــه وجدته ثقيلا ، ففتحته فإذا برجل ميــت ملفــوف ، عنــد ذلــك عرفت من فعل هــذا .

لما رآنى المعلم زرقية اقـــترب منـــى وقـــال " مـــا الــذى وجدته ، وتخفيه عنى ؟ ثم قام وأمسك الجثـــة ، وخـــرج بـــها إلى وسط البيت .. ثم تراجع إلى الخلف وأخــذ يـــهلل قـــائلا: عجيبة .. يـــا حـــاج بـــدأت تقتــل خــدم الأمــير ، وتسـلب أموالهم؟ أحسن شىء الآن .. أن أذهــب لأخــبر الأمــير بمـــا فعلت ، لا أقبل أن ألام على أمر لـــم أفعلـــه .

عندما سمعت ذلك قلت اليـــوم نفــدت حيلتـــى ، ونظــرت إلى المعلم زرقية وقلت له : أنت غبى مـــن الــذى لا يعــرف قدرة الله ، أمس أعلن الأمير أن كل مـــن يجــد هــذا الخـــادم يقتله ، ومن يفعل ذلك سيعطيه مائـــة جنيـــه .

ولما سمع المعلم زرقية ذلك قـــال : لمـــاذا يريــد الأمــير قتله ؟

قلت : حينما كان الأمير يتعسس بالليل ، عاد فوجده قد دخل بيته ، فلما علم الأمير بذلك ، أمر أن يقبض عليه، ويقتل ، فهرب الخادم واختفى ، أرأيت كيف جاء الله به إلى هنا؟ لأذهب به وأنال كثيرا من المال دون تعب".

فقال زرقية : أنا الذى قتلته ، وهذه الجثة سأحملها إلى الأمير .

قلت : لا أنت كذاب ، فقال : والله هذه جثته ، ولما رأيت أصراره على ذلك قلت له "احملها إليه ، إذا لم تكن ملكك حسبى الله " .

ظن المعلم زرقية أن الأمر حقيقة ، فلف حواية ، وقصد بيت الأمير فجمعت متاعى وتركت المدينة ، وهكذا افترقنا .

الباب الرابع

الحاج يدعى الجنون :

ذات يوم نزلت فى استراحة التجار فى الطريق ، فسمعت التجار يتحدثون ويقولون إنهم منذ أن خلقهم الله لم يروا أحدا بلغ ما بلغه المعلم زرقية من الغباء ، ولم يعرفوا العلاقة التى تربطنى به .

عندما سمعتهم يقولون ذلك ، قلت لهم : أين رأيتموه ؟ قالوا فى بلدة كذا ، وذكروا اسم المدينة التى خرجت منها؛ فسألتهم مرة أخرى قائلا : لماذا تقولون إنه غبى جدا ؟

فقال كبيرهم : يوم الجمعة الماضى ، ذهبنا لتحية الأمير ، وبينما نحن جالسون ، فإذا به يدخل بشىء فى بطانية ، وقدم جثة كبير خدامه وقال : ها هو من طلبت أن يقتل جئت لك بجثته .

فنظر الأمير إلى الجثة متعجبا وقال .. لماذا قتلته ؟

فقال المعلم زرقية : أنت أعلنت عصر أمس ، وقلت إنك تريد أن تقتله ، لأنه دخل بيتك عندما خرجت تتعسس فى الليل " فلما سمع الوزير كلامه قال : إنه مجنون .

فنظر المعلم زرقية إلى الوزير وقال : أنت المجنون ولست أنا ، فلما سمع الأمير ذلك قال:أين الخدم ؟ .. أضربوه حتى يموت ؛ فأخذوا يرفعونه إلى أعلى ويلقونه على الأرض ، فلما رأى الأمير أنه كاد يموت ، قال : احملوه وألقوه فى الشمس قبل أن يفيق ، وقرب العصر فاق ، فحملوه إلى مستشفى المجانين فقيدوه وصلبوه .

عندما سمعت ذلك أخذتنى الشفقة عليه ، لأنه رفيقى الذى نطوف الدنيا معا ، وسألت: ألم يقل إنه سيقتل ؟

فقالوا : لا .. لقد قال الأمير : إنه لابد مريض ، لذلك لن يقتلوه .

وبينما كنت أتجول فى السوق ، أسأل عن أخبار الماء الشافى ، رأيت فتاة ، فأعجبتنى فنويت أن أتزوجها ، وكان لها زوج لا تحبه مطلقا ، فناديتها ، واتفقنا فطلبت منى أن أزورها فى الليل ، وكانت هذه الليلة ممطرة ، وخلال هذا المطر حضر زوجها ، فأشعلت له النار ، وجلس يدفئ ظهره .

عندما وصلت تسللت إلى الحجرة وأخذت أطل عليه ، فرأيته يحك ظهره .. وكان المعلم زرقية أيضا بالمدينة ، جاء إليها بعد أن أفرجوا عنه ، وتصادف أنه كان يمر فى هذه الليلة ، فلما رآنى أطل برأسى ، تسلل إلى الحجرة ودفعنى من الخلف إلى داخل الحجرة .

عندما رآنى الزوج قال : ماذا جاء بك إلـــى هنـــا ؟ فقلــت له : والله لقد دفعونـــى . وكنــت علـــى وشـــك أن أجــرى ، ولكنه أمسكنى وأدخلنى فـــى اصطبـل الخيـول ، وحبســنى معها، وفى الصبــاح قـادونى إلـى دار القـاضى ، فـأخذت أفكر فى الأمر ، وأخيرا قررت أن أدعـــى الجنــون .

سأل الأمير عن سبب القبـــض علـــي فقـص عليـه كـل شىء ، فنظر إلى وقال : ما اسمك يــا شـــاب ؟

قلت : شــرقى .

قال : فى أى يوم نحـــن ؟

قلت : الجمعــة .

فسألنى مرة أخرى : فى أى شـــهر نحـــن ؟

قلت : شــوال .

فسمعت رجال الحاشية يقولـــون : تذكـــر .

فسألنى الأمير مرة أخرى : هـــل تعـــرف الله ؟

قلت : ويحك ، من الـــذى لا يعـــرف الله ؟

قال : أين هـــو ؟

فقلت فى نفسى يجب أن أتمهل كيلا يقولـــون إننـــى كنـــت أدعى الجنون لذلك قمت مبديا حذرى وأشـــرت إلـــى الســماء،

أقصد أن الله وحده فى السماء ، وليس له شريك ، وأبقيت رأسى مرفوعة إلى السماء مدة طويلة فانفجر الناس فى الضحك ، وقالوا لابد أننى مجنون ، ولكننى قاربت على الشفاء .

فقال الأمير : لا شك أنه ليس مجنونا ، ولكنه عبيط " ثم أخرجنى .

ولم يأت يوم الجمعة التالى حتى جعلونى رئيسا للمجانين ، وأصبحت أشغل مركز "الرئيس المجنون " وقد نلت الحظوة ، حتى إنه أصبح لا يبت فى أمر أو أى مشكلة بالمدينة حتى يرجع إلى فيها .

ونحن على هذا الحال جمعنا الابن الأكبر للأمير، أى كبير رجال القصر ، وقال أنه يدعونا ، لننزح لعائلته المرحاض ، لأنه لا يسمح لأحد بدخول بيته إلا نحن المقربين إلى أبيه فذهبنا جميعا إلى البيت وبدأنا العمل ؛ فكان لعاب كل واحد منهم يسيل من الرائحة الكريهة ، أما أنا فقد كنت أغنى ، وأثناء ذلك كان لعابى يسيل دون أن يراه أحد .

وعندما رأى ابن الأمير لعاب رجال القصر يسيل هكذا، غضب وقال لهم : إذا كانت رائحة الفضلات كريهة جدا اتركوا العمل ، لماذا تشتغلون ولعابكم يسيل

هكذا ؟ لو كــان الأمــير قــد أحضــر لكــم طعامــا ، كنتــم هجمتهم عليه بيد فى الفم ويد فــى الإنــاء .

لما غضب ابن الأمير ذهب وأخبر أبــاه مــا فعلــه رجــال القصر ، وقال : إننى فقط الذى لا يسيل لعابــه ، وبــدلا مــن ذلك كنت أغنــى .

سمع الأمير ذلك فغضـــب ، وأمــر باســتدعائهم جميعــا. وأخذ يســب أمامــهم واحــدا واحــدا، ونجــوت مــن ذلــك بصعوبة، وهذا ما جعلنى أكبر فى نظر الأمــير وأبنائــه.

لما رأيت أننى انتصرت على أهــل المدينــة ، قلــت فــى نفسى إن المثل يقول " الجلوس بعد الأكــل مؤامــرة "، لذلــك قمت فى هذا اليــوم وقصــدت قصــر الأمــير ، وقلــت لــه " أريد أن أسافر لأيام قلائــل ، ولكنــى ســأعود بعــد ثلاثــة أيام"، وتركت له كــل ثروتــى ليحفظــها لديــه أمانــة حتــى أعود، ثم واصلت الرحلة طلبا للماء الشــافى ، أى طلبــا لمــا جعلنى أغادر بــلادى.

الباب الخامس

التقاؤهما والمعلم زرقية يطرد الذباب عن فضلات الحاج:

واصلت الرحلة حتى وصلـــت إلـــى مدينـــة كبـيرة جـدا تسمى تيجى ، فرحـــب بـــى أمـــير المدينـــة ، واصطحبنـــى الناس إلى منزل فنزلت فيه ، وذات يـــوم كنـــت أجلـــس مـــع رجال القصر ، فسمعت الأمير يقول : لقـــد ضـــايقنى رئيـــس ساسة الخيل أمس ، وحـــرم علـــى النـــوم ؛ فقـــال الوزيـــر : لماذا أطال الله عمـــرك ؟

فأجابه الأمير قـــائلا : أنـــت تعـــرف أن زوجتـــه توفيـــت الشهر الماضى ، ومـــن يـــوم وفاتـــها حتـــى اليـــوم لا ينـــام مطلقا، فإذا انتصف الليل قام وأخـــذ ينشـــد بعـــض الأشـــعار كالمجنون ويقول : ليـــت المـــوت أخذنـــى وتـــرك زوجتـــى لأرتـــاح .

عندما سمعت ذلك قلت للأمير : أطـــال الله حيـــاتك ، هـــل تريد أن أعالجه ؟ قال الأمير : نعـــم أطـــال الله حيـــاتك لقـــد حاولت ذلك كثـــيرا .

فلما أقبل الليل وانصرف كل رجال الحاشية ، تسللت وتوجهت إلى دار رئيس الساسة ودخلت حجرته واختفيت تحت السرير وبعد قليل دخل بيته ، ثم توجه إلى حجرة النوم، وهو ينشد الشعر ، ويتنهد كلما تذكر زوجته حتى استولت ذكراها على روحه تماما ، وعندما سمعته قادما ، جلست ساكنا بلا حركة فدخل وصعد السرير ونام ، ولكنه لم يستطع النوم من شدة الشوق إليها ، وعند منتصف الليل سمعته يردد الأشعار التى قصها على الأمير نهارا.

سمعته يقول : ليت الموت أخذه وترك زوجته ، فظهرت فجأة له ورددت عليه بصوت مختنق قائلا : من أجل أمنيتك هذه بعثت لأقبض روحك لتلحق بها ، ثم جريت وراءه .

فلما سمع ذلك ـ وما أدراك بالجاهل ـ أخذ يجرى خارج الحجرة ظنا أن الموت بعث إليه ليقبض روحه ، ولم ير النوم فى هذا اليوم ، ولما طلع الصباح ذهب إلى الأمير وقص عليه كل ما حدث ، قائلا : لقد طاردنى الموت أمس من حجرتى ، ولم أنم مطلقا فيها ، ولولا أننى جريت خارجها لقبضت روحى .

عندما سمع الأمير ذلك انفجر فى الضحك ، ومنذ ذلك اليوم لم يذكر رئيس الساسة هذه المرأة مرة أخرى ، ولا أظهر الشوق إليها .

لأنني سببت لــه هــذا الخجــل بــدأ يكرهنـــى ، ويتصيــد أخطائى لدى الأمير فلم تعد بيننا علاقة طيبـــة ، بذلــك فقــدت الحظوة فى المدينـــة ، ورأيــت أن الأمــير بــدأ يحتقرنـــى ، فتظاهرت أننى سأترك المدينـــة احترامــا لنفســى ، ولكننـــى تذكرت أنهم يقولون إن الإنسان يجــب أن يثــأر لمــا يحــدث له من إساءة ، لذلك قلت فى نفسى : لـــن أرحــل حتـــى أرى نهاية رئيس الساســة .

ذات يوم دخل أحد اللصوص منزل الرجـــل الــذى أنــزل فى بيته ليسرقه ، فوجده مستيقظا، وكــان رب البيــت موفقــا، فأوقع اللص على الأرض حتى أنشقت رأســـه ، فســقط ميتــا ولم يتحــرك .

ضايق هذا رب البيت فجـــاء وأيقظنـــى وقـــال لـــى : مــا العمل يا حاج ؟ لقد قتلت رجلا ، فسكت قليـــلا ثـــم قلـــت : لا يهمك إذا استطعت الســـكوت .

لـــم أنتظر وطلبت منه أن يحمـــل هــذه الجثــة وذهبنــا بها خارج المدينة ، ألقيناها هناك وأخذنـــا يــد فــأس وبلطــة وتوجهنا إلى بيــت رئيــس الساســة ، فوجدنــاه ممــددا فـــى الفراش يغط فى نوم عميق ، فبحثت عـــن وجنتــه وضربتــه بالعصا الغليظة عليها ، وخرجنـــا مســرعين ثـــم عدنـــا إلـــى البيت ونمنا ، وصاحب البيت ينتظر مـــا ســأفعل .

استيقظت من منتصف الليل ، وخرجت أتجول في المدينة ، وأعظ الناس حتى الصباح وقد أحس كل واحد في المدينة أنني قضيت الليلة أحدث الناس .

وفي الصباح الباكر خرج النسوة إلى النهر فرأين الجثة على باب المدينة ولم يعرفن من القاتل ، فذهبن وأخبرن الأمير ، فقال أحد أفراد الحاشية أمس أحسست أن هذا الضيف الذي ينزل في دار المعلم محمود شقيق يونس الكبير لم ينم ، وقضى الليل يعظ الناس ، لعل الله أسمعه أية حركة في الليل ، حينما كان يتجول في المدينة.

وفي الحال أمر الأمير باستدعائي فحضرت ، وسألوني فقلت : نعم سمعت شخصاً من أفراد الحاشية ، وشخصاً آخر خارج المدينة ، سمعت أحدهما يقول للآخر " طالما أنك لطمتني ، لابد أن أقتلك " ، هذا كل ما سمعته أطال الله عمرك .

عندما سمع الأمير ذلك بعث يطلب رئيس الساسة ليذهب ويعلن في السوق ، كل من يرى رجلاً تورمت إحدى وجنتيه يأتي ويدل الأمير عليه ، وفي الحال ذهب رجال الشرطة إلى رئيس الساسة وجاءوا به ، وهو لا يعرف شيئاً مما حدث ، وكلما هم بالكلام أسكته الأمير، وأمر بحبسه سنة لعدم وجود الشهود .

ولما أحسست أننى أفسدت فى هذه المدينة كثيرا ، خرجت قاصدا قرية أخرى لأنزل فيها ، وواصلت البحث عن الماء الشافى فلم أجد إليه سبيلا، وبينما كنت أسير فى الغابة رأيت قرويا يتشاجر مع رجل آخر ، فضربه بعصا غليظة فأوقعه ميتا فلما رأيت أنه سيهرب قلت : قف ؛ إلى أين ستذهب ؟ لابد من الذهاب بك إلى العمدة .

فلما علم أننى سأذيع سره ركع وأخذ يطلب منى المغفرة ، وأن أتستر عليه ، وأخفى سره ، ولما أحسست أنه خاف قلت له : كم ستعطينى لأكتم سرك ؟ قال : سأعطيك عشر بقرات .

فنظرت إليه وأظهرت عدم الرضى وقلت : روحى أبيعها لك بعشر بقرات ؟ لا أوافق .

رويدا رويدا ، وافق أن يعطينى عشرين بقرة ، فرضيت بذلك ، وذهبنا إلى حظيرة والده ، وفصل عشرين بقرة وأعطاها لى ، فسقتها إلى المدينة ، وادعيت أننى اشتريتها ولففت الجثة ، وذهبت بها إلى المدينة ، وحفظتها فى البيت .

وبعد منتصف الليل ، خرجت قاصدا منزل المعلم زرقية ، الذى لم يعلم بنزولى إلى المدينة ، ولكننى عرفت أنه بها ، وسألت عن صناعته التى يزاولها ، فقيل إنها السرقة فقلت : الحمد لله .

وبينما أنا أتجسس عليه ، سـمعته يقـول لزوجتـه : أنـا خارج أبحث عن عمـل .

فقالت له : الله يوفقـك .

وبمجرد أن خرج من منزله عدت إلـى بيتـى ، وحملـت الجثة بعد أن لففتها ، وكأنها سـلعة بـالضبط ، وذهبـت بـها إلى بيت هذا اللـص ؛ فلمـا وصلـت قلـت لزوجـة المعلـم زرقية : تعالى خـذى، لقـد جئـت وسـأعود بسـرعة ، لأن بعض التجار ينزلون فى الإسـتراحة .

قامت وجسمها يرتعـد ، وأخـذت مـا معـى ، وقـالت : اذهب بسرعة ، واجمـع كـل مـا معـهم وإذا كـان هنـاك حصيرة أو ملابس لف كل شـىء فيـهما .

وخرجت وبحثت عـن مكـان لأختبـئ فيـه ، لأضحـك عليها ، وعندما اقترب الصباح عاد رب البيـت . تـف تـف تف ، ولما دخل الحجرة قال لزوجتـه : اليـوم حفظنـى الله ، لقد أطلق بعض الشوام على النار من البندقيـة ، فلـم أسـرق شيئا .

فلما سمعت الزوجة ذلـك قـالت : مـا أحضرتـه اليـوم يكفى ، ونظر إلى اللفة الضخمة وقـال : نعـم .. لابـد أنـه يكفى .. هاتى لنرى ما فيـها .

لعلك تعرف ما يحـــدث عـــادة بيـــن الـــزوج وزوجتـــه ، جلس وأخذ يقص عليها الأكـــاذيب ، ويمـــدح نفســه قـــائلا : لقد خطفتها من بين عشرة رجال كبار ، فلمـــا ســـمعت ذلـــك قلت فى نفسى: إنه يشعر بـــالغرور .

وفضا اللفة فإذا بهما يجـــدان جثـــة رجـــل ميـــت ، ولمـــا أمعنا النظر وجدا أنها جثة طفل اسمه "طنجيـــوا " ابـــن أحـــد المحاربين فى الحى الذى يســـكنان فيـــه اســـمه " جيـــوا " ؛ فقال المعلم زرقية : والله ... أقســـم بـــأبى لـــم أحضـــر لـــك هذا.

فقالت : من ؟ إن لم يكن أنت ، لقـــد قلـــت إنـــك خطفتـــها من بين عشرة رجال وفى الحـــال نشـــبت معركـــة بينـــهما ، وتبادلا الضرب بالأيـــادى ، المعلـــم زرقيـــة يقـــول لزوجتـــه إنها كذابة، وهى تقول له إنه كـــذاب ، ولمـــا طلـــع النـــهار ، علم الأمير بالقصة ، فأمر فى الحـــال باســـتدعائهما .

وفى الليـــل علمـــت أن المعلـــم زرقيـــة ، هـــرب وكأنـــه استخدم طاقية الإخفاء ، ولكنـــى مكثـــت فـــى المدينـــة مـــدة طويلة بعد ذلـــك .

وذات يوم تركت المدينة ، وقصـــدت مدينـــة منتـــا حيـــث المعلم زرقية ، وصادف هذا اليوم ، يـــوم ســـوق المدينـــة ، لذلك توجهت إلى السوق بمجـــرد وصولـــى ، وذهبـــت إلـــى

حيث يبيع النساء الثريد ، فوطئت إحدى النساء كم ردائى وقبل أن أتكلم سبتنى المرأة قائلة " عامل .. ذليل " .

ولما نظرت إليها ، رأيت أنها لم تبلغ سن أختى الصغيرة ، فقلت لها : لن أرد إلا على زوجك، فنظرت إلى بغضب وقالت : كذاب ، المعلم زرقية أقوى منك ، لا تستطيع أن تساوى رأسك برأسه .

لما سمعت ذلك علمت أن المعلم زرقية فى هذه المدينة، ومن كلام هذه المرأة عرفت أنها زوجته ، لذلك قلت لها : إن لم يكن ذلك كذبا .. فليلقنى زوجك فى الغابة ظهر غد .

قالت : وهو كذلك ، سأقول له ، المعلم الذى يبيع المعارك أين تظن أنك تلقاه .. فى البيت ؟ !! .

وجاء الظهر فجاءت هذه المرأة المشاكسة إلى بيتى تسب وتلعن قائلة : هيا .. قم .. نذهب إلى الغابة .

فقلت : هيا نذهب ، اسبقينى .

وقد أخذت تحرض زوجها بشتى الأساليب والأكاذيب ، حتى قام وأخذ عصا غليظة ، وقصد الغابة معها ، وظلا ينتظران حضورى ، وليكن ما يكون ، وعندما رأيتهما يمران ، أخذت مادة صباغة ، وصبغت بها وجهى ، وأخذت يد فأس ، وحملتها على كتفى ، وبدلا من السير

فى الطريق العام ، الذى يتوقعن أن أسلكه ، خرجت لهما من خلف الغابة ألعنهم ، وأسبهم أثناء سيرى .

عندما رأيانى قالت الزوجة : ها هو المجنون ، قادم هناك ، فسمعت الزوج يقول : أين هو ؟ ، فالتفت ، وهو يغمض عينيه .

فلما أحسست أنه خاف ، قربت منه وأنا أسب وألعن ، ووطئت قدم زوجته ، فنظرت إليه ، فلفت رأسه ، فنظرت إلى فلطمتها ثلاث لطمات على وجهها ، فلم يقل زوجها شيئا ، ثم قلت لهما اخلعا ملابسكما ، لأرى ما معكما ، فخلعوها وجسمهما يرتجف خوفا .

ونحن على هذا الحال ، غلبنى الضحك ، وهممت بالعودة وتركهما ، ولكنى فكرت فى أمر مضحك ، طلبت من المعلم زرقية أن يفعله لى ، فالتفت وتوجهت إلى حافة الطريق وقضيت حاجتى ، وناديت المعلم زرقية وزوجته وقلت : خذى إناء وطبلى لزوجك ، وأنت اجلس هنا ، واطرد الذباب عن فضلاتى ، إذا تركت الذباب يأكل الفضلات سأقتلك .

فقال : نعم ، أطال الله عمرك ، سأفعل .

وقام وجسمه يرتجف ، وأخذ يطرد الذباب عن فضلاتى ، وأخذت زوجته إناء وظلت تطبل على رأسه ،

وتغنى ، ولمـــا رأيـت أنــه أطـــاع أمــرى ، وأن الضحــك سيغلبنى اخترقت الغابة، وذهبت لشأنى ، ولــم أعــرف كيـف انتهى بهما الأمــر .

عدت إلى البيت ، وأخــذت أضحــك حتــى آلــم الضحــك بطنى ، ثم جمعت متاعى ظهر ذلــك اليــوم خشــية أن ألقــاه فى المدينة ، وواصلت رحلتى أبحث عن المــــاء الشــافى.

الباب السادس

اللصوص يضايقون الحاج :

واصلت الرحلة حتى وصلت مدينة اسمها ميسكا فنزلت في منزل أحد العلماء يسمى دولا ، كان الناس يفخرون به لكثرة عبادته ، قائلين إنه يصلى الليالى الطوال ، رحب بى هذا العالم ، وتصادقت مع خادم له يسمى " كاطو " لا يفرق بيننا إلا الليل فقط ، وذات يوم قضيت الليل مع كاطو فى الحديث والسمر ، ثم ذهبت بعد ذلك إلى حجرتى لأنام ، فلم أكد أتهيأ للنوم ، حتى سمعت وقع أقدام تف تف قرب الباب فانتحيت ناحية من الحجرة ، فرأيت رجلا ضخما يدخل الحجرة ، فقمت من النوم ، وجلست معتقدا أنه سيهرب إذا رآنى استيقظت ، ولكنى رأيت أنه لم يهرب ، فقلت فى نفسى ، وجدت من يشبهنى .

عندما اقترب منى قمت ، وقلت : مرحبا ، مرحبا خذ هذه الحصيرة واجلس ، هل سترفض أن تقول لى ما حدث منذ التقينا فى السوق ؟ وأخذت أحدثه كثيرا كأننى أعرفه .

فلما سمع ذلك ، جلس وأخذ يفكـر ، أيـن قـابلنى وتلفـت حوله وقال : أيـن عرفتنـى ؟ قلـت : أعرفـك منـذ زمـن طويل ، إلى جـانب ذلـك أعـرف كـل أقـاربك ، وكلـهم يعرفوننـى ، والتقيـت كثـيرا جـدا مـع أخوتـك ،وكـانوا يسألوننى عن أخبارك فقلت لهم لا أعـرف ، حتـى شـاء الله أن نلتقى اليـوم .

فنظر إلى مرة أخرى من أسـفل إلـى أعلـى وقـال : إذا كنت تعرفنى فمـا اسـمي ؟ فرفعـت رأسـى إلـى أعلـى ، وصرخـت صرخـة شـديدة ، وقلـت : أسـمك حرامـى ، حرامى ، حرامـى .

عندمـا سـمع صراخـى ، هـرب ، فتجمـع النـاس ، وطاردوه، ولكنه نجا ، كل هذا وأنا نائم فـوق فراشـى ، لـم أتحرك ، وعندما طلع الصباح أخذ كـل النـاس فـى المدينـة يتندرون بما فعلـت.

أحسسـت أن اللصـوص بـدأوا يضـايقوننى ، فـتركت الحى، وذهبت إلى بيت رئيس المتسـولين بالذئـاب ، ونزلـت عنده ، وكان لنزولى على هـذا الرجـل سـبب قـوى ، لمـا سمعته يأمر بإعطائى حجرة لأضع فيها متـاعى ، قلـت لـه: لا .. لا .. إننى أفضل أن أظل هنـا ، أنـام معـك ، طالمـا أن ذئابك مكممـة .

فقال : أنا أنام هنـــا معـــها ، لمـــاذا تريــد أن تنـــام مـــع الذئـــب؟ !!

فقلت : منذ أن كنت فى بلدنا ، وأنا أشـــتاق للنـــوم معـــها ، وحتى فى بيت رئيـــس المتســـولين ، الـــذى كنـــت أخدمـــه ، وهذا هو سبب نزولى عليك ؛ فقال : الحمــــد لله لقــد وجــدت البيت الذى تريـــده .

رأى اللصـــوص الذيـــن يطـــاردوننى ، أننــــى غــــــيرت مسكنى، فلما وصلوا إلــــى مســكنى الجديــد،وجــدوا ذئـــاب المتسول نائمة ، ولم يروها ، فقال أحدهمـــــا للآخـــر ، ادخـــل أنت ، وأعطنى ما تجد من متاع وســـأقوم بربطـــه .

ولما دخل اللص الحجرة أيقظت حركتــــه الذئـــاب النائمـــة، فهبت قائمة مذعورة ، وانضمــــت لبعضـــها ، وأخـــذت تـــهز آذانها ، وسدت على اللص مكان الدخـــول ، وبـــدأت تعـــوى ، لأنها رأت رجلا أجنبيا فى الحجـــــرة .

عندما أحس اللص بذلك ، أخذ يصيــــح وينـــادينى قـــائلا : أنت ، أنت ، قم ، أمسك حرامـــــى ، فلمـــا اســـتيقظت ورأيتـــه وعرفت ما حدث ، قلت : لا ، لن أمســـك أحـــدا ، لأنـــه لـــم يسرق منى شيئا ، اذهب لحــــالك .

ونحن علــــى هـــذا الحـــال ، اســـتيقظ صـــاحب البيـــت ، فسألنى ماذا حدث ؟ فقلت له كل شيء ، ثـــم قمـــت ضربـــت

اللص ضربة بعصا غليظة ، فأخذ يئن أنينا شديدا فأمسكته وقيدته وسجنته ، وطحنت شطة ، ومسحت عينيه بمسحوقها ، فأخذ يبكى ويصرخ حتى الصباح.

وعندما طلع النهار ، نظرت إليه من أعلى إلى أسفل ، ففوجئت أنه المعلم زرقية بن محمد ؛ فالتفت إلى وعيناه محمرتان من الشطة ، وقال : الهمة يا ابن الشيخ ، وقضينا اليوم معا ، ونحن نضحك كلما تذكرنا ذلك الحادث، وقصصت عليه قصة المرأة ، التى جعلتنا نتشاجر فى السوق ، وسألته عنها ، فأخبرنى أنه طلقها منذ زمن طويل ، وقال إنه لم يكف عن طرد الذباب عن فضلاتى إلا المغرب ، عندما مر عليه بعض التجار ، فسار فى حمايتهم ، وكان كلما هم بالقيام ، ظن أننى هناك أراقبه ، لذلك لم يقم من مكانه حتى مر به التجار.

وقال إنه لم ير فى حياته امرأة تجلب المصائب لزوجها كامرأته هذه ، فقد سببت له ذات يوم مشاجرة كبيرة مع رجل ضخم ، إذ لطمها على وجهها ، فجرت وقالت له ، وفى الحال قام وتوجه إلى مكان هذا الرجل الضخم ، فلما وصل نظر إليه ، فأحس أنه لا يوجد من يدانيه ضخامة

فقال له : أنت لطمت زوجتى ؟ !فرد الرجل بغضب : نعم ، أنا ، لعلك جئت لتثأر لها ، فلما سمع ذلك قال

للرجل ، الطمها مرة ثانية لأرى كيف حـــدث ذلـك ، فنظــر إليها الرجل ولطمها لطمة شـــديدة .

فلما رأى عينيها تدمعان ، وتورمتـا مـن شـدة اللطمـة ، قال مرة أخرى للرجل " نعـم حقيقـة أنـت الـذى لطمتـها ، اضربها مرة أخرى لأرى ، فنظر الرجـل للمـرأة ، ولطمـها مرة أخرى حتى سقطت على الأرض ، وفمها يـنزف دمـا.

فلما رأى المعلم زرقيـة ذلـك قـال لامرأتـه : قومـى ، لننصرف ، الله ينتقم لنـا منـه ، وبينمـا همـا عـائدان فـى طريقهما ، ظلت المرأة تبكى فقال لها : كفـى عـن البكـاء ، عندما كنت ترينني ، وكأنني لا أفعل شيئا ، كنـت ألـوح لـه بيدى وهى داخل كم ردائـى .

أخذت المرأة تطوف فى المدينة ، تقـص علـى كـل مـن يقابلها قصة زوجها ، وحتـى الآن إذا زرت المدينـة ، تجـد الأطفال يقصون قصته ، لذلك طلقها ، وقال إنـه فعـل خـيرا بانفصاله عنها، لأنـه كـاد أن يقتـل بسـبب الجرائـم التـى ترتكبـها .

كما قص لى قصة مضحكة ، فقد دخـل أحـد اللصـوص ذات يوم منزله ليلا ، كان يظنـه نائمـا ، وبمجـرد دخولـه قصد السرير الذى ينام عليه ، ليسـرق القميـص الـذى ينـام فيه ، وظل يحاول السرقة حتى طلوع القمـر ، فكلمـا وضـع اللص يده على جسم المعلـم زرقيـة ، فتـح عينيـه ، فلمـا

أحس اللص أنه استيقظ قال لـــه : جئـت لأدعـوك ، لنعمـل غدا فى مزرعة رئيس المزارعيـــن ، فمنعـه الضحـك مـن اتباع اللص ، لقد عانينا كثيرا فــى الحيــاة .

لعلك تعرف أن ما يؤخذ ظلما لا بركة فيــه ، فقـد نفـدت أموالنا تماما ، فتركنا هذه المدينـــة ، واتبعنــا الطريــق حتــى وصلنا إلى مدينـــة نصــراوا ، حيــث افــترقت عــن المعلــم زرقية ، حين قال إنـــه ســيواصل الرحلـــة حتـــى يشـــاء الله ويجمعنا أحياء ؛ فقصـــدت قصـــر الأمـــير ونزلـــت عنـــده ، واتخذت لـــى مسـجدا ، أجلـس فيــه لا أعمـل شـيئا ، إلا التظاهر بذكر الله على حبات المســبحة ، فــأخذ كــل ســكان المدينة يقدمون إلـــى الطعــام والصدقــات أنواعــا مختلفــة ، ولكنى رفضت أن ألمس شيئا منها ، بينمـــا احتفظـت بجـوال كبير فيه كمية من الطعام والخبز ، كنـــت آكــل منــه ، ممــا ساعدنى على الإمتناع عما يقدمونه إلى مــن طعــام ، لأننــى كنت أريد أن يعتقدوا أننى من أوليـــاء الله فيعظموننـــى .

وبعد أيام قلائل ، بدأ كل إنسان فى المدينـــة يعتقــد ذلــك، وجاء كل منهم بطعامه ، يطلب منى أن أنال منـــه ولــو لقمـــة واحدة ، لينال البركة من يـــدى .

وهكذا عشـــت فـــى هـــذه المدينــة ، معــززا مكرمــا ،إذا أرادوا أن يقيموا شـــعيرة مــن شـــعائر الديــن - كـــالصلاة مثلا- طلبوا منى أن أكون إمامـــا لـــهم ، ولعلـــك تعرفنـــى ،

مهما بلغ الجهلاء من الجهل ، فأنـــا أجـهل منـهم جميعـا ، كانوا يحاولون كثيرا ، ولكنى كنت أرفض فـــى كـل مـرة ، حتى العالم ، كان يظننى عالما ، ويخشـــى أن أصلـــى خلفـه، فيخطئ مع وجود صاحب الكرمـــات ــ يقصدنـــى.

ومرت الأيام ، وذات يـوم ، توفيـت ابنـة أمـير إحـدى القرى الصغيرة ، فطلبوا منـــا أن نسـتعد ، لنذهـب لنشـيع الجنازة ، فقلت : نعم ، أين طريق المدينــة ؟ فدلونـــى عليـه وقالوا : عند الظـــهر سـتجهز ، لذلـك يجـب أن يعـد لـى حصانا لنذهب بسرعة لأن المدينة بعيدة قليـلا ، فطلبـت مـن الأمير والعلماء الذين معه أن يذهبـــوا ، أمـا أنـا فسـأصلى الظهر هنا فى البيت ، ثم ألتقى بـــهم هنـاك ، فـأمر الأمـير أن يتركوا لى حصانا جيـدا ، فقلـت : لـن أركـب شـيئا ، فقالت الجماعة : صاحب كرامـــة .

ولما اقترب الظهر ، خرجوا جميعـا ، فتسـللت وخرجـت من المدينة ، واتبعت الطريــق ، واخـترقت المدينـة ، وأنـا أجرى جريا سريعا ، حتى تصبب وجـــهى عرقـا ، وكـادت روحى أن تزهق ، حتى رأيتهم بالقرب مـــن المدينـة.

وبينما كنت أسير فى الغابـــة ، سـمعتهم يقولـون : حتـى الآن لم يخرج من المدينة ، فرد الوزيـــر : هـؤلاء يطـيرون كـالطيور.

ثم تجاوزتهم وأخذت أجرى بسرعة ، حتى وجدت بحيرة ، فخلعت ملابسى واغتسلت، حتى ردت روحى ، و لما وصلت إلى المدينة ، سألت عن المنزل ، فدلونى عليه فدخلت المسجد، وجلست على بابه ، وأخذت أسبح بالمسبحة ، وبعد برهة وصلوا ، فلما أحسست بوصولهم ، خرجت من المسجد ، والمسبحة فى يدى وقلت : الحمد لله على سلامتك ، فلم يستطع الوزير أو رجاله الرد من فرط الدهشة ، وركع كل واحد منهم أمامى ، وسجدوا لى ؛ فقلت " قم سبحان الله ، لا يسجد إلا لله فقط" .

ولما انتهينا مما نحن فيه ، مضوا أمامى ، وأنا خلفهم؛ فلففت من داخل الغابة ، وأسرعت إلى البيت ، وهكذا كانت المدة التى قضيتها فى مدينة " نصراوى " .

الفصل السابع

الحاج وزرقية يتوبان ، الحاج يقتل أخاه :

عندما هدأت أعصاب الأمـــير ، ســألته أن يجمـــع شـــيوخ المدينة كلـــهم ، رجـــالا ونســـاء لأســـألهم ، لعـــل الله جعـــل أحدهم يسمع مرة أخبار المـــاء الشـــافى ، فقـــال الأمـــير : لا بأس ، وفى الحال جمعـــهم ، وســـألتهم ، فســـكتوا أولا ، ثـــم قال رجل عجوز صغير الجسم ، جـــاءوا بـــه محمـــولا فـــى سلة ، لقد سمعت مرة عنه ، عندمـــا كنـــت صغـــيرا ، كـــان جدى يقول إنه فى بلدة يقال لـــها "رامـــى " أو " رامـــا " لقـــد نسيت اسم البلـــدة ــ يوجـــد بـــئر فـــوق صخـــرة ... مـــاذا يسمى؟ ماذا يسمى ؟ لا أذكر اسمه بـــالضبط ، يوجـــد المـــاء الشافى فى هذا البـــئر ، ولكـــن إذا أردت يـــا مـــولاى الآن أن تعـــرف خبرهـــا تمامـــا ، واســـم المدينـــة والأرض ، يجـــب الذهاب إلى بيت المقدس ، حيث يوجـــد أخـــى الأكـــبر الـــذى سمع أخبارها معى ، فربما يذكـــر اســـمها لأنـــه أكـــبر منـــى سنا.

غادرت هذه المدينة ولـــم أتوقـــف إلا فـــى قريـــة اســـمها ســـرى ، لا عـــادة لســـكانها إلا صيـــد الببغـــاوات وتعليمـــها

الكلام ، ثم يطوفون بها فى البلاد لبيعـــها ، فاشـــتريت واحـــدا منها ، ولم أعلمه سوى جملة واحدة ، فــــإذا ســؤل أى شــىء أجاب عنه بها وهى " ويحك يا ســـيدى ، تــرى مثلـــى ، ثــم تقول لا أساوى مائة جنيـــه ؟ ولمـــا اختبرتـــه بعـــدة أســئلة ، وجدته يجيبنى هكذا ، فأخذته ذات يوم إلـــى ســوق المدينـــة ، وأخذت أتجول به ، وهو فى القفــــص .

ومرت الأيام ، حتى وصلـــت إلـــى قريـــة تســـمى يلـــوى فنزلت بها ، وكان هذا اليوم يـــوم وقفـــة الســـحرة ، وبينمـــا كنت نائما بــــالليل ، جـــاء بعـــض اللصـــوص وســـرقونى ، فأخذت أهلل أقول " سارق يســـرق ســـارقا " .

ولما أقبل الليل اشتريت ســـكينة حـــادة ، وأخـــذت أتجـــول فى المدينة للسرقة ، فدخلـــت ممـــر بيـــت كبـــير ، فوجـــدت مجموعة من الشـــباب أشـــعلوا مصباحـــا ، وجلســـوا يعـــدون أموالهم ليلة العيد، وأغلقـــوا عليـــهم بـــاب البيـــت ، فقرعـــت الباب ، فقال واحد منهم "من هنـــــاك ؟ "

فقلت : لــص .

قالوا : لــص !

قلت : نعــم .

قالوا : لماذا جئـــت ؟

قلت : جئت لأســـرقكم .

فقال واحد منهم : لا بأس .. ادخـــل واســـرق .

فقلت : افتحوا الباب ، لـــتروا سأســـرق أم لا ؟

فقام كبــيرهم غضبـــان ، وفتـــح بـــاب الممـــر ، فدخلـــت وأطفأت المصابيح ، وقصدت الحـــائط، وطعنتـــها بالســـكين ، ثم عدت إلى جـــانب الممـــر ، وأوقعـــت نفســـى ، وقلـــت : الحقونى لقد قتلنى ، فلما سمعوا ذلـــك ظنـــوا أحـــد أخوتـــهم ، ففروا جميعا إلى داخـــل البيـــت ، فقمـــت وجمعـــت متاعـــهم كله ، وتركت المدينة ، وذهبت إلـــى قريـــة أخـــرى وبعتـــه ، وحصلت على مصـــاريف العيـــد ، ولمـــا انقضـــى العيـــد ، خرجت لأتجول لعـــل الله يرزقنـــى بـــأحد أعرفـــه ، وأثنـــاء تجولى سمعت صوتا ينادينى ، وكأنـــه مـــن الســـماء يقـــول " الهمة يا ابن الشيخ " فنظرت ، فإذا بـــه المعلـــم زرقيـــة بـــن محمد، فتصافحنا ، وأخذنـــى إلـــى منزلـــه ، وقضينـــا الليـــل نتحدث معا ، هذا اللقاء جعل الأمـــور تخيفنـــا ، فكـــل مـــرة نفترق ثم نلتقى مرة أخرى ، فالتقينـــا كثـــيرا .

ولما اصطحبنى المعلم زرقية ، قـــال لـــى أثنـــاء الطريـــق " يجـــب أن نغفـــر الآن الذنـــوب التـــى ارتكبناهـــا ، فغفرنـــا لبعضنا ، ومع ذلك لم أطمئن إليـــه ، لأنـــى أعـــرف أحـــوال الناس ، لذلك استعرت مصحفـــا فـــى الصبـــاح ، واغتســـلنا ، وأقسم كل منا ألا يضـــر أخـــاه مـــدى حياتـــه ، ولمـــا طلـــع النهار، قلت له : سأرحل إلـــى بلـــدة القـــدس ، وأنـــا مفلـــس

اليوم ، فقال .. لا بأس لنذهب .. مــاذا أملــك هنــا ؟ فذهبنــا إلى بلدة كبــيرة ، وحملــت الببغــاء إلــى الســوق ، فكــانوا يقولون لى : ما هــذا الطــير الــذى لا تفارقــه ، فكنــت أرد عليهم بأنه عينــاى .

ورآنى رجل أوربى فقال : هذا الببغــاء للبيــع ؟

فقلت : نعــم .

قال : بكم تبيعه لــى ؟

قلت : مائة جنيــه .

فسمعت الأوربى يتكلم كلاما لم أفهمــه ، ولــم أفــهم مــاذا يعنى ، ولا يعنينى ذلك ، ثم ســمعته يقــول بالإنجليزيــة مــا معناه " اذهب بعيد عنــى يــا غبــى " فقلــت : لا تســبنى ، أتظن أننــى لا أعــرف الإنجليزيــة ، إذا كنــت تشــك فيمــا أقول، اسال هذا الطير ، واسمع ماذا يقــول لــك " .

فرأيته ينظر إلى الببغاء ويقــول " هــل هــذا حقيقــة يــا ببغاء ؟ فأجاب " ويحك يا سيدى ، ترى مثلــى ثــم تقــول لا أساوى مائة جنيه ؟ فانفجر المعلــم زرقيــة والأوربــى فــى الضحك ، وأحضر مائة جنيــه كاملــة ، وأعطانيــها ، ولــم نقض الليل فى هذه المدينة ، ولكننا سرنا بــالليل حتــى بيــت المقـدس .

وفى هذه المدينة المباركة ، قـــال المعلـــم زرقيـــة ، لنتـــب عن الذنوب التى تعودنا على فعلـــها فوافقـــت علـــى كلامـــه ، وجمعنا العلمـــــاء ، وأخـــذوا يدعـــون لنـــا ، لكـــى لا يلعـــب الشيطان بقلوبنا مرة أخـــــرى .

بعد أن استرحت شهرا ، طلبـــت مـــن الأمـــير أن يجمـــع لى كبار رجال المدينـــــة لأســـألهم ، لعـــل أحدهـــم ، يعـــرف مكان الماء الشافى ، فقال الأمير : لا بـــأس ، وجمـــع كثـــيرا من الناس ، أمام باب قصـــره ، وســـألهم ، فســـكتوا جميعـــا ، فى بداية الأمر ، ثم تقدم رجل عجـــوز وقـــال : إنـــه يعـــرف مكانـــــه ، فسألته عن بلده ، فقـــال إنـــه ولـــد فـــى مدينـــة " نصراوى : أى أنه الشقيق الأكبر الذى أخـــبرنى عنـــه أخـــوه الأصغر ، فأخبرته بكل ما دار بينى وبيـــن أخيـــه الأصغـــر، فقال نعم أبونا واحـــد.

نادى الأمير هذا الشـــيخ ، وطلـــب منـــه أن يقـــص علـــى خب.رها ، فقال : الماء الشـــافى موجـــود فـــى مدينـــة إرم ، وهى مدينة الجن ، الماء الشافى ليـــس فـــى هـــذه المدينـــة ، ولكنه فوق جبل كبير ، يسمى جبـــل قـــاف ، لا يســـتطيع أى مخلوق أن يصل إلى هناك ، إلا الجـــن فقـــط ، ولا يســـتطيع ذلك إلا الطيارون فقط ، ولكنـــــى نسـيت الآن اسـم البـئر ، ولو حاول الجن أن يصل إلى هـــذا الجبـــل للحصـــول علـــى الماء لا يصل إلا بقـــدرة الله ، حيـــث يوجـــد بعـــض المـــردة

الذين يحرسون هذا البــئر ، كمــا يوجــد مــن يقــرأون آيــة الكرسى ، حتى لا يجـد الجـن الفرصــة للدخــول ، وهنــاك قواعد أخرى لابد أن تتبع قبل الدخــول ، وإذا أخطــأ إنســان ودخل ، مات ولم يعد ، وربما قد نســى جدنــا بعــض هــذه القواعد أو الأدعية ، هذا كل ما عرفــت مــن أخبــار المــاء الشافى ، أطال الله حيــاتك " .

عندما طلع النــهار ، ركبــت المركــب ، وقصــدت بــلاد إرم ، وأثناء الرحلة ، جنحـــت المركــب وتحطمــت فغــرق كل الركاب الذين كانوا معـــى ، ولكنـــى اســتطعت أن أصــل إلى الشاطئ بصعوبة ومشقة ، وعندما أفقــت وجــدت نفســى فى جزيرة لا يوجد فيها أى مخلـــوق ، ولا يوجــد أى شــىء يستطيع الإنسان أكله ، لا قــش ولا عشــب ، الأرض فقــط ، وها أنا وسط البحر ، تحيطنى الميـــاه مــن كــل ناحيــة، ولا توجد أى جزيرة بـــالقرب منــى ، تذهــب صرخــاتى أدراج الرياح ، ولا يأتى الجن هذا المكان ، فما بـــالك بـــالطيور .

حفرت الرمال ودفنت نفسى فيـــها ، وحــاولت الأنتحــار ، ولكن الله لم يرد بحثت عن أى شىء أقتــل نفســى بــه ، فلــم أجد ، وبينما أنا فى هــذه الحفــرة ، أنتظــر المــوت ، فجــأة رأيت اثنين من الجـــن ، وقــد حمــلا آدميــا ، وهبطــا بــه بالقرب منى ، وحفرا الرمل على هيئة حجــرة ، ثــم ســمعت كبيرهما يقــول " بحرمــة ســليمان بــن داود افتــح "فرأيــت

الأرض تنشــق ، ويدخــلان بـهذا الرجـل ، خفـت جـدا ، ودفنت جسمى كله فى الرمــال ، وكتمـت أنفاســى ، وكـأن الرمال أصبحت لى قـبرا ، ولذلـك لـم يسـتطيعا بقـدرة الله رؤيتى ، وبعــد قليـل رأيتــهما يخرجـان فقـالا " بحرمــة سليمان بـن داود اغلـق " فرأيـت الأرض تنضـم ، فسـويا الرمال فوقها ، وكأن شيئا لم يكــن .

وبمجرد انصرافهما خرجت ، وذهبت إلــى هـذا المكـان، وأزلت الرمال ، التى وضعاهــا ، وقلـت " بحرمـة سـليمان بن داود افتح ، فرأيت الباب ينفتح ، فدخلـت وعندمـا رآنــى الرجل المحبوس قام وركع أمــامى ، وقـال

" بالله خلصنى " فسألته عن اســمه ، ومـن أيـن جـاء ، فقص على كل شىء ، فعلمــت أنــه أخــى " سـقيمو " ابـن زوجة أبى ، الذى قتل والدى ، والــذى حـرص علــى قتـل زوجات أبى لأنه رأى الرؤية التى حدثتكـم عنـها .

لما عرفت ذلك ، خطر على بــالى حادثــة مفسـرى هـذه الرؤية ، فنظرت حولى ، فوجدت بــالقرب منـى سـيفا فـى جراب من الذهب ، فأخذته وسـحبت السـيف منـه ، فرأيـت كلمة الشهادة مكتوبة على طرفه ، فنظرت إلــى هـذا الرجـل وأخبرته من أنا ، وطلبت منه أن يتذكر تفسـير الرؤيـة التـى رآها ، وأخبرته كل ما حدث ، حتى تمـت ولادتــى ، وكيـف نشأت ، فلما ســمع ذلـك انقـض علــى ، فقطعـت رأسـه

بالسيف ، وقلـــت : قبـل أن يـأتى الجــن ويقتلونـــى ثـأرت لأبى".

أما عن سبب حضوره إلى هنا ، فقـــد كـــان يـــأكل تمـــرا ذات يوم ، فرمى بالنواه بعد أن انتـــهى فســقطت علـــى رأس ابن ملك الجن الصغير ، حيث كـــان يلعـــب ، فســقط الطفـل ميتا ، لهذا حملوه إلى هنا حيث قتلتـــه .

الباب الثامن

وصول الحاج إلى هدفه ، وعودته إلى وطنه:

بعد أن قطعت رأسه ، أخذت قطعة من القماش ، لأمسح السيف ، وبمجرد مسحه ، ظهر لى أحد الجن وقال " اطلب حاجتك يا سيدى " فرميت السيف خوفا ، ومددت يدى ومسحت عينى ، وكأنى أقول له اقتلنى ، لأرتاح من العذاب ، فسمعت قلبى يحدثنى قائلا : "دع العذاب يمر " .

فقلت: من أنت ؟ !!

قال الجن : أنا خادم هذا السيف ، يافث بن نوح ، أمرنى أن أخدم هذا السيف ، لأنه حارب به منذ أن كان حيا حتى مات " .

عندما سمعت ذلك ، انشرح قلبى ، وقلت " لا بأس .. إن كان الأمر كذلك ، احملنى لأصل إلى الماء الشافى : فصرخ وقال : ليس لى هذه السلطة ، ولكن يمكن أن أحملك إلى كبيرنا ، إذا وافق ، هو وحده ، الذى يملك هذه السلطة فى كل المدينة ، ... منذ أن خلقت الدنيا ، خلق

الماء الشافىْ هنا ، من أجل الجن جميعا ، ومنـــذ هـــذا الوقـــت تسيطر ذريتهم عليه حتـــى الآن " .

فقلت له : لا بأس ، احملنى ، وقبـــل أن أنطـــق البســـملة ، وصلنا إلى كهف كبير ، قريـــب مـــن مدينـــة " إرم " فقـــال : هو فى هذا الكـــهف " .

دخلنا فوجدنا عفريتا كبيرا ، فركعت وحييتـــه ، وقلـــت لـــه كل ما جاء بى ، منذ البداية حتى النهاية ، لـــم أخـــف شـــيئا ، حتى قصة ســـقيمو ـــ أخـــى الأكـــبر ـــ قصصتـــها عليـــه ، فتعجب وقال : لابد أنك ابن حـــر ، لأنـــك ضحيـــت بنفســـك من أجل أبو فلان " ثم استطرد قـــائلا " الأخ الأكـــبر للإمـــام، الذى قابلته فى الكهف يعبد الله ، هـــو صديـــق لـــى ، جمعنـــا معا حادث غريب ، فذات يـــوم ، كـــانت أمـــى تتجـــول فـــى الصحراء ، فوصلت إلـــى بـــلاد الســـودان ، وهـــى تحملنـــى على ظهرها ، فتملكنى الظمأ ، حتى أخـــذت أبكـــى ، فقـــابلت أمى أمه ، ـــ أى أم الشيخ العجوز والإمـــام ـــ تغـــرف المـــاء من البئر ، فلما ســـمعتنى أبكـــى ، قـــالت لأمـــى " انتظـــرى أعطى هذا الطفل الماء ليشرب " فوقفـــت وأخذتنـــى أمـــهما ، وأعطتنى الماء بنفســـها .

وقبل أن تنصرف جـــاءت أم الإمـــام ، وأعطتنـــى زهـــرة ـــ وثمرة الكـــولا ـــ جـــورو ـــ وشـــيئا مثـــل جـــوز الـــهند،

وأعطتــه لأمــى ، وأخرجــت قرشــين ، وأعطتــهما لــى ، فأمسكت فى كل يد قرشا، وأخذت ألعب بــهما ، كـانت تظـن أن أمى آدمية ، ولم تعرف أنها مــن الجـن ؛ فسـألتها أمـى عن بلدها ، فدلتها عليها ، وبعـد ثلاثـة أيـام ، جـاءت لـها والدتى فى الليل ، وكشفت لها عن نفسـها ، وتصادقـا معـا ، وكانت أم الإمام تحمل هذا الشـيخ العجـوز ــ الـذى رأيتـه فى كهف الجبل ــ على ظـــهرها .

وكانت أمنا سببا فى نمو الصداقة بيننـا ، حتـى كبرنـا ، وحتى الآن ما زلنا نزور بعضنا ، كل ليلـة جمعـة ، أذهـب إليه ، ونقضى الليل فى السـمر ، واليـوم عـاش كـل منـا ثمانين عاما ، ونحن نعبد الله فى هــذا الكــهف .

وأخوك الذى قتلته فى الجزيرة ، قتــل أخــى مــن قبـل ، وأنا ملك الجن ، فــى هــذه الدنيـا كلــها ، والذيـن رأيتــهم يحملن ولدى ، وهذا الكنز الــذى دخلتــه كـنزى ، والسـيف الذى فى يدك، سيف يافث بن نوح ، الذى حــارب بــه حتـى توفى ، وهو الآن ملكى ، ولــولاه مــا اسـتطاع أى مخلـوق الوصول إلى الماء الشافى حتــى أنـا ، ولــولا أنـك أخذتـه لبعثت ليؤتى به لأعطيك إياه ، حتى تسـتطيع الوصـول إلـى الماء الشـافى .

وهناك سببان أوجبا على مساعدتك : السبب الأول ، أنك قتلت الذى قتل أخى ، والسبب الثانى ، أنك ضحيت بروحك ، من أجل أخى الإمام ، وأنت تعرف أن الأخ الأصغر لصديقك ، كأخيك تماما .

عندما سمعت ذلك ركعت وشكرته ، فنصحنى ألا أدخل المدينة فى المساء ، ولا تنتظر الصباح ، فنمت مع أولاده ، وعندما طلع النهار نادانى ، وقال : احفظ ما سأقول لك ، وإلا ستهلك " .

قلت : لا بأس ، أسال الله أن يساعدنا .

قال : انظر قمة الجبل الموجود فى وسط هذه المدينة البعيدة ، هى المدينة الكبرى ، التى يسكنها الجن ، فى الدنيا كلها ، واسمها مدينة " إرم " ، وهذا الجبل الذى تراه على البعد الذى يخترق السحب ، اسمه جبل " قاف " إذا دخلت ستجد مكتوبا على باب المدينة كلمة " لا تسأل " ومهما ترى من أمور لا تهتم بها ، واقصد الجبل مباشرة، بهذا السيف المسلول وإذا دخلت المدينة ، ابدأ فى إنشاد هذه الأشعار ، " ويفعل فى ملكه ما يشاء ، تعالى الله وجل الحكم" حتى تغرف الماء وتعود.

سبب استمرارك فى هـــذه القــراءة أنــك ســترى أمــورا عجيبة لـــم تتعــود علــى رؤيتــها ، ســترى البقــرة تحلــب صاحبها الفلاتا ، وترى الحصان يركـــب الفــارس ، والكلــب يسب ، والكتكوت يخطف الحدأة ، والعــنزة تطــارد الذئــب ، والرجل يلد ، والدجاجـــة تفلــح الأرض ، والديــك يــزرع ، وأمورا أخرى عجيبة كـــهذه ، أنــت تعــرف الله يفعــل مــا يريد، ويفعل أكثر من ذلـــك غرابـــة ، آلاف ، آلاف المــرات إذا شـاء .

قراءة هذه الأشعار ستجعل الجــن يعرفــون أنــك تعــرف قدرة الله ، لذلك لن يضروك ، ولكـــن لا تقطــع أى شــىء ، وإذا رأيت أنهم سيضرونك ، لـــن يصيبــك أى أذى ، وعنــد دخولك ســـترى أثنتــى عشــرة حجــرة ، متواليـــة ، اتــرك الحجرة الخامسة علــــى يــدك اليمــى ، وادخــل السادســة ، وفيها ستجد البئر ، وهو يسمى بئر ســـينين ســتجده ، مغطــى بغطاء من اللؤلؤ ، لو اجتمـــع كـــل مـــن فـــى الدنيـــا ، لـــن يستطيعوا فتحه ، حتى يقال " افتـــح بحرمـــة النبــى ســليمان بن داود ، يا سليمان ، يا سليمان ، يا ســليمان ، افتـــح لأجــل من لا نبى بعده ، افتح مـــن أجــل أفضــل الخلــق ، النبــى محمد"؛ فإذا فتح خذ دلوا من الذهـــب ، ســتجده علــى حافــة البئر، فألقه داخل البئر ، وأنت تنشـــد ، مـــا قلتـــه لـــك مـــن الشعر، وإليك بزجاجـــة العطـــر هـــذه ، خذهـــا ، إذا ملكــت أكثر منها هلكت لأنك إذا مـــلأت هـــذه الزجاجـــة ، ووصلــت

إلى بلاد السودان ، ومسح به أى إنسان رأسه ، لا يصيبه صداع إلى الأبد ، لذلك فهذه الزجاجة الصغيرة تكفى ، لا تخف ، ولا تنسى شيئا مما قلت لك ، الله يرجعك بالسلامة .

أخذت الزجاجة ، وقصدت المدينة ، وقلبى يدق ، كل ما قاله لى وجدته حقيقة ، ففعلت كل ما قاله لى ، حتى وصلت إلى الجبل ، لذلك كان على أن أعد الحجرة الخامسة على يدى اليمنى ، وأدخل السادسة ، كما قال ، ولكننى خفت ، فعددت الرابعة على يدى اليسرى ، ودخلت الخامسة .

ولما دخلت ، سمعت من يقول : آه لقد أخطأ ، أضربوه ، فأخذوا يضربوننى ، وألقونى خارج المدينة ، والسيف معى ، حتى كسروا رجلى ، فزحفت ومسحت السيف ، فظهر لى العفريت ، فطلبت منه أن يعيدنى إلى كهف ملك الجن ، وفى الحال أعادنى .

فما رآنى ملك الجن ، مصاب بالجراح ، فى كل جسمى ، قال : لقد نجوت ، ولم يقتلوك ، قلت لك انتبه، ها قد رأيت ما أصابك ، لقد كتب الله لك النجاة ولم يهلكوك " ؛ فقلت له أين حدث الخطأ ، فقال ، اجلس حتى يتم لك الشفاء ثم عد بعد ذلك ،وعالجونى حتى شفيت.

بعد عشرين يوما كرر نصيحتـــه لـــى ، وعــدت ، وفـــى هذه المرة لم أخطئ حتى عدت بالماء، لقد ظـــهر لـــى الجـــن، بأشكال مختلفة ، فلم أهتم بهم ، ولما غرفـــت المـــاء ســـمعتهم يدقون لى الطبـــول ، لقـــد كـــانت دقـــات طبولـــهم جميلـــة ، وخرجت ، ووصلت إلى ملك الجن ، فســـر بـــى .

وبعد أن استرحت ســـبعة أيـــام ، قـــال لـــى : لا بـــأس أن تستعد للعودة " ، وقال " لن يســـتطيع أى عفريـــت فـــى هـــذه الدنيا ، أن يحملـــك ، لثقـــل المـــاء الـــذى تحملـــه ، إلا أنـــا وحدى، ولولا ذلـــك لجعلـــت أحـــد العفـــاريت يحملـــك إلـــى بلادك، قبل طلوع الصبح ، ولكنـــى ســـأحملك بـــالرغم مـــن كبر سنى ، وسأحاول أن أختصر لـــك الطريـــق ، لأخرجـــك من بلادنـــا .

حملنى بنفسه ، حتى البلاد الواسعة ، بـــلاد النـــاس الذيـــن يقال عنهم ، إنهم ملكـــوا الدنيـــا ، أى الأوربييـــن ، وقبـــل أن نفترق أحضر خاتما من الذهب ، ومنحـــه لـــى ، وقـــال : إن له خادما كخادم السيف ، إذا أردت شـــيئا ، امســـحه فيخـــرج لى الخادم ، لأننى لن أستطيع حمـــل الســـيف، ولكـــن الخـــادم لن يستطيع الظهور الآن ، لأن الماء الشـــافى معـــى ، مـــهما مسحت لن يظهر فأخذت هذا الخاتم ، ووضعتـــه فـــى يـــدى ، وأخذت الزجاجة وربطتـــها فـــى جيـــب قميصـــى خشـــية ، سقوطها، وقال : إذا اشتقت لرؤيته فـــلا أذهـــب إلـــى الكـــهف

الذى يعتكف فيه عمى ـ الأخ الأكبر الإمام ـ يوم الجمعة ـ فهو يزوره فى كل ليلة جمعة ، ليقضى الليل معه .

ركعت وشكرته ، وكدت أبكى من فرط السرور ، وتقدمت إليه وسألته المغفرة ، عما يكون قد بدر منى .

ولما اختفى ، قصدت البحر ، وسألت أحد النصارى الذى يمتلك بعض المراكب أن يحملنى فى إحداها إلى بلاد السودان ، فقال إنى لا أروق له ، فأنا شديد القذارة ، كان يظن سواد جسمى قذارة غطته ، ولم يعرف أنها خلقة الله ، وحاولت وحاولت ، ولكنه رفض ، وأخيرا طردنى بعيدا عنهم ، مدعين أن رائحتى كريهة ، حتى لا أجلب لهم القمل .

عندما طلع النهار ، وجدت قاربا قديما ، فأصلحته ، ونزلت به البحر المالح ، ومعى أدوات الطعام وصفيحة الماء ، لأن ماء البحر لا يصلح للشرب ، ففيه ملح كثير ، وقصدت جهة السودان ، وقلت ، إذا شاء الله أن أحمل الماء الشافى إلى السودان حملته ، وإذا لم يشأ ، فإرادته فوق كل شىء .

وظللت أجدف ، أقع هنا ، وتدفعنى الرياح هناك، والأمواج تحملنى مع المركب ، وتقذف بنا معا ، ولما رأيت أننى لا أشم رائحة الأرض ، تركت التجديف

وقلت: لأذهب حيث أراد الله أن أذهب " ، وإذا أحسست بالنعاس لم أهتم به ، وتغلبت عليه ، وقطعت أملى فى النجاة تماما ، حتى أصبحت لا أعرف تواريخ الأيام .

وذات يوم كنت نائما ، فتوقفت بى المركب ، ففتحت عينى ، فرأيت نفسى فى وسط شىء مثل البئر ، فأصغيت، فسمعت أصواتا ، كأنها كلام لبعض الناس فوق رأسي ، فرفعتها فرأيت السماء ، فقلت " اليوم أراد الله أن آتى هنا ... الحمد لله " .

وبينما أنا أفكر ، رأيت من يدلى دلوا ، فأمسكته فأخذ يشد ، وأنا أشد ، حتى سمعت من يقول : آه من الذى يمسك الدلو ؟

فقلت : أنا وقعت هنا ليلة أمس ، وخشيت أن أقول إننى من البحر المالح فيخافون ، ولا يخرجوننى .

فلما قلت ذلك سمعتهم يصرخون، وفى الحال تجمع الناس، وأدلوا لى حبلا فأمسكته فأخرجونى وأنا فى أقبح صورة يتدلى شعرى حتى الكتف عندما رأونى تفرقوا من شدة الخوف وذهبوا وأخبروا أمير المدينة، فجاء ومعه رجاله، فسألونى عن أخبارى فقلت لهم أنا رجل آدمى أعطونى طعاما لآكل، حتى أستطيع أن أحدثكم وأقص عليكم قصتى كلها .

وأمر الأمير ، فأحضروا لـــى طعامــا فــأكلت ، وكـــانت حركة البحر قــد أصــابتنى بــالصمم ، فســقونى دواء لمــدة سبعة أيام ، حتى شفيت ومكثــت عــدة أيــام ، حتــى هــدأت أعصابى ، لأننى كنـــت كـــالمجنون ، أو كمــن بعــث يــوم الحشر .

ولما هدأت أعصابى بعد عــدة أيــام ، رأى أهــل المدينــة شكلى تماما ، عاداتـــهم كلــها وكلامــهم وملابســهم ولــون بشرتهم مثل أهل السودان ؛ فلما انتبـــهت إلــى ذلــك ســألت الأمير قائلا : أطال الله عمر الأمير ، أيـــن أنــا ؟ !!

فقال : فى مدينة كـــانو .

قلت : أى كانو ؟ !! مدينـــة الســودان ؟ !!

قال : نعــم .

قلت : لا بأس ، أين كوننا جـــورا ؟

قال : بعد مسيرة خمسة عشــر يومــا مــن هنــا ، دون أن تستريح فى الطريـــق .

لما سمعت ذلك هللت بالصلاة ، وقلت الحمد لله ، الله يعلم بأى طريقة جئت إلى هنا ؟ فأمر الأمير أن يأخذونى إلى بيت كبير ، وقالوا من هذا البئر خرجت .

قلت : ما أسمها ؟

قالوا : ميبر حامى .

فقلت للأمير : هذه البئر عيناها تلتقى مع البحر المالح، فأنا خرجت من البحر المالح ، وأراد الله أن تسحبنى قوة عين هذه البئر معها حتى هنا ، حيث خرجت فتعجبوا ، وقصصت لهم قصتى منذ البداية حتى النهاية ، فسر الأمير بسماع ذلك .

قصة خروجى من هذه البئر ، لا كذب فيها ولا شك ، وحتى اليوم إذا أردت أن تسمع القصة ، اذهب إلى مدينة " كانو " واسأل عنها ، فكل كانوى عمره عشرين عاما يعرفها، وكل من تسأله عن مدينة كانو ، قل له أن يريك بئر فى برجامى ، يوصلك حتى البيت الذى يوجد فيه البئر ، وخشية أن يقع فيه أى إنسان يغرف منها الماء فيموت ، أمر أمير كانو أن يصنعوا لها غطاء من الصاج ليغطيها ، كما أمر أن يغلق البيت ومنع زيارته ، والآن هى مغلقة والمياه كثيرة ، ولم تظهر لأستخرج الماء منها.

وبعد أن استرحت عشرة أيــام ، أعطــاني الأمــير هدايــا كثيرة ، وأمر أن تعد لي ناقة حتى تنقلنـــي إلــى بــاب بيتــي في كونتا جوار ، فقد مضى خمسة عشر عامــا تمامــا علــى خروجي منها حتى اليوم الــذي عــدت إليــها فيــه ، فخــرج الإمام إلى الباب ، ولم يســتطع التعــرف علــى ، وخرجــت طفلا عمره خمسة عشر عاما ، وعدت شــابا عمــره ثلاثــون عاما لحيتي طويلة حتى عــارضي .

عندما كشفت له عــن شــخصيتي ، احضنتنــي ، وأخذنــا نبكي من شدة السرور ، ودخلت البيــت معــه ، فلمــا رأتنــي أمي ، لم تنسني ولم أنسها ، فتعانقنا حتى كــاد يغمــى علينــا من شدة السرور ، فصب الناس علينــا المــاء حتــى أفقنــا ، وأخذت كل المدينة تبارك لأهلــي .

وأخبر الإمام الأمير ، أن ابنه الــذي خــرج يتجــول فــي الدنيا قد عاد ، فبعث مرحبا بعودته ، ولم يعــرف أحــد ، مــا أخرجنــي مــن بــلادي ، أو مــا حصلــت عليــه وبعــد أن استرحت سبعة أيام ذهبت إلى الإمام ذات يــوم ، أنــا وأمــي، وقصصت عليهما أخبار رحلتي منذ أن خرجــت حتــى اليــوم الذي عدت فيــه ، وأخــذت المــاء الشــافي وقدمتــه لــهما ، فاكتشفت أنه قد تبعثر مني ، حينما كــانت الأمــواج تتقــاذفني في البحر المالح ، ولم يبق إلا شــيء قليــل ، فقدمــت لــهما الجزء البــاقي .

عندما سمع الإمام ذلك قام في الحال ، وأخبر أمير السودان ، فأمر باستدعائي لأقص عليه القصة كلها ، وقدمت له الماء الشافي ، فأخذني وعانقني ، وأمر أن تدق لي الطبول منذ الصباح حتى الظهر ، ولأختصر لكم القصة أقول أن الأفراح التي أقيمت والسرور الذي عم والخير الذي ناله الأمير ورجاله والدهشة التي أصابت الجميع لا حدود لها .

وسألت الأمير عن الولد الذي تركته مريضا ، هل شفي ؟ أعني " يا ريما " الذي قال لو أعطي الماء الشافي ، قال الأمير : لقد عالجناه ، حتى تعبنا ، وحتى الآن لا يتقدم ، ونتمنى أن يموت الآن لنرتاح ، فهو بين الموت والحياة ، لمدة خمسة عشر عاما .

عندما سمعت ذلك قلت : لا بأس ، انتظر لنرى المشكلة التي أثارها الإمام، ما إذا كانت الحقيقة أم لا ؟ فأخذت عصا صغيرة ، وغمرتها في الزجاجة ، وألقيت بها في قليل من الماء في إناء وأعطي للولد فشرب ، وبمجرد أن شربه مرة واحدة ، هب قائما وشفي في الحال.

ولم يبــق إلا القــوة فقــط فســر الأمــير وبــدى وكأنــه سيأخذنى ويلتـــهمنى مــن فــرط الســرور ، وأخــذ النــاس يتعجبون من قوة الماء الشـــافى .

وعجب الإمام مــن أخبــار أخيــه الأكــبر ، وملــك جــن الدنيا، واستدعى الأمير الإمام ، وسأله المغفـــرة لتكذيبــه لــه، عندما تكلم عن الماء الشافى ، فغفـــرا لبعضـــهما ...

لقد كانت رحلتـــى ذات فـــائدة عظيمـــة لأهــل الســودان ، ولكنهم لم يعرفوا ذلك ، وقبل قيـــامي بـــهذه الرحلـــة ، كـــان دواعنـــا فـــى بـــلاد الســـودان ، لافـــائدة منـــه للنباتـــات أو الحيوانات ، لأنه لا يوجد به قطرة واحدة مــن المـــاء الشـــافى ولكن بسبب قوته حولها ، فـــأصبحت كــل العواصــف التـــى تهب على البحر المالح وتمد الأرض بالمـــاء الـــذى يرويـــها، وأصبح الدواء صغيرا إذا خلط بـــه وســـقى منـــه الحيـــوان أو النبات ، أرأيت كيف أن كل الأدويـــة تفيـــد ، لأننـــى صببـــت بعض الماء الشافى فى البحـــر ، والآن إذا وجـــدت شـــجرة أو حيوان يشرب مــن المـــاء الـــذى يخـــرج مــن هـــذا البحـــر وعولجت من أى مرض تم لـــها الشـــفاء .

بعد أن اســـترحت حوالـــى شـــهر ، بـــدأت أســـتعد لحـــك الخاتم ، فلما ظهر لى الخادم ، أخبرتـــه باســـم المـــدن التـــى حفظت فيها متاعى كله ، فحملنـــــى وذهـــب لنقـــل متـــاعى ،

ولم أترك شيئا حتى الأبرة نقلتـــها ، وكـــل شـــيء تجــده الآن في بيتـــي .

وبينما أجمع متاعى ، ذات يوم قلـــت للخـــادم أن يحملنـــى إلى المدينة التى تركت فيـــها زوجتـــى " رقيـــة " لأحضرهـــا فلما رأتنى سرت جدا بعودتى ، وخرجت أتـــتره فـــى المدينـــة معها .

فوصلنا إلى قرية صغيرة ، فرأيـــت المعلـــم زرقيـــة فـــى السوق بين القصابين ، يدق طبلة وينبـــح وكأنـــه كلـــب أحـــد المتسولين ، فلما فتحت عبني ورأيتـــه ناديتـــه فنظـــر إلـــى وقد طلى وجهه بلون أحمر وقال : الهمة يـــا بـــن الشـــيخ " وألقى الطبلة واتبعني واتبعني كل النـــاس ، وقـــص كـــل منـــا على الآخر أخباره ، منذ أن افترقنـــا ، وســـبب عـــدم التقائنـــا بسرعة ، فأعطيته كـــل ثروتـــى ، التـــى تركتـــها بالمدينـــة ، وتركت لـــه حريـــة التصـــرف فيـــها ، وأخـــذت زوجتـــى ، وعدت إلى كونتـــاجورا .

وحتـــى الآن ، إذا أردت المعلـــم زرقيـــة ، أو أى إنســـان ألفته ، أو اشتاقت زوجتى لرؤيـــة أهلـــها ، أمســـح الخـــاتم ، فيظهر الخادم لى ويحملنا إلى حيـــث نريـــد، وهـــذا البيـــت بناه الجن لى ، وكنت اتمنـــى أن يبنـــوه لـــى مـــن الحديـــد ، ولكننى خشيت أن يملأنى الغرور ، فأتكبر علـــى النـــاس " .

هذه هي قصـــة الدنيــا ، وأشــكر الله ، ومـــازلت أشــكره حتى الآن ، الحمدلله رضيت أم لـــم تــرض .

إيليـــا الإبـــن الأقوى

Iliya Dan Mai Karfi

تأليف : أحمد إنجاو

أمــــر عجيــب :

كان يعيش فى إحدى بلاد الشرق رجـــل يســمى صحــابى وكان له زوجة تسمى مرجانـــة ، كانــا يعيشــان فــى مــنزل ريفي ، لم يكنا بالأثرياء تمامًا ، ولم يكونا مـــن الفقــراء فقــد كانا متوسطى الحال ، يمتلكان بعـــض الــدواب والمــزراع ، إلا أن شيئاً واحداً كان يكــدر عليــهما صفــو الحيــاة الدنيــا وهو عدم الإنجاب فلم يمن الله عليهما بنعمــــة الولــد .

لقد بذلا الكثير من المحاولات لعــــلاج حالــة العقــم إلا أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ••• ومـــرت الســنون تلــو السنين حتى من الله على مرجانـــة بــالحمل ، ويعجــز القلــم عن وصف مظاهر الفرح والسرور لـــدى الأبويــن ، وأخــذا يستعدان ليوم الولادة منذ الشـــهر الرابــع .

وذات يوم كان صحابي يعمل فى الحقــل خلــف المــنزل ، وكانت الشمس قد توسطت الســـماء وفجــأة ســمع زغــرودة تنطلق ثلاث مرات من منزله ، فألقى فأســـه وعــاد مســرعاً إلى المنزل فلما وصل وجد أن الأمنية التـــى طالمــا تحققــت، فقد ولدت مرجانة ولدا جميلا ، وبعد أســـبوع اجتمــع النـــاس وأقيم حفل التسمية وأطلق على المولود اســـم إيليــا .

ودارت الأيـــام وبلـــغ الرضيـــع الفطـــام ، إلا أن مـــرض الشلل أصاب رجليه وإحدى يديه ، ومكث علـــى هـــذا الحـــال حتى كبر ، لا يستطيع مغـــادرة ســـريره إلـــى أى مكـــان إلا محمولا ، وقد حزن والده لمرضه حزناً شـــديداً ولكنـــهما لـــم يســـتطيعا إلا صـــبرا وذات يـــوم ذهـــب والـــدا إيليـــا إلـــى المزرعة ، وتركاه وحده فى المـــنزل فـــوق ســـريره ، وقـــد استغرق مفكرا فى أمور الحياة الدنيـــا ، ومـــاذا كـــان يمكـــن أن يفعل لو كان سليم الرجلين ، وفجأة سمع مـــن يلقـــى عليـــه السلام " السلام عليكم ، الســـلام عليكـــم " فـــرد عليـــه إيليـــا قائلا " عليك الســـلام ، مـــن الـــذى دخـــل " ثـــم رأى ثـــلاث رجال يرتدون الملابـــس العربيـــة التـــى يرتديـــها الحجـــاج ، يحمل كل منهم مسبحه طويلة فى يده ، جلســـوا فرحـــب بـــهم إيليا فردوا التحية مبتســـمين .

نظر إيليا إلى هؤلاء الرجال جيدا ، فـــأدرك أنـــهم ليســـوا كمن تعود أن يراهم من النـــاس ، فظـــن أنـــهم ممـــن يقـــال عنهم أنهم يطوفون البلاد يعظـــون النـــاس .

سأل هؤلاء الرجال إيليا عما إذا كان لديـــه بعـــض الطعـــام يقدمه إليهم ليأكلوه قال إيليا " لا يخلـــو المـــنزل مـــن بعـــض الطعام ابحثوا فى كل مكـــان وخـــذوا مـــا تجدونـــه وكلـــوه ، لأنى لا أستطيع القيام والبحث " فسألوه عمـــا أصابـــه ، قـــال " هذا المكان الذي ترونني فيه ، أنام فيه منـــذ ولادتـــي ، لـــم

أخرج من باب المنزل ولم أذهب خارج هذه الحجرة إلا محمولاً " .

الله أرحم الراحمين ! لم يكن هؤلاء الزوار بشراً ، كانوا ملائكة بعثوا لامتحان إيليا ، وشفائه ، طلب أحدهما ماء فى إناء ، وقرأ عليه بعض الأدعية ، وقدمه إلى إيليا، وقال " اغسل وجهك وجسمك " أخذ إيليا الماء بيده السليمة واغتسل ، وفى لمح البصر ، وجد جسمه معافى تماماً وكأن شيئاً لم يكن ، واستطاع أن يمد رجليه ويده المشلولة، وأصبح من لم يره من قبل ، لا يدرك أنه كان مريضاً .

مد رجليه من فوق السرير ، وانحنى أمام هؤلاء الرجال ، وقدم لهم الشكر ، وفى غبطة وسرور ، ذهب وأحضر بعض اللبن ، وركع وقدمه إليهم ، فشرب كل منهم وأعطى رفيقه ، حتى شربوا جميعاً ، ثم مد كبيرهم يده إلى إيليا وقال " اشرب أنت أيضاً يا إيليا " أخذ إيليا اللبن وشرب . وبعد قليل قال أحدهم لإيليا " كيف تشعر بجسدك الآن " ؟ قال إيليا " أشعر أن قوة جديدة قد تسللت إلي ، وأشعر ان الأرض ، بما عليها لا تنال منى " .

قال كبيرهم من إيليا أن يشرب مزيداً من اللبن . وبعد أن شرب قدراً أكبر من اللبن ، قال له الرجل " حسناً ، آمن بالملك الأعلى ، واتبع أوامره واعمل بكل ما يأمرك

به ، وستكون أشرف من كل سكان البلـــد وسيشـــتهر اســمك فى كل مكان فــى الدنيــا ، ولا تثنيــك الصعــاب والأخطــار عن حبك لربك . وهذا الأمر مؤكـــد ومكتــوب ولــن تمــوت فى ميدان القتال مهما حمى الوطيـــس .

ولن ينتصر عليك أى إنسان فــى هــذه الدنيــا ، إلا رجــل واحد فقط يســمى ورجــاجى ، ســتلتقى بــه ، ولكــن إيــاك ومحاربته ، وعليك الآن أن تعقد العــزم علــى الذهــاب إلــى مدينة قب ، ولا تنتظــر لتســتنفد قوتــك فــى المزرعــة ، أو الحديقة أو الغابــة . "

وبمجرد انتهائهم من هذا الحديــث اختفــوا دون أن يشــعر بهم إيليا . فتملكته الحيرة ، وحزن لأنــه لــم يعــرف الســبب الذي سيذهب من أجلــه مدينــة قــب ، وقــد اختفــوا دون أن يسألهم ، ورأى الأمر كلـــه كــالحلم الخــاطف، وبعــد قليــل هدأت نفسه، وذهب إلـــى المزرعــة حيــث يعمــل والــده ، فوجدهما قد انتهيا من عملــهما وأصابــهما التعــب فاســتغرقا فى نوم عميــق ، فــألقى عليــهما الســلام ، فلــم يســتيقظا ، فاقترب منهما وأخذ فأساً وقصـــد فرعــاً كبــيراً مــن شــجرة الباو باو ينام والده فى ظله وقطعه ، وبـــالرغم مــن الصــوت المرتفع الذى أحدثه القطع وسقوط الغصـــن إلا أن والديــه لــم يستيقظا من نومهما . فأخذ باقى الفئــوس وثبتــها فــى جســم الشجرة وذهب إلى مكان واختبأ فيــه وهــو يضحــك ويقــول

فى نفسه " عندمـــا يسـتيقظان ويـهمان بـالعمل فلـن يجـدا فأسهما وسيبحثان عنــها . "

وبعد أن ضربتهما حـرارة الشـمس ، قامـا مذعوريـن ، ونظرا إلى أعلـى فوجـدا أن غصـن الشـجرة الكبـيرة قـد قطع، فتعجبا لأنهما يعلمان أنـه لا يقـوم بـهذا العمـل فـى الوقت القصير إلا عشرة رجال أشداء ، ونظـرا فلـم يشـاهدا أحداً إلا فئوسهما مثبتـة فـى الشـجرة ، فحـاولا اقتلاعـها ولكنهما عجزا عن ذلـك ، ولمـا رأى إيليـا أنـهما عجـزا خرج إليهما ضاحكا ومد يده واقتلـع الفئـوس جميعـا . فلمـا رأيا إيليا على هذا الحال ، زالـت دهشـتهما لقطـع الشـجرة وتثبيت الفئوس فيها . وأخذا يتعجبان من أمـر إيليـا . وهـدأ كل المكان ، وأخذت أم إيليا وأبوه ينظر إليه مـن أسـفل إلـى أعلى. وبعد قليل أدركا أنه ابنهما إيليا قد كتـب لـه الشـفاء ، فرفع الأب رأسه إلى السـماء حـامداً الله .

ولشدة دهشة والدى إليها لم يستطيعا أن يقـولا لـه شـيئاً ، وركع إيليـا أمامـهما، وقـص عليـهما كـل مـا حـدث . وأخبرهما أنه لن يبقى معهما ، وقال أنـه أمـر بـأن يذهـب إلى مدينة قـب .

فرح والده كثيرا لشفاء أبنهما ، ولكنـهما شـعرا بـالحزن عندما تذكرا أنه سيفارقهما ، فركع مـرة أخـرى ، وخفـض من صوته وأخذ يحـث والديـه علـى الصـبر ، ويحدثـهما

حديثاً لطيفاً ، حتى يهدأ مــــن روعـــهما ، ثــم طلــب منـــهما المغفرة، وودعهما ، واتخذ سبيله إلى مدينــــة قــب .

وفى أثناء الرحلة التقى برجـــل يجـــر حصانـــا صغـــيرا ، فسأله إيليا مازحا هل يبيعه هذا الحصـــــان . فوافــق صـــاحب الحصان ، وساومه فى الثمن وهو علـــى يقيـــن أنـــه لا يملـــك درهما ، ثم وضع يده فى جيبــــه ، مازحـــا فـــأحس أن فيـــها مالا ، فأخذه ودفع ثمن الحصان . وهنــــا ورد علـــى خـــاطره أنه من الأفضل أن يعود إلى منزلـــه، ويرعـــى الحصـــان ثـــم يستأنف الرحلة ، فالتفت عائداً إلـــى منزلـــه .

أطلق إيليا علـــــى حصانـــه اســـم قوليلـــى ، أخـــذ يرعـــاه ويربيه على تحمـــــل الصعـــاب ، والصـــبر علـــى الجـــوع ، وقبل مضى ثلاثة أشهر كان الحصـــــان قـــد امتـــلأ وصـــار لا مثيل له فى المنطقة المجاورة ، وظل فى مربطــــه حتـــى مـــل الراحة ، وأخذ يتشوق إلى الرحيل أكثر مـــــن صاحبـــه .

عندما شعر إيليا أن وقت رحيله قــــد حــــان ، ذهـــب إلـــى والديه وأخبرهمـــا ، وطلـــب منـــهما المغفـــرة ، فـــأكثر مـــن الدعاء له ، وودعاه وفى صباح اليوم التــــالى ، اســـتعد إيليـــا وامتطى صهوة جواده قوليلى وبـــدأ الرحلـــة .

لقاء إيليا بورجاجى :

دخل إيليا الغابة وواصل السير ، وهو لا يعرف له وجهة ، حتى أقبل الليل واستولى عليه الجوع والتعب والظمأ ، كما تعب حصانه كذلك. واصل السير وسط سكون الغابة ، حتى وجد حديقة أمامه مملوءة بالثمار والأزهار العجيبة ، وفى وسط الحديقة أقيمت خيمة من الحرير الأبيض ، نزل إيليا وربط حصانه ، ودخل الحديقة وأطل برأسه فى الخيمة فلم ير إلا سريرا من الحديد وبعض الفراش والوسائد. لم ينتظر طويلا ، وصعد السرير ونام وسرعان ما استغرق فى النوم حتى طلع النهار. وغربت الشمس مرة أخرى ، وأقبل الليل وطلع النهار وهكذا استمر ثلاثة أيام نائما لم يستيقظ. وفى الليلة الثالثة كان إيليا مستغرقا فى نومه ، أخذ قوليلى يسمع حركة وضوضاء مقبلة تجاه الخيمة ، وكأن عاصفة تهب ، تهتز الأرض من تحتها وكأنها ستنشق. أخذت الأشجار تسقط ، وفاضت مياه النهر فى الغابة. ثم صهل الحصان بشدة حتى يستيقظ إيليا ، وكأنه ينبهه إلى القيام بسرعة لاقتراب هذا المخلوق الضخم إليه. لقد كان هذا المكان هو منتزه ورجاجى الذى طلب من إيليا ألا يتقاتل معه .

بعد قليل ، شعر إيليا بالخوف ، وأشار إليه قوليلي بأن يصعد إلى مكان مرتفع ليختبيء فيه ، وبسرعة صعد إيليا فوق إحدى الأشجار الطويلة في الحديقة واختبأ . وبحث قوليلى عن مكان اختفى فيه .

بعد ذلك وصل ورجاجى ، على ظهر حصان كبير كان يشبه الجمل مقبلا من بعيد ، ونزل عند مدخل الخيمة . نظر إليه إيليا جيداً فوجده شيئاً مخيفاً ، لأنه لم ير من قبل شخصاً ضخماً مثله ، رجل عريض وطويل كان يقطع الأشجار التى تعترض المكان بيده . ثم أنزل صندوقاً كبيراً من فوق ظهر حصانه وأخذ ما يشبه المفتاح من الذهب وفتح الصندوق فخرجت فتاة جميلة حمراء مثل الجن ، وقد تزينت بأنواع شتى من الحلى الذهبية واللؤلؤ والمرجان ترتدى حذاء منسوجا من الحرير الأحمر . وقد بلغ شعر رأسها الأرض فكانت ترفعه بيدها .

أمسك ورجاجى يد هذه المرأة ودخلا الخيمة ، ففتحت حقيبة وأخرجت مائدة للطهى ووضعت عليها طعاما وشرابا ، وجلسا يأكلان ويشربان حتى شبعا . ثم صعد ورجاجى إلى السرير ونام فأخذت تهوى له حتى غلبه النوم . فلما رأته قد استغرق فى نومه خرجت تتجول فى الحديقة ، وأخذت تسير وتنشد بعض الأغانى الجميلة

بصوت منخفض ، تأخذ بلب من يستمع إليـــها . وبعـد قليــل رفعت رأسها إلى أعلى ، فرأت إيليا فـــوق الشـجرة مختبــأ . فنظرت إليه جيدا ثم قالت " ايها الشاب الوســيم انــزل "

نزل إيليا وهو يرتعش فأمســكت يــده ودخلــت بــه إلــى الحديقة . وبينما كــان ورجـاجى يغـط فــى نــوم عميــق ، فتحت جيبه ووضعت فيه إيليا . فشعر وكأنــه قـد نــزل فــى بئر عميــق .

وبعد وقت قليل استيقظ ورجـــاجى مــن نومـــه ، واســتعد للقيام وأخذ الفتاة ووضعها فـــى الصنــدوق ، وأغلقــه وعلقــه فى سرج حصانه . واتخـــذ طريقــه عــائدا إلــى المــنزل . وقصد بعض الجبال العالية تسمى " الجبـــال العاليــة " وهــى مكان لم يصل إليـــه أى مخلــوق مــن قبــل ، ولا يســتطيع الوصول إليه إلا جيجى والد ورجـــاجى ، ويحيــط بــالقصر مبان كثيرة جميلة ومتنوعة . والرخاء ونعم الحيــاة فــى كــل مكان .

كان جيجى يفوق ورجاجى حجماً وطــولاً وجمــالاً ولكنــه شاخ تماماً وفقد بصره . لاحــظ ورجــاجى أثنــاء الســير أن الحصان يسير فى ببطىء على غير عادتــــه . يســير وكأنــه سيقع ، غضب ورجاجى وضربـــه فنبهــه الحصــان قــائلاً " صبرا يا سيدى ، قوتـــى لا تتحملــك إلا أنــت وربــة البيــت

فقط ، ولكن ليس لـــدى القـدرة علـــى أن أحمـــل مخلوقـــات ثــلاث . "

بحث ورجاجى فى كل مكـــان فلـــم يـــر أحـــدا ، وأخـــيرا شعر بشىء ثقيل قليلا فى جيبه ، فمـــد يـــده وأخـــرج إيليـــا ، ونظر إليه جيدا وقال " أنت يا بنـــى آدم ، مـــاذا فعلـــت حتـــى جئت إلى هنا ودخلت جيبى ؟ " كـــان إيليـــا يتوكـــل علـــى الله دائماً، ولا يخشى أحدا ، فنظـــر إلـــى ورجـــاجى دون خـــوف أو دهشة وقال " يا سيدى ، امرأتك هى التـــى وضعتنـــى فـــى جيبك يا سيدى " وفى الحال أغضـــب وأخـــذ هـــذا الصنـــدوق الذى ترقد فيه الفتاة وألقى به فوق جبـــل فـــى وســـط النـــهر، وقال " امكثى هنا ، أيتها المرأة القذرة ، ســـتبقين هنـــا حتـــى يوم القيامـــة " .

أخـــذ ورجـــاجى إيليـــا وأجلســـه أمامـــه علـــى الحصـــان وواصل السير وبعد قليل هـــدأت نفســـه ، فســـأل إيليـــا عـــن موطنه ومدينته وأخباره كلها فقص لـــه قصتـــه منـــذ البدايـــة حتى النهاية ، وفـــى الحـــال ألفـــت المحبـــة بيـــن قلبيـــهما ، فواصلا الرحلة يتحدثان عن أخبارهما كأنـــهما صديقيـــن .

وقبل أن يصلا إلى المـــنزل قـــال ورجـــاجى لإيليـــا " إذا وصلنا إلى المنزل سأحملك لتحيـــة والـــدى ، فـــإذا مـــد يـــده ليحييك لا تمد إليه يدك ، يوجد حـــداد عنـــد بـــاب المـــنزل ،

ستذهب إليه وتأخذ منه قضيبيا من الحديد وتضعه في النار ، فإذا مد إليك يده مددت إليه هذا القضيب الحديدى فيمسكه بدلا من يدك . فقال إيليا " وهو كذلك " .

واصلا السير حتى بلغا باب القصر ، فتملكت الدهشة إيليا لضخامة البناء فقد كان يشبه الجبل الأبيض ، زين بمختلف الزينات ، وحينما سرت بداخله رأيت الكراسى والفراش . حتى نوافذه من المرايا مغطاة بألوان مختلفة من الستائر ، والمصابيح فى كل مكان . وخلاصة القول أنه مملوء بجميع متع الحياة ونعيمها .

بعد قليل خرج جيجى جيجى ووقف على باب الدهليز ليرحب بورجاجى . يسأله عن المدن التى زارها ، فقال له ورجاجى أنه زار بلاد الشرق ، حيث عاد بصديق من هناك ، فأمر أن يأتى إيليا لتحيته .

وكان إيليا قد وضع القضيب الحديدى الضخم فى النار ، وأخذ ينفخ فى النار حتى التهب الحديد ، وأخذ ينتظر حتى يستدعيه . ذهب ورجاجى مع إيليا ، مد جيجى يده لإيليا ليحييه فمد إليه القضيب الحديدى فأمسك الحديد الملتهب كأنه يمسك يد من يحييه ، وبعد قليل ترك القضيب وقد صار باردا قائلا " إنك يا ورجاجى قد

وجدت الصديق الذى يشبهك وجدير بأن يكون لك صديق".

وفى اليوم التالى خرج إلى باب القصر ، ووقفا يتأملان من بعيد اتساع الريف وضخامة الأشجار ، ونظر إيليا فرأى على بعد حصانه قواليلى يرعى بالقرب من القصر . فملأ السرور قلبه وأسرع إليه وأمسكه فتعجب ورجاجى من هذا الحصان ، فأخذاه وربطاه فى المربط ووضعا له الطعام وقدما إليه الماء .

وفى المساء ركبا حصانيهما وخرجا يتنزهان ، وتتبعا حافة الجبل وهما فى فرح وسرور ، وواصلا السير حتى وصلا إلى مكان جبلى ، وبالقرب من الجبل رأيا صندوقا مفتوحا وكتب عليه " هذا الصندوق من قبل لورجاجى ليكون قبرا له ، فلما رآه إيليا قال " دعنى أجربه لأرى لعله صنع لى " فنزل ودخل الصندوق ، فوجده مناسبا له تماماً ، كأنه قد صنع له بمقاساته ، لقد ملأه حتى تعذر عليه التحرك داخله ، فمد يده من داخله وأغلق غطاءه ، فانقفل الصندوق تماماً . ولم توجد ثغرة تدخل منها شعرة الرأس .

أعلق ورجاجى الصندوق دون أن يودع إيليا ، لم يحمله وصيته يبلغها لأبيه ، لذلك طلب من إيليا أن يفتحه ليبلغه الوصية ويودعه ، فمد إيليا يده ، وحاول أن يفتح

الصندوق ، ولكنه عجز عن تحريك الغطـــاء . فتــألم وقـــال " لا أستطيع فتح الصنـــدوق " قـــال ورجــاجى " خـــذ ســيفى الذى أحارب به ، وأقطع حافة الصنــــدوق " فمــد إيليــا يــده وأخذ السيف ، وقـــال ورجــاجى " اقــترب منـــى " فــاقترب إيليا، فنفخ ورجاجى فى جسد إيليا بكل قوتــــه ، وفـــى الحــال أخذ إيليا السيف بسرعة كأنه يحمل عودا مـــن الغـــاب وقطــع الصنـــدوق بقـــوة ، فـــدوى الصـــوت فـــى أنحـــاء الغابـــة ، واشتعلت النار فى الغابة ، واضطرب المكـــان كـــأن الســماء قد انطبقت على الأرض ، وانتشرت ألســـنة النــار فـــى كــل مكان ، وبدلا من أن ينفتح غطاء الصنــــدوق ازداد إحكامــا.

وبعد أن هدأت المنطقة ، قال ورجاجى " اقـــترب يـــا إيليـــا لأزيدك قوة ، سأمدك بكل ما لـــدى مـــن قـــوة " قـــال إيليـــا " سيدى إذا زادت القوة التى لـــدى عـــن ذلـــك ، لـــن تســـتطيع الأرض بمن عليها أن يسلبنيها ، أشــــكرك كثــيراً ، أريــد أن تقول كل ما تريد ، إذا استطعت سأفعل مــــا تريـــد . "

قال ورجاجى " لا شئ أكثر من ذلك تســــتطيع فعلــه لـــى، لقد انتهت حياتى الآن . أترى هـــذا الصنـــدوق أنـــه قـــبرى ، أشكرك بارك الله فيــــك ، وقـــاك الله مـــن شـــر النـــاس ، إذا وجدت فرصة للعودة ، بلغ تحيـــاتى إلـــى والـــدى ، وأخـــبره بما أصابنى من أقدار فى هذا المكـــان ، أســأله الله أن نلتقـــى فى دار الســـلام .

هذا الكلام الذى قالـــه ورجـــاجى ، أثـــار غضـــب إيليـــا ، وأحزنه ، وأفقده لذة الحياة ، وتحير فيما يفعلـــــه ، ثـــم انفجـــر فى البكاء ، وطلـــب المغفـــرة مـــن ورجـــاجى ودعـــا لـــه ، ومكث مدة على حافة الصنـــدوق يبكـــى . وبعـــد أن هـــدأت نفسه وتذكر أن كـــل شـــئ بقضـــاء مـــن الله ، ولذلـــك أخـــذ يحدث نفسه قـــائلا " الآن إذا رجعـــت مـــاذا أقـــول لجيجـــى جيجى ؟ لا ينبغى أن أعود إلـــى هـــذا المكـــان " ثـــم ركـــب حصانه ، وواصل الســـير ، وهـــو لا يعـــرف لـــه وجهـــة ، وتتبع انحدار الجبل ، وأخذ يســـير حتـــى بعـــد عـــن المكـــان فتلفت حوله فوجد دمـــوع ورجـــاجى تتصبـــب مـــن ثقـــوب الصندوق ، فأشفق عليه ، وانفجر فـى البكـــاء مـــرة أخـــرى ، ثم نزل من فوق الحصان وجلس يفكر ، وقـــد بـــدى الحـــزن على وجهه ، وبعد أن مكث فـــترة علـــى هـــذا الحـــال ، قـــام وواصل رحلتـــه .

إيليا يهيم على وجهه :

واصل إيليا السير أياما وأياما حتـــى وصــل إلــى مدينــة صغيرة ، فنزل ليستريح يومين . ولــم يمــض وقــت طويــل حتى ألفه سكان المدينة ، وفرحـــوا بقدومــه . وصـــار كـــأخ لهم ، كلما ذهب إلى مكان عـــاد إليــهم . وبعــد أن أســتراح قال لهم ذات يوم أنـــه ســيذهب إلــى مدينـــة قــب . فدهــش الناس لذلــك .

على طريق مدينـــة قــب يعيــش عفريــت ضخــم يقطــع الطريق علـــى القوافــل ، لــو تعــرض لجمــع كبيــر مــن المحاربين يسلب متاعهم، ومهما كـــانت شـــجاعة المحـــاربين يستطيع هذا العفريت التغلب عليـــهم ، وقــد ذاعــت أخبـــاره فى كل مكان فى المدينـــــة ، حتـــى قطـــع الطريـــق تمامـــا ، وصـــار لا يســـلكه أحـــد . وكـــان هـــذا العفريـــت يســـمى جوجچى، وله تسعة أبناء ، ومن بينهم فتـــاة تســمى جليلـــى ، لها عين واحدة ، هـــى التـــى ورثـــت كـــل أفعـــال جوجـــى الشريرة وطباعـــه .

ولمعرفة الناس أخبـــار هـــذا العفريـــت حـــاول النـــاس أن يمنعوا إيليا من الذهاب إلى مدينة قب . ولكنـــه أصـــر علـــى

عزمه . فلما أعيتهم المحاولة تركوه . وأشاروا عليه أن يغير الطريق ، فقال أنه لابد أن يسلك هذا الطريق ، فودعوه ، وذهب إلى مقصده .

ولم يكن إيليا يفخر بشيء كما يفخر بسيفه ، والقوة التى وضعها الله فيه ، وكان لسرجه أثنا عشر حزاما ، وكان سيفه إذا ضرب به الصخرة انقسمت نصفين . وإذا اجتمع عليه مائة من الشجعان العتاه استطاع القضاء عليهم وتفريقهم .

وقبل رحيلهم بيوم واحد ذهب إلى مسجد المدينة الكبير، وأكثر من الدعاء وسأل الله أن يوفقه ، وعقد العزم على الذهاب إلى مدينة قب ، وسلوك الطريق الذى يقال أن أحدا لا يسلكه إلا وقضى عليه . وأخذ على نفسه عهدا بالا يستعمل سيفه حتى يصل إلى مدينة قب ، مهما كانت شدة الأخطار التى سيواجهها فى الطريق . عاد منزله واستعد ، وفى الصباح ركب حصانه ، واتخذ طريقه وواصل السير أياما وأياما دون أن يرى فى طريقه منزلا ولا مدينة . فلم تقع عينه إلا على الغابات .

واستمر على هذا الحال حتى وصل إلى جبل طالما سمع عن عظمته كثيرا ، فلما رآه تحقق ما سمع ، أخذ ينظر إلى قمته وطوله فلم يجد لها نهاية ، أخذ يطوف

حوله لعله يجد مكانا يجتازه بسهولة، وأمضى خمسة أيام وهو يطوف حوله ، وأخيرا اكتشف مكانا صغيرا ، استطاع إصلاحه بسيفه وصعد منه وواصل الرحلة .

وبعد حوالى أسبوعين وجد النهر الكبير الذى سمع عنه كثيرا ، فنزل وتفقد المكان جيدا ، وربط حصانه ، ووضع متاعه فى الكوخ ، ونام . ولما طلع النهار قصد شجرة كبيرة وقطعها ، وأخذ يصنع قاربا ، قضى شهرا فى الغابة لا عمل له إلا صناعة القارب ، ولما انتهى أنزل فيه متاعه وحصانه ، وعبر النهر قاصدا مدينة قب .

وبعد أن عبر النهر قضى حوالى عشرين يوما ، اقترب من مدينة تسمى كانيغو . وقبل أن يصل حدود المدينة رأى على البعد فرقة من المحاربين يحيطون بالمدينة ، وتعذر الدخول إليها والخروج منها . وأخذوا ينتظرون سكان المدينة حتى يخرجوا إليهم فيقضو عليهم بعد أن يفتحوا باب المدينة . وقد عزم المحاربون على أن يكسروا الباب ويدخلوا المدينة بالقوة ويستولون عليها بالحرب إذا اعتصم أهلها داخلها . وكان عدد هؤلاء المحاربين كثيرا جدا ، ومهما كانت شجاعة الإنسان ، إذا رأى كثرتهم ومدى استعداداهم ، يتراجع عن قتالهم .

اجتمع كبار رجال المدينة فـــى مســجد المدينـــة الكبــير ، وأخذوا يدعون الله لعله يخفف عنهم هـــذه المصيبــة بعــد أن أغلقوا أبواب المدينة كلـــها .

الله سميع الدعـــاء ، وإذ بإيليــا يــهاجم معســكر هــؤلاء المحاربين فجأة من الخلـــف ، وهــو علــى ظــهر حصانــه قوليلى ، وهو لا يعرف ماذا يجرى خلــف أســوار المدينـــة . هاجمهم وهم باختراق صفوفـــهم ، فـــالتفوا حولـــهم وأعلنـــوا عليـــه الحـــرب ، وأخـــذوا يضربونـــه بالســـيوف والســـهام والعصا الغليظة والرماح . تذكـــر إيليـــا الوعـــد الـــذى أخـــذه على نفسه بألا يستعمل السلاح حتى يصل إلـــى مدينـــة قـــب . فمد يده وجذب زمام حصانه واندفع به بيـــن صفوفـــهم قـــائلا " أيها الوثنيـــون ، ســـيغلبكم الشـــجعان " وأخـــذوا يضربونـــه وهو يضربهم بيده ، واشتد القتال بينهم وبينـــه وحـــده .

وبعد قليل فرقهم جميعا ، وقتل بعضـــهم وجـــرح البعـــض الآخر ، فلما رأوا أنهم مـــهزمون لا محالـــة ، نجـــا البـــاقون وولـــو الأدبـــار ، ولـــم يـــتركوا إلا الموتـــــى والذيـــن لا يستطيعون الفرار ، وانهزم معســـكر المعتديـــن .

كان هذا هو اليوم الأول الذى بدأ فيه إيليـــا اختبـــار قوتـــه وشجاعته . ومضى إلى بوابة المدينة فوجـــد الأبوبـــاب كلـــها قد أغلقت ، فتراجع إلـــى الـــوراء ، ودفـــع حصانـــه قوليلـــى

فقفز إلى السور وإذ به داخل المدينة . ذهب إلى قصر المدينة فلم يجد أحدا ، فقد ذهب الجميع إلى المسجد حيث يرددون الدعوات . لم ينتظر وتوجه إلى المسجد ، وسألهم عن سبب تجمعهم فى هذا المكان فقص الأمام عليه قصة هؤلاء المحاربين ، فقال إيليا " لقد استجاب الله اليوم دعوتكم ، ولم يبق أحد من المحاربين ، لقد طردتهم جميعا فاطمئنوا " نظر الناس إلى إيليا ، فى دهشة مما يقول ، ولكنهم لم يصدقوا .

لما أدرك إيليا عدم تصديقهم لكلامه ، طلب منهم أن يبعثوا من يطل خارج السور ليرى بنفسه ، قال بعض الكبار منهم ، ابعثوا من يتحقق من الأمر . وفى الحال بعثوا بعض الشجعان ، فصعدوا فوق السور ونظروا على البعد ، فلم يجدوا أحدا ، إلا الموتى والجرحى مبعثرين فى كل مكان . فأخذوا يصيحون صيحة النصر الحربى . وحملوا الأخبار إلى الأمير . وعم السرور جميع أنحاء المدينة وفى الحال انطلقت الطبول والمزامير . واجتمع الأمير مع جميع كبار المدينة وأخذوا ينظرون إلى إيليا فى دهشة بالغة ويعربون له عن شكرهم . كما قص عليهم كيف بدأت هذه المعركة .

وعندما أقبل الليل ، اجتمع كبار رجال المدينة ، وتبادلوا الآراء ، وطلبوا من إيليا أن ينتظر ليعينوه أميرا

بعد وفاة أمير المدينة ويولونه السلطة ، وجمعوا له ألف مد من الذهب والكثير من الفضة ، وغير ذلك من المتاع القيم ، وقدموه إليه ، إلا أنه أخبرهم أنه ليس بحاجة إلى شيء منهم . وكل ما يريده منهم أن يدلوه على الطريق إلى مدينة قب . عندما سمع هؤلاء الناس اسم المكان الذى يقصده ، قاطع بعضهم كلامه وأخذ بعضهم يتنهد والبعض الآخر أخذ يقول لا حول ولا قوة إلا بالله . واجتمع أمير المدينة وإمامها وكبار رجالها ، وحاولوا إقناع إيليا بعدم الذهاب إلى مدينة قب ، لأنهم متأكدين من هلاكه ، وقصوا عليه قصة الغابة التى تقع فى الطريق إليها والتى لم يسلكها أى مخلوق من خمسين عاما ، والتى ليس فيها إلا الفيلة والحيوانات المفترسة وهذا العفريت الذى يسمى جوجى قاطع الطريق . وأن أكثر من مائة رجل ذهبوا لقتله فتعذر عليهم وقتلهم جميعا .

إيليا يلتقى بجوجى :

كل هذه القصص لم تثنى إيليا ، إلا أنـــها زادتـــه إصــرارا على الرحيل قال " دلونى علـــى الطريــق فقــط . إذا هلكــت سيجمعنا الله على الخير يــــوم القيامـــة . وإذا نجــوت أرجــو من الله أن أعود إلى مدينتكم مـــرة أخــرى لمســاعدتكم أكــثر مما فعلــت الآن " .

صبروا على ما ســـيلاقيه وتركــوا إيليــا ، ودلــوه علـــى طريق مدينـــة قــب ، واصطحبــوه إلـــى خــارج المدينــة ، وودعوه ، وواصل السير نحو الغابة الموحشـــة أيامــا وأيامــا لا شيء فيـــها إلا التــلال والجبــال والشــلالات والأنــهار . أحيانا تهطل عليه الأمطـــار بغــزارة ، وأحيانـــا يســـير فـــى أماكن لم يسلكها مخلوق منـــذ أن خلــق الله الأرض . وهكــذا مرت الأيام حتـــى دخــل إيليــا الغابــة التــى يعيــش فيــها جوجى. وواصل السير حتـــى وصـــل إلـــى المكـــان الـــذى يعيش فيه العفريت تمامـــا .

رأى جوجى إيليا من بعيد قادما ، وهو أمـــر لـــم يحــدث منذ سنوات عديدة فاسرع وســـحب عصـــاه الغليظـــة ، وبــدأ يستعد ويلعق شــفتيه . وذهــب للقـــاء إيليــا وهـــو يصيـــح ،

فيخرج الدخان من فمه ، وقد أصاب قواليلى الرعب من صراخه ، فسار الهوينا وكاد يركع على الأرض ، فغضب إيليا وضربه ، وأستأنف السير ، قصد جوججى إيليا مباشرة لقتله ، ولكن إيليا تذكر وعده بألا يستعمل السلاح . فانتزع غصن شجرة وأصلحه وثبته فى القوس بدلا من السهم ، وصوبه على قلب جوججى ، وأطلقه عليه وبدلا من أن يصيب صدره أصاب أذنه اليسرى ، ثم صوب على أذنه اليمنى ، فارتفع جوججى إلى أعلى ثم سقط على الأرض ، ثم قام وصرخ صرخة ، ثم وقع على الأرض ، كأنه فيل ضخم .

وفى الحال نزل إيليا وربط جوججى بزمام حصانه السميك ثم ساقه أمامه وقصد المكان الذى يقيم فيه هو وأولاده .

واصلا السير حتى عبر شلالا ووصلا إلى نهر فى وسط غابة تحيط بها الجبال . حيث توجد حدائق كثيرة ، ومهد وسطها بحجارة كالأسمنت ، وبنيت أعمدة من الحديد كالدعامات وبنيت عليها حجرة كبيرة .

عندما رأى أبناء جوججى إيليا قادما من بعيد ، غمرهم السرور وأخذوا يقفزون ويقولون " ألو ، ها بابا قادم ، جاء لنا باللحم ، اليوم سيكون عندنا وليمة " هذا يقول أنه

سيأكل الرأس ، وهذا يقول أنه سيأكل العين ، حينئذ قالت لهم مليلى التى تعد الطعام " أنتم أغبياء ، انظروا جيدا ، أبونا هو الذى وقع فى الشرك اليوم ، ليس هو الصياد . " ثم حدقوا بأعينهم جيدا ينتظرون وصول إيليا. قال جوججى لأولاده من بعيد بألا يلمسوا إيليا ومع ذلك اقتلعت مليلة إحدى الدعامات الحديدية وضربت إيليا على رأسه . فلم يلتفت إيليا . فرفعتها مرة أخرى وستضربه ، فغضب إيليا . ومد يده وجذبها ، ودفعها إلى أعلى فوقعت على الأرض فتكسرت .

قال جوججى " أى لقد قلت لكم ، ها هى العينة " وقال لأولاده أن يحضروا حقيبة كبيرة . بها مائة قطعة من الذهب ، وأخرى بها مائتان من الفضة وخمسين قطعة من اللؤلؤ ويقدمونها لإيليا ليطلق سراحه .

قال إيليا " دع جواهرك ، لا أريد منها شيئا ، مرادى أن أذهب بك إلى مدينة قب ، وترك أبناء جوججى يبكون.

ومرت الأيام وهما على هذا الحال يسيران فى الطريق حتى وصلا ذات يوم إلى مدينة قب . فلم يقصد إيليا أى مكان غير مسجد المدينة ، فربط حصانه وربط جوججى، وقال له ألا يفكر فى الهروب ، فقال من يستطيع أن يفكر

فى الفرار . وفى الحال ذهب إيليا إلى القصـــر ، وبعــث مــن يخبر ولديما أمير المدينة بأنه قدم من مدينـــة كـــاينغو متخـــذا الطريق الذى لا يسلكه أحد ، فتملكت الدهشـــة ولديمـــا ، فلـــم يصدق هذه الرسالة ، وطلب إحضــــار إيليـــا ، وســأله عـــن مدينته وأخباره ، فقص عليه كل ما حدث مـــن البدايـــة حتـــى النهاية ، ومع ذلك فلــــم يصـــدق ولديمــا تمامــا أنـــه ســلك الطريق المهجور وأخذ بعــض الحــاضرين يقولـــون لإيليـــا " أنت تكذب ، الطريق الذى عجـــز كبـــار الفرســـان والمشـــاه عن سلوكه ، تقول أنك سرت فيــــه وحـــدك " وهنـــا غضـــب إيليا وقال " قوموا واذهبوا إلـــى المســـجد الكبـــير وســأبرهن لكم على قولـــى " .

خرج الأمير والأمـــيرة وأهــل المدينـــة إلـــى المســـجد ، واقترب كل منهم من جوججـــى وهـــو مربـــوط ، ففعـــل مـــا يفعله الفأر عندما يـــرى القـــط ، واضطـــزب المكـــان كلـــه ، وهرب الناس إلى منازلـــــهم ، فلمـــا رأى إيليـــا ذلـــك زجـــر الناس فأصابهم مـــــن الرعـــب أكـــثر ممـــا أصابـــهم لرؤيـــة جوججى ، ولم يجدوا مفرا وأخـــذ الجميـــع يـــتراجع خوفـــا ، بعضهم سقط علـــى الأرض ، وبعضـــهم لجـــأ إلـــى الوديـــان حيث اعتصموا ، ولديما نفسه أصابه الرعـــب فقـــال لإيليـــا " صدقنا أنك سلكت هذا الطريق ، لأننـــــا رأينـــا الدليـــل علـــى ذلك . والآن ينبغى أن تذهب معنـــا إلـــى مـــنزلى لتســـتريح . وتأكل بعض الطعام ، وفى المســـاء يجتمـــع النـــاس ، ونـــأتى

مرة أخرى لنشاهد جوججى ، نريد أن نجعلــــه يصـــرخ كمـــا كان يفعل فى جموع الناس إذا لقيهم فـــى الطريــق " .

قال إيليا " وهو كذلك والآن هو يشـــعر بــالجوع ، يجــب إحضار الطعـــام لـــه والخمـــر ، ليمـــلأ بطنـــه ويســـتطيع أن يصيح صيحته " فأمر ولديما أن يحضـــر لـــه حوالـــى مـــائتي برميلا من الخمر وكميات كبيرة مـــن الـــثريد ، حتـــى أكــل وشبع .

وقبل المساء كان الخبر فى جميع أنحـــاء المدينـــة ، وأخــذ كل إنسان يمنى نفسه برؤيتـــه . وتزيـــن الأمـــير والأمـــيرة ، وخرجا فوجدا القصر قد امتـــلأ بجمـــع خفـــير مـــن النـــاس ، فسار أمام الناس قاصدا جوججـــى .

قال إيليا " يا جوججـــى الأمـــير ولديمـــا يريـــد أن يســـمع الصرخة التى تطلقها للناس عندما تلقاهم فـــى الطريــق "

فتح جوججى عينيه فرأى كثـــيرا مـــن النـــاس . فابتســـم ، ثم وضع فمه فى الأرض وضربها برجليه عـــــدة مـــرات ثـــم زأر ، زئيرا لم يفعله مـــــن قبـــل ، فـــأحس النـــاس بصـــوت يفـــوق صـــوت الرعـــد عشـــر مـــرات . وأن الأرض تكـــاد تنشق، وقد عجز الناس عن الـــــهروب مـــن شـــدة الخـــوف ، يعتقدون أنهم سيلقونه حيث ذهبوا . بعضــــــهم أغمـــى عليـــه ، والبعض الآخر وقع علـــى الأرض ينتظـــرون المـــوت . أمـــا

القريبون من الأمير والأميرة فقد داسوهم بالأقدام دون أن يعرفوهما من شدة الهلع . وهنا زجر إيليا جوججى ليسكت ونظرا لقوة إيليا فقد كانت زجرته أشد رعبا من زئير جوججى . أما من استطاع التحرك من الناس فقد تفرقوا تماما يظنون أنه سيقضى عليهم كما شعر جوججى بالرعب حتى عجز عن الفرار فركع أمام إيليا يعبر عن أسفه ويطلب المغفرة بوضع التراب على رأسه . ويقول " لقد قدمت إليك كل ما لدى من ثروة ، حتى لا تهلكنى " قال إيليا لجوججى " لا أريد أى شىء منك ، ولكن سأقتلك ، هذا جزاء ما فعلت فى الناس سنوات عديدة " .

لقد وفى إيليا بالوعد الذى أخذه على نفسه ، فمنذ أن حضر إلى مدينة قب لم يسفك قطرة من الدماء ، فذهب بجوججى خارج المدينة ، وانتزع سهما واحدا ووضعه فى القوس وصوبه نحو حنجرته ، فارتفع جوججى إلى أعلى ، ثم سقط ميتا . ثم عاد إيليا إلى القصر وأخبر الأمير .

فرح الناس جميعا . وليعبر الأمير عن سروره لإيليا ، جمع كل كبار المدينة وأثريائها ، وأقام حفلا عظيما . وبعد أن استراح إيليا عدة أيام ، ودع الأمير وأخبره أنه سيرحل .

إيليا يهيم على وجهه مرة أخرى :

أثناء التجول الذى كان يقوم بـــه إيليـــا ، ذهـــب ذات يـــوم إلى مدينة كبيرة ، واشتهرت بحب القتـــال ، وكـــانت تحكمـــها أميرة صغيرة تبلغ من العمـــر عشـــرين عامـــا ، غايـــة فـــى الجمال والشجاعة ، لم يمض وقـــت طويـــل حتـــى تزوجـــها إيليا ، وعاشا معـــا حوالـــى ثـــلاث أشـــهر يســـتمتعان بلـــذة الحياة، ونشـــوتها . وذات يـــوم كانـــا يجلســـان تذكـــر إيليـــا الحروب فجأة ، فتغير وجهه فـــى الحـــال . واســـتغرق فـــى التفكير. قال للأميرة أريد أن أهيـــم علـــى وجـــهى فـــى هـــذه الدنيا ، لأرى عجائبـــها ، لقـــد مضـــت فـــترة طويلـــة علـــى إقامتى هنا " فغضبـــت الأمـــيرة ، وأخـــذت تقنعـــه بالبقـــاء ، ولكنه رفض ، حتى عرضت عليه ملكـــها . ولكنـــه رفـــض . فانفجرت فى البكاء وعانقته ، وأخذت تتوســـل إليـــه .

قال إيليا " عليك أن تكفى عـــن البكـــاء ، لأننـــى لابـــد أن أرحل ، وأسالى الله أن يكتب لنـــا اللقـــاء مـــرة أخـــرى ، وإذا لم نلتقى فى الحيـــاة الدنيـــا ، أســـأل الله ان يجمعنـــا فـــى دار الســـلام "

ولما أقبل الصباح وضع إيليا السرج على ظهر قوليلى، وركبه وخرج وليس معه إلا السهم والسيف والعصا الغليظة المعلقة . وأستأنف سيرته فى الحياة الدنيا، خائضا الكثير من الحروب ، حينما يسمع عن فوضى أو اضطراب يسارع ويذهب إلى ميدان القتال ويحارب المعتدى ، حتى يستتب الأمن فيستأنف مسيرته .

بعد أن ترك إيليا الأميرة بدأت تشعر بالحمل ، وبعد عدة أشهر وضعت مولودا وأطلقت عليه فللو . ومرت الأيام وكبر الأبن . وكان يشبه أباه تماما فى الشكل والخلق ، لم يترك من أبيه شيئا ، حتى بلغ مبلغ الرجال وصار لا مثيل له فى الشجاعة فى كل أنحاء الريف ..

وذات يوم سأل والدته عن أبيه من هو ، وأين يعيش . فقالت أنه مات قبل أن يولد .

ومنذ هذا اليوم قرر فللو أن يهيم على وجهه فى الدنيا، ويحارب المعتدين حتى يموت كأبيه . فحزنت والدته لقراره ، وحاولت إقناعه بالعدول عنه ، ولكنه صمم على أن يرث أباه .

فلما أحست أنها لا تستطيع منعه قالت له " إذا ذهبت إلى ميادين القتال والتقيت برجل يسمى إيليا الإبن القوى فسأله المغفرة وامض لشأنك . فلا تنازله، فلن ينتصر

عليك إلا هو " فلما سمع ذلك سكت طويلا ثم قال وهو كذلك ، وودعها وذهب إلى شأنه .

كان فللو يعرف أن والدته أميرة ، فلابد أن أباه أميرا . لذلك خشيت أمه أن تخبره أن أباه ليس أميرا ، وأنه مجرد محارب شجاع من أفراد الشعب ، فيغضب ويقتل نفسه . هام على وجهه ، وأخذ يحارب حيثما ذهب ، وكان ينتصر فى كل معركة ، حتى ذاع صيته جدا فى كل أنحاء مدينة قب ، وكانيغو فأخذوا يتفاخرون به ويرهبونه رهبة شديدة . أخذ يحارب المفسدين فى كل مكان ، دون أن يستطيع أحد التغلب عليه .

بينما كان إيليا يخوض هذه المعارك المتواصلة ، ويدحر الظالمين الذين يؤذون الناس بلا جريرة . لأنه لا يظلم ولا يحب الظالمين لذلك لم يكن له أعداء إلا الظالمين . وذات يوم كان يجلس مساء يتنسم الهواء خطرت مدينة قب فى ذاكرته ، وتذكر ولديما أمير قب ، وما كان يعانيه عدوان جوججى قاطع الطريق . فقال لنفسه لقد طال فراقى لهذه البلاد ، يجب أن أذهب لارى أحوالهم وما هم عليه " ولما طلع النهار لبس لباس الحرب وأخذ سيفه ورمحه وعصاه الغليظة ووضع اللجام فى فم قوليلى وتوجه إلى مدينة قب .

عشاء الأمير ولديما :

فى اليوم الذى وصل فيه إيليا إلى المدينـــة ، وجــد الأمـــير قد أعد وليمة عشاء وجمـــع أمـــراء المدينـــة ، وأولاد الأمـــير والعلماء ، والأثرياء والشجعان الذين قـــاموا ببطـــولات غـــير عادية . أعد لكل هـــؤلاء المكـــان المناســـب لرتبتـــه ، وقـــد ارتدى كل منهم أفخـــر الثيـــاب والحلـــى ، وجلـــس الأمـــير والأميرة على كرســـى فـــى ناحيـــة واحـــدة . وأخـــذ الخـــدم يوزعون الطعام ألوانـــا .

عندما وصل إيليا لم ينتظر السماح لـــه بـــالدخول ، فدخـــل الحجرة التى أعد بها الطعام ، ولـــم يتوقـــف فـــى أى مكـــان حتى وصل مكان الامير ، وحنى رأسه ، ثـــم جلـــس بـــالقرب منه ، لم يعرفه ولديما ، فنظـــر إليـــه غاضبـــا وقـــال " لقـــد سررت بقدومك هذا الحفـــل الـــذى أعددتـــه لكبـــار القـــوم ، والشجعان والأثرياء وســـآمر بمـــن يعـــد لـــك الطعـــام فـــى الطرف الآخر . ستأكل وتشرب مجانـــا ، بـــالرغم مـــن أنـــك لست ممن أعددت لهم هذا الحفل . ولكـــن مـــن أيـــن جئـــت ؟ ومن أى مدينة أنت ؟ ومن أية ناحية ، ومن أبنـــاء مـــن ؟

عندما سمع إيليا ذلك غضب ، وقـد تـأكد أنـه لا توجـد شجاعة مثله فى هـذا الجمـع كلـه . ولا ينبغـى أن ينسـاه الأمير . حتى يأمر أن يعد لمثله مكانـا فـى طـرف الحفـل ويأكل مجانا . ثم قال " يا ولديمـا أنـا مـن يـأكل طعـامك مجانا ، أنا من يقال لـه هكـذا وسـط النسـاء " فلمـا سـمع الشجعان أنه يشبههم بالنسـاء ، نظـروا إلـى إيليـا جميعـا بغضب ، وتقدم أحدهـم وقـال " أنـت تقـول للأمـير هـذا الكلام؟ أنت كذاب ، أيـن تـرى النسـاء هنـا ، إلا إذا كنـت مجنونا " واشـتد غضـب الأمـير واسـتدعى سـتة رجـال شجعان وطلب منهم أن يخرجوا إيليـا . فلمـا اقـتربوا منـه دفعهم فسقطوا صرعا جميعا . فأمر بعشـرة رجـال شـجعان آخرين بالقبض عليه ، وفـى الحـال قضـى عليـهم ولحقـوا بإخوانـهم .

واضطرب المكان ، وارتفع الغبـار إلـى السـماء وأخـذ كل من الحاضرين يغمـض عينيـه ، مـات بعضـهم تحـت الأقدام والبعض الآخر ولى الأدبار . وخـرج إيليـا لشـأنه ، وركب حصانه وذهب إلى سوق المدينـة ، واشـترى بعـض الطعام ، وجمع أهل المدينة ، وأمرهم بمـلأ بطونـهم . قـال بعضهم أنهم يخشون أن يسمع الأمـير خـبرهم فيبعـث مـن يقبض عليهم ، وقال لهم إيليا " كلوا ولا تخشـوا شـيئا ، غـدا فى مثل هذا الوقت سأكون أمـير مدينتـه قـب ، وسـأوليكم السلطة " فأكلوا الطعام خوفـا منـه ، وبعـد فـترة ، وجـدوا

اهتماما ، وتبادلوا الطعام . أما إيليا فلــم يــأكل مــن الطعــام ولكن ذهب إلى أحد المنازل التـــى تصنــع الطعــام وأنــواع الشراب وتبيعه غاليا وتناول طعامـــه.

هذا الأمر ضايق ولديما . فجثــث النــاس مــازالت ملقــاة فى منزله ولم يأكل شيئا ، ويكـــاد الجــوع يلتــهم أحشــاءه ، بعد أن قتل كل خدمه . تمايل ولديمـــا وســأل بعــض النــاس هل تعرفون الرجل الذى أحدث كل هذه الخســائر؟قــال أحــد الرجال " نصرك الله يا سيدي ، إنه ايليــا ، الــذي جــاء هنــا قبل ذلك وقتل جوججي هذا العفريت العـــاتي " فقــال الامــير " ويحكم أهكذا الأمر ، لقد شــعرت أن هــذا الأمــر لا يفعلــه إلا هو " ثم سأل هل يســـتطيع أحــد منكــم أن يذهــب إليــه ليســترضيه ويــأتي بــه فســكت كــل الجالســـين فـــى القصريخشون على أنفسهم وأخيرا قال أحدهـــم أنـــه ســيذهب إليه.

فلما اقترب من إيليا ، تسلل من خلفة حتـــى اقــترب منـــه، فقال " تعالى الأمير يطلبك " ثم أسرع جاريـــا صمــت إيليـــا ، وانتظر أن يرى رسول الأمير ليأتى ويبلغـــه الرســالة ولكنــه لم ير أحدا . فالتفت فلم ير أحدا ، فقال فلم يـــر أحــدا ، فقــال " هذا ما توقعته ، أى جبان . ومهما كان اســمه ، لــو انتظــر لصار خبرا بعد عيـــن "

بعث إيليا إلى ولديما أنه قـــادم ، ولكنــه طلـب أن يعلــن فى المدن والقرى أن يجتمـــع الجميـــع عنــد بــاب قصـــره ، فيسقيم للجميع حفل العشاء . وأخبر كـــل صنـــاع الطعـــام أن يصنعوا طعاما شهيا وغال الثمن ، وسيشـــتريه كلــه ويقدمــه للناس . أخبر الأمير بذلـــك وفـــى الحـــال ، أمـــر بـــالإعلان وهو فى حالة من الرعب والخـــوف ، وأعلــن الجميـــع بمـــا ينويه إيليا ، كل باعة الأطعمة تقدموا بما صنعـــوا حتـــى مـــن لم يسبق له صناعة الطعام . وجاء النــــاس مــن كــل مكـــان حتى من لم يسبق له زيارة المدينـــة ، وامتـــلأ فنـــاء القصـــر تماما . وأخذ إيليا يجلس كل إنسان فى مكانـــــه، قسـم النـــاس جماعات جماعات . وأجلـــس الأمـــير فـــى طـــرف المجلـــس كأحد المتسولين ثم بدأ يـــوزع العشـــاء . ولمـــا انتـــهى قـــال للأمير " الآن شفى غليلـــي " .

قبل أن ينصرف الناس ، قـــام الأمـــير ، وأمـــر أن يعلـــن على الناس أنه سعد بهذا الحفل الـــذى أقامــه إيليـــا ، ويريـــد أن تجتمعوا غدا مرة أخرى فسيقيم حفلا بمناســـبة قـــدوم هـــذا الضيـف .

وفى اليوم التالى كان الجمع أكـــثر مـــن الأمـــس . وأمـــر الأمير أن يعد طعام لم يسبق إعداده مـــن قبـــل ، وأعـــد لكـــل جماعة مكانا مختلفا ، وجلس الأمـــير والأمـــيرة وإيليـــا فـــى هذا اليوم فى مكان واحـــد ، ولمـــا رأى إيليـــا الخمـــر لعبـــت

برؤوس كل الحاضرين ، قام وتسلل خارجا ، ولم يعرف أحد وجهته ، حتى لا يدرك أحد وأرتدى ثيابا عربية كثياب الحجاج ، وقصد قرية بالقرب من مدينة قب ، وعندما أفاق الأمير من سكره ، تلفت حوله فلم يجد إيليا ، فأمر أن يبحث عنه فى كل مكان ، فاقتفوا أثره حتى وصلوا إلى هذه القرية الصغيرة ، ولكنهم لم يجدوا إلا أحد الحجاج ، فعادوا وأخبروا الأمير ، فتحير الأمير تماما وظن أن إيليا مازال غاضبا .

لم يتوقف إيليا فى أى مكان إلا فى منزل يباع فيه نوع من الخمور لا يستطيع شراءه إلا الأمراء ، وأخبر بائع الخمر أنه يرغب فى الشراء ، فنظر إليه بائع الخمر فوجده رجلا عجوزا لا يبدو أنه يملك مليما واحدا فنهره ، قائلا " أيها العجوز اذهب لشأنك بالتى هى أحسن ، لا أبيع الخمر لمثلك ، بلغت من العمر عتيا ، ألا تعرف ذلك؟ أنفك غير نظيف ملابسك رثة ، وتقول أنك تريد شراء الخمر ؟ أذهب لن أبيع لك " فأخذ إيليا يكرر له الرجاء ، ولكن لم يبع له ، فوقع إيليا وأغمض عينيه كمن فقد الوعى ، فقال الناس لبائع الخمر " إذا لم تعطه سيموت ، وتدخل نفسك فى مشكلة " فأتى ببعض الخمر وصبه فى فم إيليا ، وفى الحال أفاق . وصبوا له مرة ثانية وثالثة حتى شبع وانتفخ تماما . فدخل الحانوت ونام

واستغرق فى النوم ، وعندما انتصف الليل وأيقظه صاحب الحانوت فرفض القيام ، فأغلقوا الحانوت عليه .

وفى الصباح استيقظ إيليا ، ودفع باب الحانوت بقدمه ففتحه ، وكان يوجد فى الحانوت بعض براميل الخمر الكبيرة التى لا يستطيع حملها عشرات الرجال الأقوياء أو السير بها .

أخذ إيليا ثلاثة منها ووضع اثنين تحت أبطيه وأخذ يدحرج الثالث على الأرض برجله ، ويسير قائلا " كل من أراد أن يشرب خمرا فليأت هنا ، حتى من لا يشرب فليقبل على " فلما سمع أصحاب الحانوت لحقوا به وحاولوا انتزاع براميل الخمر منه فلم يستطيعوا ، فذهبوا إلى القاضى وتقدموا بشكوى إليه . وبعث القاضى إلى إيليا يرجوه الحضور . ولما وصلت هذه الأخبار إلى ولديما تأكد أنه لا يفعل هذا الأمر إلا إيليا ، لذلك قال عند قدومه " مرحبا يا إيليا ، عدت إلى طبيعتك الطيبة " فانفجر إيليا ضاحكا ، وعاد إلى خلقه الحقيقي الذي عرفه الناس ، ودفع لأصحاب الحانوت ثمن الخمر ، وأعطاهم ما تبقى منها .

تفرق كل رجال الحاشية ، بعد أن أقبل الليل ، وانتهى السمر ، وبقى ولديما وإيليا وحدهما ، قال ولديما " أريد

أن تساعدنا وأن تخلصنا ممن يسمى فللو وهو أحد المغيرين الأشرار الأقوياء ، فهو لا يدخل مكانا فى هذه المدينة إلا وسلبه ، يسلب الناس أموالهم ويضربهم ، ضايقنا جميعا ، وليس عندنا من يتصدى له . إلا أنت وحدك .

ابتسم إيليا وغير مكانه ، وشد شاربيه ، فقد جاء اليوم الذي ينتظره ، فقال للأمير " نصرك الله ، لا مانع ، أسأل الله التوفيق ، أريد أن تختار لى ستة من الرجال الشجعان الذين تفخر بهم لنذهب معا "

. لم يكن إيليا يحتاج إلى هؤلاء الستة ، ولكن ليختبر شجاعتهم فقط ، فأمر ولديما ستة من رجاله الشجعان بأن يستعدوا للذهاب مع إيليا .

عندما حان الحين ، واستعد هؤلاء الشجعان . ذهب إيليا أمامهم ، وهم يتبعونه ، وقصدوا الطريق الذي تعود فللو أن يسلكه .

إيليا يلتقى بفللو :

وقرب ظهور الصباح أحسوا بفللو قادمـــا . يقطـــع أشـــجار الغابة كالفيل الضخم ، خرج مختالا كشـــأنه ، لأنـــه يعلـــم أن أحدا لا يستطيع منازلته ، جاء ومـــر بـــالقرب مـــن المكـــان الذي يختبيء فيه إيليا مع رفاقـــه ، حيـــث لا يراهـــم ، قـــال إيليا لهؤلاء الشجعان " من يستطيع اتباعـــه ليعـــرف وجهتـــه ؟ وإذا وجد الفرصة سانحة تحـــرش بـــه ؟ فســـكتوا جميعـــا ، ولم يجد من يقول أنه سيتبعه . وأخذ كـــل منـــهم ينظـــر إلـــى الآخر ، نظر إيليـــا لكبـــيرهم وأمـــره باتباعـــه فلـــم يســـتطع المعارضة ، قام وأوثق أحزمـــة ســـرج الحصـــان ، وركـــب واتبع فللو . وقلبه يرتجف خوفا ، وســـار وهـــو يفكـــر فيمـــا سيفعل مع فللو وهو يعرف تمامـــا أن مـــن يلتقـــى بـــه مـــن رفاقه الشجعان لابد هالك . واصل السير حتـــى لاح لـــه فللـــو من بعيد . نظر إلـــى فللـــو فوجـــده يفحـــص ثيابـــه وأدوات القتال ، ثم نظر إلى حصانه ، وضحك وألقـــى بـــالرمح إلـــى أعلى ، والتقطه وهو يفخر ويقول " اليوم لـــو التقيـــت بإيليـــا لانتصرت عليه ، اليوم كيف التقـــى إيليـــا "

عندما سمع هذا الشجاع فللو يذكر اسـم إيليا تذكر أنه أيضا شجاع وفى الحال خفق قلبه ، وقال من بعيد " فللو كذاب ، سيقضى عليك إيليا إذا التقى بك "

التفت فللو فوقع نظره على المتكلم فصرخ صرخة مرعبة كانت كالرعد على مسمعه ، فأخذ الدخان يتصاعد من فمه وكأنه عاصفة مصحوبة ببريق ، وكان بالقرب منه نهر ففاضت مياهه ، وقصد فللو رسول إيليا ، فلما أدرك ذلك ولى الأدبار عائدا إلى إيليا ، ولشدة العدو تعثرت رجل الحصان فكبا ، فقام وجسده يرتجف خوفا وركب الحصان وواصل العدو حتى وصل إلى إيليا ، وهو يلهث وكأن روحه ستفارق جسده ، وبعد أن أفاق قليلا ، قص على إيليا ما حدث.

سمع إيليا كل ذلك وهو جالس فلما انتهى القاص تبسم ثم اضجع وأخذ يلعب فى قدمه ، ونظر إلى هؤلاء الشجعان فرأى الحيرة بادية على وجوههم ، وكأن عيونهم ستفارق محاجرها " الله أكبر ، لقد هاجمنا الشيب ولا وريث لنا "

ثم هب قائما وقصد حصانه قوليلى ، ومسح على ظهره وأخذ يمدحه قائلا " قوليلى حصان إيليا ، وهنا أخذ السرج ووضعه على ظهره وربطه جيدا وأخذ عصاه

الغليظة ، وعلــق سـيفه ورجـاجى وأخـذ الرمـح والغمـد والقوس ، واندفع قاصدا فللـــو .

عندما اقترب منه ، بدأ إيليا يستفزه قـــائلا " إيـها المـارد الفاسد ، اللص ، لماذا تدخـل مدينتنـا بـدون إذننـا " فتملـك الغضب فللو وامتلأ غيظا ، ودفـع حصانــه وسـيضربه بيـد من حديد ، وتقابلا ثم تراجعـا إلــى الــوراء ، وسـحب كـل منهما عصاه ، وأخذا يضربان بعضـهما ، ووقـف الشـجعان يستمعون إلى أصـــوات الضـرب وكأنــها ديناميت يفجـر الصخور ، وامتــلأت الغابــة بــالأصوات المرتفعـة وزئـير الرجال ، وقطعت كل الأشـجار المحيطـة بمكـان المعركـة واستمرت المعركة حتى تكسـرت كـل عصيـهم الغليظـة ، ولم يجرح منهما أحد ، ثم اسـتلا السـيوف وارتفـع صليـل السـيوف ، وإذا التقـت السـيوف تـرى ألسـنة النـار قـد تصاعدت ولمعت فى السماء كـالبرق ، وبعـد وقـت قصـير تثلمت كل السيوف ، فخطـف كـل منـهما الرمـح وتبـادلا الطعنات حتى تكسرت الرمـاح . وهنـا توقفـا عـن القتـال وأخذ كل منهما ينظر إلى الآخر كمـا تفعـل الديكـة . فلمـا استراحا ، أستأنفا القتال بالأيدى ، وظلا يقتتــلان حتـى أقبـل الليل وطلع النهار وظهرت الشـمس ولـم يتوقفـا ، وقضيـا النهار فى المصارعة والملاكمــة ، حتـى أقبـل الليـل ولـم يتوقفا ، واستمرا هكذا لمدة ثلاثـة أيـام .

وهنا تذكر فللو أنه فـــى شـــرخ الشـــباب ، فأمســـك إيليـــا ورفعه إلى أعلـــى وألقـــاه علـــى الأرض وداســـه بقدميـــه ، وأمسك فأسا قصيرا ، ليضربه فى صـــدره ، فتمـــايل وتفـــادى الضربة فشقت الأرض نصفين ، فهب إيليا وأمســـك يـــد فللـــو بقوة ، ونظر إليه ثـــم ضحـــك وقـــال " أنـــت صبـــى تتـــازل الكبار ، ليس الذئب كـــالكلب ، والأمـــر المكتـــوب لا مغـــير له، أيها الشاب من أيـــن جئـــت ، ومـــن أى مدينـــة ، ومـــن أبـــوك ؟ ! "

قال فللو " الولد يمسك فى أطراف ثوب أمـــه، ومـــا شـــانك ببلدتنا أو والدى !! " فغضب إيليـــا وكـــأن هـــذا الكـــلام نـــار تأكل جسده ، فأمسك فللو ورفعـــه إلـــى أعلـــى وألقـــاه علـــى الأرض، ثم وطئه بقدميـــه ، تصـــور رجـــل قـــوى يضـــرب والدا ، وقال له " أن من يكلمك أيـــها الغـــلام رجـــل كبـــير ، أجبنى عما سألتك عنـــه ، وأرح نفســـه " فرفـــع فللـــو رأســـه ونظر إلى إيليا وقال " إذا كنت ضخمـــا كـــالفيل فـــإننى أســـد، لا ينبغى أن يكون كلام الرجل متناقضا ، مـــا قلتـــه لـــك فـــى البداية ، لا مغير لـــه "

فاشتد غضب إيليا ، وأمسك برأس فللو وهـــم بكســـره بيـــد من حديد كما يكسر البصل آكلـــه ، عنـــد ذلـــك شـــعر فللـــو بالموت المحقـــق فقـــال " انتظـــر ، لا تقتلنـــى ، ســـأخبرك " فترك إيليا رأسه ، وبدأ يتكلم فللـــو بصـــوت مرتعـــش " أمـــى

أميرة ، ولكن أبى رجل محارب مشهور ، مات ، فلما كبرت قلت لابد أن أموت في ميدان القتال مثله . وعندما غادرت المنزل دعت لى أمى ، وأوصتنى قائلة إذا التقيت برجل يسمى إيليا الأبن القوى ، أسأله المغفرة وامضى لشأنك ولا تقاتله ، لأنه هو وحده الذى يستطيع القضاء عليك فى هذه الدنيا ، هو كل ما أستطيع أن أذكره لك من أخبارى " عندما سمع إيليا تصبب جسمه عرقا ، وأدرك أن فللو هذا هو ابنه ، فأوقفه وعانقه وأخذ يبكى ، وقبله قائلا " أبنى ، أسأل الله أن يصبرنا جميعا ، ما حدث هذا بسبب الجهل ، لقد غفرت لك فى الدنيا والآخرة ، وسعدت جدا بوجود من يرثنى " ثم ذكر له ما حدث حتى تزوج هذه الأميرة ، والحالة التى تركها عليها . وهام على وجهه فى الحياة ، وأخبرها إن شاء الله سألتقى بها فى يوم ما " قام فللو ونفض الغبار وركع وودع أباه ، وركب حصانه واستأنف السير .

لقد حدث ما كانت تخشاه الأميرة ، فقد كانت لا تريد أن يعرف فللو أن أباه هو إيليا ، وليس أميرا ، والآن قد عرف كل شىء . عندما وصل إلى المنزل ،لم يتوقف فى أى مكان ، ونادى بكل ما أوتى به من قوة فى صوته " أيتها العجوز العابثة المنافقة ، من ولدتنى بعد أن تزوجت رجلا فقيرا من عامة الشعب ، وليس من الأمراء ، اخرجى لقد انكشف سرك اليوم " فخرجت وهى ترتجف

باكية ، وركعت أمامه وقالت " هــاأنا ذا "" لـــم ينتظـــر فللــو طويلا . وأخذ السيف وقطع عنقـــها .

كل هذا الأمر لم يخفف مـــن حـــدة غضـــب فللـــو ، ولـــم يجعل للشفقة سبيلا إلـــى قلبـــه ، فـــالتفت وقـــال " يجـــب أن أعود لإيليا واقتله أنه هو الآخـــر منـــافق " ثـــم أمســـك لجـــام الحصان وأداره واتخذ ســـبيله وواصـــل الســـير عـــدة أيـــام ، حتى وصل إلى المدينة التى يعيـــش فيـــها إيليـــا فوجـــد إيليـــا مستغرقا فى نومـــه ، فدخـــل عليـــه ، ونظـــر إلـــى صـــدره وطعنه بالفأس ، عندما طعـــن فللـــو إيليـــا ، وجـــده يرتـــدى قميصا من الحديد على صدره ، فارتدت الفـــأس إلـــى أعلـــى وكأنها اصطدمت بصخر صلـــد .

استيقظ إيليا من النوم ، فوجد فللو واقفـــا ممســـكا بالفـــأس فقام وأمسك كتفه ، وهزه ثم دفعه إلى الحـــائط ، فمـــات فللـــو فى الحال ولم يتحرك ، وهكذا انتـــهت حياتـــه .

لم يكن أهل المدينة يعرفون أن فللو بـــن إيليـــا ، ففرحـــوا وازداد تقديرهم له بعـــد قتلـــه لـــه . وانتـــهت حيـــاة فللـــو ، واستمر إيليا فى حروبه مقاتلا الظالمين حيـــث كـــانوا .

إيليا واللصوص :

وذات يوم كان إيليا جالسا يتنسم الهواء في حديقة كبيرة على شاطئ النهر ، يراقب القوارب سابحة فوق الماء ، وأنواع الطيور تلتقط الحب ، تذكر الحرب فجأة . تذكر الأخطار التي خاضها والتي سيخوضها فقال " الله أكبر ، الشيخوخة كبرت وكبر حصاني أيضا ، ولكن قلبي مازال شابا " ثم هب قائما وقال " يجب أن أهيم على وجهي في الحياة لأعرف ما يجري فيها " .

عندما وصل إلى المنزل ، وضع السرج على ظهر قوليلي ، واستعد وأخذ طريقه وواصل السير منذ بدأ يرى مظاهر الريف حتى صار لا يرى شيئا إلا الغابة وواصل السير حتى وصل إلى مكان فيه ثلاث سبل تلتقي هذه الطرق الثلاثة تماما ، كتب فوق حجر عريض " من يتبع الطريق الأيمن يجد الثروة الكافية ، ومن يتبع الطريق الأيسر سيجد نساء لا مثيل لهن ومن يتبع الطريق الأوسط سيلقى حتفه "

وقف إيليا يقرأ ، ثم أطرق مفكرا ، ثم قال " لقد بلغ بي الكبر عتيا ، ماذا سأفعل بالثروة ؟ وماذا سأفعل بالنساء ؟

فلأتبع الطريق الذى سألقى فيه حتفى ، لأرى لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا "

جذب إيليا لجام قواليلى ، واتخذ الطريق الأوسط وسار فيه ، حتى دخل غابة مظلمة متشعبة المسالك . وفجأة التقى بجماعة من اللصوص بلغ عددهم أربعة آلاف رجل، يتزعمهم رجل واحد ، كل منهم مسلح بمختلف أنواع السلاح ، ينتظرون من يدخل عليهم فيكون ضيف الآخرة ، وفجأة رأوا إيليا بالقرب منهم ، فتعجبوا لأنهم يعلمون أنه لايوجد مخلوق يستطيع دخول هذه الغابة . فنهروه قائلين " أنت أيها الفارس انتظر " فوقف إيليا حتى وصلوا إليه . فرأوا حصانا لا مثيل له فى المنطقة . فقالوا " إلى أين ذاهب ؟ " وماذا جاء بك إلى هذا المكان ؟ قال إيليا " لقد سلكت الطريق لأذهب إلى شأنى ، لم أعرف بانني سألتقى بكم " فقال كبيرهم " ألا ترونه ينظر إلينا نظرة ازدراء ؟ ربما هو ممن يحتقروننا ؟

سخر منهم إيليا بأسلوب ملتو فطأطأ رأسه قائلا " ويحكم أيها الشباب كيف يحتقركم رجل عجوز فى مثل سنى ، وليس معى من الزاد إلا مائة جنيه ، وهذا الزناد الذهبى الذى ترونه ، كل ثمنه لا يتجاوز ثلاثة آلاف جنيه، وحذائي وقلنسوتي لا يتجاوز عشرة جنيهات ، وهذان الركابان اللذان ترونها فضة قديمة . وسرجى مع

أنه من الحديد لن يزيد ثمنه عن مائتي جنيه . وهذا الحجر الذى ترونه فوق حصاني أنتم تعرفون قيمته ، لا فائدة منه إلا ليساعد الحصان على الرؤية فى الليل . وهذا الحصان أيضا لا فائدة منه إن لم يكن ملكى ، فماذا يجعلكم تقطعون الطريق على ؟ ليس معى أى شى ، أتوسل إليكم أن تتركونى لأذهب به لشأنى "

قال اللصوص لإيليا " منذ أن بدأنا نقطع الطريق على الناس لم نجد أغنياء أو مجانين مثلك " وأمرهم كبيرهم بالقبض على إيليا . لقد كانوا يقفون بالقرب من شجرة ضخمة ، لا مثيل لها فى المكان كله . فلما رأى هؤلاء الرجال هموا بالهجوم والقبض عليه ، أسرع وسحب سهما ونظر إلى الشجرة الضخمة وأطلق السهم عليها . فهوت الشجرة مكسرة ، كأن عاصفة هبطت عليها . وقد جعل الهواء الذى أحدث سقوط الشجرة وصوت سقوطها اللصوص يسقطون على الأرض فاقدى الوعى . وعندما أفاقوا قال كبيرهم لإيليا " لقد رضينا بك زعيما لنا ؛ ونرجو أن تبقى هنا ، وتصير قائدنا ولدينا ثروة من الذهب والفضة واللؤلؤ والجواهر وأنواع مختلفة من الثياب والحيوانات . فإذا اجتمعنا جميعا ومكثنا عشر سنوات نعد الذهب الذى لدينا لن نستطيع عده موافقون على أن تأخذ منه ما تحتاج على أن تكون زعيمنا . "

ضحك إيليا وأنشد أنشودة النصر التى ينشدها المحاربون ، ثم قال " يا أخواني ، لا أريد أن أتعب نفسي بحراسة ثروتكم أو رعاية دوابكم أريد أن أهيم على وجهى فى هذه الدنيا لأحارب ، الثروة والدواب يحرسها التجار والرعاة ، أشكركم ، وإلى لقاء آخر . " ثم ودعهم وجذب مقود الحصان وعاد من حيث أتى . حتى وصل إلى مكان الصخرة عند مفترق الطرق . وعلى الجانب الذى كتب عليه " من سلك الطريق الأوسط سيلقي حتفه " وكتب أنا إيليا الأبن القوى ، سلكت هذا الطريق الأوسط ، ولكن لم ألق حتفى ، ثم أدار حصانه واتبع الطريق الأيسر حيث كتب أن من سلكه سيلقى النساء ، وواصل السير ، بعد حوالى مسيرة يومين وإذا به يواجه فجأة منزلا عجيبا، أكبر من المنازل ولكن لم يصل إلى حجم المدينة كل بناء المنزل من الحديد الأبيض ، لذلك تراه يلمع كالمرآة . وصنع سقفه من الذهب ، ونوافذه من المرايا ، وصنع لكل منها ستارة مختلفة ، وتحيط بالمنزل أزهار مختلفة ، وبه حديقة مملوءة بأحواض من المرمر . لم يتوقف إيليا فى أى مكان ، وقصد منزل القصر مباشرة ، وقبل أن يصل التقى بأربعين فتاة تزينت كل منهن بحلى ذهبية . وارتدت أثوابا من الحرير الأبيض خرجن يستقبلنه ، وأحطن به مرحبات حتى ترجل ، وأخبرن الأميرة .

إيليا والأميرة :

بعد قليل خرجت الأميرة ، نظر إليها إيليا جيدا ، فأحس أنه منذ بدأ يتجول فى الدنيا لم ير أبدا فتاة فى جمالها . لم ير مثل الثياب التى ترتديها . وتتبعها فتاتان تصلحان لها ثيابها التى تجر على الأرض ، بلغ شعر رأسها إلى قدميها . عندما وصل إيليا عانقته وقبلته ، وأخذت يديه ودخلت به إلى المنزل ، كمن رأت صديقا لها فارقته منذ سنين .

وأخذت إيليا إلى حجرة الإستقبال ، وكانت مطلية بالذهب ، ووضعت شمعة فى كل ركن من أركانها ، وفرشت أرضها بأنواع مختلفة من السجاد ، وأنواع من الكراسى إذا جلست عليها غاصت بك من ليونتها ، وتوجد مائدة فى وسط الحجرة من الحديد الأبيض ،غطيت بقماش من الحرير ، ووضع عليها أنواع مختلفة من الطعام والشراب . وفى جانب منها مكان لغسل الأيدي مجهز بالصابون ومنشفة معلقةِ ، وجلس على كرسي ، والمائدة أمامهم ، وأخذا يأكلان ويشربان ما لذ وطاب مما لم ير إيليا مثله من قبل . وكانت تحييه وترحب به بصوت

عذب جذاب . حدث كل هذا وإيليا يراقبها . ويفكر فيما تضمر له من شر .

تأكد إيليا أن هذه المرأة ماكرة تتحايل لتقبله . جعلها هؤلاء اللصوص لإغراء الناس ، وبنوا لها هذا القصر العظيم ، وخصصوا لها هؤلاء الفتيات للقيام على خدمتها. وليرغمنها على البقاء . ولا يوجد في هذا القصر على سعته رجل واحد . اعد ليكون شركا لكل من يدخله من الأمراء أو التجار أو الشجعان ، وكل ما يحملونه من الثروات ومتاع يصير غنيمة الفتاة واللصوص .

وكان بالقصر حجرة زودت بأجهزة تهلك كل من يدخلها ، زينت بأفخر الزينات وفرشت بفرش ثمين . ووضع بها سرير من الحديد طلى بالذهب ، وفرشت السجاجيد والبطاطين في كل مكان بالحجرة . وأسندت الوسائد على الحائط في كل مكان . تتدلى زجاجات عطر الورد من سقف الحجرة والمصابيح الموقدة في كل ركن . وكان السرير على دعامة كبيرة من الحديد تدور به كل اتجاه . ويغطى هذه الدعامة ملايا السرير الغالية الثمنية حتى لا يكتشف سره أي إنسان .

كانت الحيلة المتبعة فى قتل الرجال كامنة في السرير، حيث يوجد بئر عميق أسفله كالحجرة الكبيرة وعمقه يصل ارتفاعه إلى ثمان عشرة قدما. وغطى فمه تماما بالفراش،

وقد أعد السرير بطريقة إذا رقد عليه أى إنسان انفصل السرير عن حائط الحجرة وانقلب فيسقط الراقد عليه في غيابة الجب ، ثم يعود السرير إلى وضعه الأول . وكان إيليا يدرك كل هذا .

بعد أن تناول إيليا الطعام وجلس يتحدث مع الأميرة تقص عليه أخبار الحياة ، وهو يقص عليها بعض الأخبار التى تقال فى مثل هذه المواقف . بدأ النوم يتلاعب برأسه عمدا ، كمن يشعر بالنوم . فقالت لإيليا يجب أن يذهب لينام لأنه يبدو عليه التعب ، قال إيليا " أريد أنا أنام فعلا " ودخلت حجرة الموت أمامه حيث البئر ، وتبعها ، قالت له " ها هو السرير نم لتستريح ، لقد تعبت " وهى على وشك الخروج قالت له " اليوم بارد جدا يجب أن تقترب من الحائط حيث موقد النار ، ستشعر بالدفء ، وتدلك جسدك لتستمتع بالنوم "

قال إيليا " لا أريد أن أستغرق فى النوم ، لأنى تعودت أن أخرج فى الليل لأطل على حصاني " وقبل أن تلتفت قام مسرعا ، وجذبها وألقى بها على السرير ، وضغط على الحائط حيث طلبت منه أن ينام ، وقبل أن تصرخ ، سقط السرير وقذفها ، فسقطت فى البئر . وفتح جانبا وعاد السرير إلى وضعه الطبيعي . ولما رأى ذلك ذهب إلى ناحية أخرى من الحجرة ، واستغرق فى نوم عميق .

عندما طلع النهار ، خرج إيليا ، واستدعى الفتيات طلق الوجه ، وقال " احضروا لي مفاتيح الحجرة السفلى " ومن شدة خوفهن وارتباكهن لم يترددن ، وأحضرن كل ما طلب . وطلب منهن أن يدلوه على المكان الذى تفتح منه ، فرأى الباب مصنوعا من دعامات حديدية كبيرة التى تسقف بها الحجرات . فغضب وألقى بالمفاتيح . ودفع الباب برجله ففتحه ودخل الحجرة ، فوجد كثيرا من الناس جالسين فى البئر دون فراش أو غطاء ، بعضهم يبكى ، وبعضهم يصلون على النبي ، أما الذين طال عهدهم بالأسر وتعودوا عليه فقد أخذوا ينشدون بعض الأناشيد . وبالقرب منهم جثث الذين فارقوا الحياة . بعضهم صار ترابا والبعض الآخر مازال لحما منتفخا ذو رائحة كريهة . نهرهم إيليا قائلا " اخرجوا ، وليذهب كل منكم لشأنه " وفى الحال أضطرب المكان وقاموا مذعورين ترتجف أجسادهم ، كل منهم يدفع بالآخر منطلقين نحو الباب كل من خرج منهم ورأى ضوء الشمس لم يلتفت وراءه ، ولم يقف مفكرا إلى أين المفر ، وسلك كل منهم الطريق الذي وجده أمامه ، ولم كبيرهم أطراف سرواله ، وولى هاربا دون أن يعرف وجهته ، ولم يستطع الشجعان فى هذا اليوم رفع أيديهم أو التفكير فى معدات القتال .

ووجد إيليا ثلاثة خيول كبيرة ، تقف في مربطها لا عمل لها ، فأمسك الأميرة وقيد يديها وربطها فى سلسلة وربطها فى أحد الخيول الثلاثة . وربط قدميها فى سلسلة أخرى ، وربطها فى حصان آخر ، ثم ضرب الحصانين فسارا فى وقت واحد ولكن فى اتجاهين مختلفين . وبعد أن أطلق الحصانين أدار وجهه حتى لا يرى ما ستلاقيه من عذاب الموت . ثم دخل المنزل وجمع ما به من ثروات ، وكل ما يستفاد به من أثاث ووزعه على كل الرجال الذين وقعوا فى مكيدتها وسقطوا فى هذا البئر . أما هو فلم يأخذ شيئا ولو بسيطا كما أطلق الفتيات اللائى يعملن فى القصر ، ثم أشعل فيه النار حتى يحترق . ثم ركب حصانه وعاد إلى الصخرة عند مفترق الطرق ، وكتب عليها " أنا إيليا الأبن القوى ، سلكت الأيسر ، ولكن لم أجد المرأة " وهنا وقف فترة طويلة ، ثم قال " لقد سلكت هذين الطريقين ، ولم أجد هذه الأشياء التى كتب عنها ، فلأتبع الطريق الأيمن وواصل السير ، حتى وجد غابة ، وبعد أن عبرها وصل إلى واد عميق . فلما اجتاز هذا الوادى وجد حوالى مائة حفرة عميقة مثل البئر، كلها مملوءة بالذهب والفضة والجواهر واللؤلؤ ، تلمع لمعانا يأخذ بالأبصار ، وعلى جانب منها كتب " هذه الثروة كلها لإيليا " فنزل فى هذه الآبار جميعا واحد بعد الآخر ، ليرى ما تجمع من ثروة فى كل منها وتملكته

الدهشة ، واحتار فيما يفعل بها . إذا اجتمع ألف رجل وظلوا يجمعون فيها لمدة ألف يوم ما استطاعوا جمع نصفها ، فوقف يفكر فيما يمكن أن يفعله ، فركب حصانه وعاد إلى مدينة قب وأخبر ولديما . وطلب منه أن يزوده بألف رجل لينقل هذه الثروة ، وفي الحال أعد له العدد المطلوب وعادوا إلى مكان الكنوز ، وظلوا يعملون ويغترفون منها ولم يتوقفوا ليلا أو نهارا لمدة ثلاثة أشهر ومع ذلك لم ينقلوا ربعها، فعاد إيليا مرة أخرى إلى ولديما وطلب ألفا آخرين ، وضمهم إلى السابقين ، وواصلوا العمل ، ولما قضوا خمسين يوما يعملون جميعا ، دون أن يصلوا إلى نهاية الكنوز ، جمعوا أقصى ما يستطيعون ، وحملوه إلى مدينة قب، وسلم إيليا كل هذه الثروة إلى ولديما ، وطلب منه أن يبني مسجدا ويوزع الباقي على المساكين ، أما هو فلا يحتاج شيئا منها .

عشاء ولديما الثالث :

أعد ولديما عشاء آخر يفوق كل ما أقامه من قبل ترحيبا بعودة إيليا ، والمساعدة التى قدمها إليه وإلى المساكين من سكان المدينة .

بعث الأمير لكل كبار المدينة والتجار والأمراء ليجتمعوا ، وأقام حفلا عظيما أخذ يوزع فيه الهدايا بنفسه . وقد بلغ من شدة سروره أنه ولى كل من أبناء الأمراء الذين حضروا الحفل إمارة إحدى المدن ، أو القرى . ووزع على التجار ثيابا عظيمة ووهب الشجعان خيولا ودروعا ، وأدوات القتال . ولما جاء دور إيليا علم الأمير أنه لن يستطيع أن يكافئه عما فعل ، فأحضر قميصا مثل البرنس صنع من جلد الأسد وقد زين بقطع من جلد النمر وقدمه إليه . وهذا دليل على أنه أشجع من كل الشجعان .

طأطأ إيليا رأسه معبرا عن شكره وسروره . وبعد قليل قام إيليا وقصد صناع الطعام ، ممسكا في يده الهدية التى قدمها إليه الأمير ورفعها إلى أعلى قائلا " كما أخذت هذا البرنس الذى قدمه إلى ولديما تعظيما ، سآخذ أكبر

أعدائه واقضي عليه وعلى كل ذريتـــه ، إن شـــاء الله حتـــى يصير تحت سلطان ولديمـــا "

وكان من بين طهات الطعام امـــرأة مـــاكرة ، ذهبـــت فـــى الحال إلى ولديما وقالت له " هذا الرجل الشــــجاع يقـــول فـــى المطعم لابد أن يقتلك ويقضي علـــى كـــل ذريتـــك " وكـــانت الخمر قد لعبت برأسه فى هذا الوقت ، حتـــى أخـــذ يـــترنح ، فأمر بعض الرجال الشجعان أن يذهبوا إلـــى إيليـــا ويقبضـــوا عليه ويضعوه فى السجن . وكان سجنهم عبـــارة عـــن حفـــرة كبيرة كالبئر يصـــل ارتفاعـــها ارتفـــاع الحجـــرة ، يوضـــع الإنسان فيها مغطى كسكان القبـــور .

نظر إيليا إلى هؤلاء الشجعان كمـــن رأى أبنـــاءه فركعـــوا جميعا في آن واحد، وقالوا أنـــهم يتوســـلون إليـــه ليســـاعدهم وينجيهم من غضبة الأمير ، وهناك يتركونـــه يذهـــب حيـــث يشاء . حتى يعودوا إلى ولديما ويخبروه أنهم فعلـــوا كـــل مـــا أمرهم به . ضحك إيليـــا وقـــال لـــهم " ويحكـــم يـــا أولادى ، أنـى أكبر من ذلك ، ولكن ســـأفعل مـــا تريـــدون مـــن أجـــل توسلاتكم " سار أمامهم وهـــم يتبعونـــه حتـــى المكـــان الـــذى أشار إليه الأمير ، ولكنـــهم عندمـــا قـــالوا لإيليـــا أن يذهـــب حيث يشاء ، أخبرهم بأنه لن يذهـــب إلـــى أى مكـــان وطلـــب منهم أن يحفروا له حفـــرة ويدفنـــوه كمـــا أمـــروا . حـــاولوا إقناعه بالعدول عن قوله ، ولكنه أصر علـــى أن يحفـــروا لـــه

حفرة ليدخل فيها ويدفنوه . فلما رأوا لا مفر من طاعته حفروا الحفرة ، فدخلها ووضعوا فوقها الأخشاب والتراب وغطوها تماما . وذهبوا إلى الأمير وأخبروه أنهم فعلوا كل ما أمرهم به ، فشكرهم ولديما ، وأحضر هدايا كثيرة وقدمها إليهم .

وبعد أن انصرفوا ، ذهبت زوجة ولديما وقالت لبعض خدمها ممن تثق في طاعتهن وعدم كشفهن لسرها . ودلتهن على مكان وطلبت منهن أن يحضرن فيه ويوسعنه حتى يستطيع الإنسان أن يدخل منه ، وبذلك يصل إلى الحفرة التى دفن فيها إيليا . وفى الحال بدأ الحفر وأتموه . فدخلت الأميرة إلى إيليا باكية ، فحيته ، فهدأها وطلب منها أن تكف عن البكاء فكل ما فعل الأمير لا يضيره شيئا ، وعرفها أنه لولا أنه رضى بذلك ، ما استطعت الدنيا كلها لو اجتمعت أن تضعه في هذا المكان ، وقال " جئت إلى هذا المكان لسببين ، الأول ، من أجل هؤلاء الناس الذين توسلوا إلى فقد أشفقت عليهم ، حتى لا يغضب عليهم الأمير ويأمر بقتلهم . والسبب الثاني تذكرت أنه منذ أن أراد الله أن التقى بولديما ، لم أفكر مطلقا ولو بيني وبين نفسي أن أضره . وأفكر فيما كان بيننا من أعمال طيبة بالرغم من ذلك يأمر بأن يفعل هذا بي هذه الأشياء هي التي دفعتني للصبر والمجيء لهذا المكان . "

قالت الأميرة " لا تيأس ، سأحضر لك الطعام والشراب كل يوم بنفسي ، وسيأتي اليوم الذي يطلبك فيه الأمير بنفسه ، وسيبكي بالدمع لتصفح عنه ، ولن يكون هذا اليوم بعيدا " وودعته وعادت إلى قصرها . ومنذ هذا اليوم أخذت تقدم له كل ليلة كل ما يشتهي من الطعام والشراب ، ما لم تقدم لولديما مثله . وحملت إليه سريرا وفراشا ، وكل وسائل المتعة .

ومرت الأيام وكان لولديما عدو لدود يفوقه مهارة فى فنون القتال ، ويحكم إحدى المدن المجاورة ، وبعد ثلاثة أشهر فقط من دفن إيليا بعث هذا الأمير إلى ولديما برسول يخبره أنه قادم إليه ، فيستعد للقائه بكل ما لديه من قوة ومحاربين فسيلتقي بهم حتى لو كانوا فى عدد نجوم السماء وحصى الأرض . حتى يأسر أولاده جميعا ويحرق المدن ، وغير ذلك من التهديد والوعيد .

دخل ولديما القصر ، واستدعى الأميرة وأخبرها بكل ما فى الأمر ، فلم تظهر له إن إيليا مازال حيا ، قالت " ما العمل " أرأيت لو كان إيليا حيا لهذا الأمر " وازدادت حيرة ولديما ، وأصبح لا يدرك أين يضع رأسه وأين يضع قدمه ، وعزف عن الطعام ، وفى المساء دخل حجرته وحاول النوم فتعذر النوم عليه من شدة التفكير ولما انتصف الليل قام وجلس ، وأخذ يبكي ، فلما سمعت

الأميرة دخلت إليه وقالت " مثلك لا يبكـــي ، يجـب أن تبعــث إلى حيث دفنت إيليا ، ربما مازال حيــا حتــى الآن ، فتعتــذر له فربما قبل عذرك وســـاعدك .

نظر إليها الأمير غاضبا وقال " أنت قومـــي تنحـي عنــي بعيدا ، هذا من غباء النساء ، هل سمعتي عــن رجـل يدفــن في حفرة ثلاثة أشهر لا يــأكل ولا يشــرب ، ولا يتنفــس ثــم تقولين أنى أجده حيـــا ؟ !

قالت لولديما " أنت تعلم أن إيليا ليس كغــيره مــن النـــاس، أبعث إليه وسترى " وأقنعتــــه بعــد مشــقة ، فقــام بنفســه ، وذهبا معا ، وحفر الحفرة وإذ بإيليا راقدا فـــى أتــم صحتــه . وقد زاد وزنه وكبر حجمه مـــن الراحـــة . وألـــوان الطعـــام المختلفة موضوعة أمامه . فـــزادت دهشـــة ولديمـــا ، وركـــع أمام إيليا يطلب منه المغفرة . وقص عليه كـــل مـــا حـــدث . ولما قدمت له الأميرة من خيرات غفر إيليـــا لـــه . وعـــادوا جميعا إلى القصـــر ، وعـــم الســـرور والفـــرح كـــل أنحـــاء المدينة بعد أن علم الجميع أن إيليـــا عـــاد .

جمع الأمير عددا كبيرا مـــن النـــاس ، وأعـــد عشـــاء لـــم يسبق لـــه مثيـــل وأقيمـــت الأفـــراح ، ولمـــا قـــاربت علـــى الانتهاء، قام الأمير وتقدم بالشكر إلى إيليا علـــى مســـمع مـــن الناس ، وقص عليهم كيف حدثـــت الوشـــاية التـــى أدت إلـــى

دفن إيليا ، فتقدم الناس جميعا محيين إيليا ، وبعــــد قليــل قـــام بدوره وشكرهم جميعا ، ثـــم أخــذ علـــى نفســـه عـــهدا بـــأن يحارب فى صفوف ولديما ورجاله ، فعـــــاد كــل الحـــاضرين إلى منازلهم وقد ملأت الفرحـــة قلوبــــهم .

وبعد ذلك فى منتصف الليل . سمع إيليا مـــن يقـــرع بـــاب حجرته فلما خرج ونظر وجــــد حصانـــه قواليلـــى ، فـــانحنى عليه إيليا وأخــذ يمســـح علـــى ظـــهره وهـــو يبكـــي فرحـــا والحصان يبكي معه ثم أخذه وربطـــــه .

حرب إيليا الأخيرة :

وبعد أن خلت الطرق من السائرين ، ودخـــل كـل إنســان منزله ، ذهب ولديما إلى إيليا ، وطلـــب منــه المغفـرة مــرة أخرى ، وأخبره بكل ما قاله له عدوه الجبـــار قبــل أن يــأتى بجيوشه ويحيط بالمدينة بأيام قلائل . وهنا تــاقت نفــس إيليــا إلى الحرب ، فقال ولديما أنــه يريــد أن يجمــع لــه عشــرة شجعان غدا ، ولما طلع النــهار بعــث بعشــرة رجــال إلــى إيليا . ولشدة حماس إيليا لم ينتظر اليــوم الــذي ســيأتي فيــه العدو ، فخـــرج مـــع الرجــال العشــرة وعســكروا خــارج المدينة ، وفى صباح اليوم التــالى طلــع النــهار علــى إيليــا وقد عسكر بالقرب منهم العدو حيــث أقــام خيامــه فــى كــل مكان، وربط الخيل فى الخلاء فصــــارت كــالجراد وبــالقرب منهم عسكر عدد لا يحصى من رجاله يــــأخذون قســطا مــن الراحة . وقبل أن يطلع النهار كانت الحـــرب قــد اشــتعلت . كانت خيمة الأمير فــــى الوســط ويحيــط بــها الجنــود ، لا يســتطيع أن يصــل إليــها إلا المــوت فقــط ، لأن أحـــدا لا يستطيع أن يراه، أما ما عدا ذلك فقد كان بعيـــد المنــال .

غضب إيليا وامتلأ قلبه غضبا ، ولــم يكــن حصانـــه أقــل منه فى ذلك فجمع رجاله وقال لهم " مــــن يذهــب إلـــى قـــائد

الأعداء ، لنخبره أننا سننفنيه وأن إيليا بنفسه قادم إليه الآن؟ " وهنا قال أحد الشجعان أنه سيذهب ، وأمسك حصانه وركبه وتوجه إلى العدو . فلما رآه قادما من بعيد أسرع إليه حوالى ثلاثين رجلا بالسيوف والرماح ، ولكن لم ينتظر حتى يلتقي بهم . ولم ينتظروا أن يقول لهم شيئا، فسرعان ما انهالوا عليه ضربا وطعنا ولولا أنه يرتدي قميصا حديديا لقضي عليه . ولما تذكر قول الحكماء الكثرة تغلب الشجاعة أدار حصانه وجذب لجامه وولى الأدبار . فلما أدركوا ذلك خرجوا وراءه ولم يستطيعوا اللحاق به ، فلما أعياهم الجرى ، عادوا وأخبروا قائدهم بما حدث . وعاد الرسول إلى إيليا يلهث ، وقص عليه كل ما حدث .

قام إيليا غاضبا ولبس ثياب الحرب ، وأوثق رباط السرج وعلق سيفه ورمحه . وحمل عصاه الغليظة وركب قواليلى . ولكن قبل أن يبدأ القتال قال له قواليلى " يا سيدي إيليا تذرع بالصبر فى هذه المعركة فاليوم سيكون القتال شديدا والعدو عنيدا ، وستنتصر عليهم ولكن أرى اليوم أنك لن توفق اليوم تماما . وسيكون نصرنا محدودا، وهذه إرادة الله . رأيت العدو قد حفر لك ثلاثة خنادق ، وأننى واثق أنني سأستطيع اجتياز الخندق الأول والثاني ولكن لن أستطيع اجتياز الخندق الثالث ، وأسألك الصبر إلى غد "

اشتد غضب إيليا من كلام قواليلي . وسحب السوط وضربه به وقال سأذهب رغم ذلك ، وليفعلوا ما يريدون به ، واتخذ قواليلي الطريق عدوا ، ولكن كان إيليا يستغل سرعة الحصان شوقا لملاقاة العدو شعر وكأنه يريد أن ينزل ويعدو على قدميه حتى يسبق الحصان . وحدهم وجدهم إيليا مشتاقين إلى الحرب وسرعان ما بدأ القتال ، يضربهم ويضربونه ويطعنهم ويطعنونه ، حتى وجد نفسه فجأة فى الخندق الأول ، وهجم عليه الأعداء وأشبعوه ضربا وطعنا ، ولما استطاع قواليلي أن يخرج من هذا الخندق واصل إيليا القتال .

كان إيليا رجل واحد ولكن كألف رجل ! كلما تقدم إيليا عليهم رأيت آلاف الرجال يندفعون إلى ميدان القتال ، واستطاع قوليلي بشق الأنفس أن يخرج من الخندق الثاني. وقصد إيليا خيمة قائد الجيش مباشرة . وقد تعجب الفرسان من شجاعته وأخذوا يتساءلون من هو وتجمعوا حوله واشتد القتال وملأ الغبار سماء المعركة وأصبح الإنسان لا يرى أحدا ولا يسمع إلا صليل السيوف وطعن الحراب . وازداد إيليا اقترابا من خيمة قائد المعركة ، كان كلما ضرب بسيفه رأيت الرؤوس تتهاوى وكأنها أوراق الشجر . كثرة تغلب الشجاعة بعد أن قتل إيليا هذا العدد منهم جاء عدد آخر أكثر نشاطا ، ولكنه عندما صرخ وقع كثير منهم على الأرض .

وفجأة وجد إيليا نفسه فى خندق ثالث كبـــير وفـــى الحـــال تجمع حوله حوالى ألف رجل واندفعوا إلـــى الخنـــدق ، حتـــى ملأوه وانهالوا عليه طعنا وضربا ثـــم ربطـــوه وحملـــوه إلـــى قائدهم فوقف الأمـــير شـــاخصا ببصـــره ينظـــر إلـــى إيليـــا ويتعجب من قوته ، وقبل أن يتكلم الأمـــير قـــام أحـــد رجـــال حاشيته وقال " يا إيليا ، كن مؤدبا أمام أمـــير الدنيـــا واركـــع أمامه تحية له " وقد أغضبـــوه بضوضائـــهم ، فســـكت ولـــم يرد عليـــه .

وهنا أمر الأمير بفك إيليا وإعطائه ســـيفه ، وجـــذب إيليـــا وأجلسه إلى جواره على فراشه ، ثـــم قـــال لـــه " مـــا أريـــده منك يا إيليا أن تقبل البقاء معنا ، وسأمنحك كـــل مـــا تحتاجـــه فى هذه الحياة . وســـأزوجك ابنتـــي . وســـأوليك علـــى أحـــد الأقاليم . على أن تساعدني بألا تساعد ولديمـــا مـــرة أخـــرى، وإذا رفضت كل ما عرضته عليك سأقتلك فـــى الحـــال " .

نظر إيليا إلى الأمير وقال " أنت كلـــب الأمـــراء . منـــافق طالما تتردد أنفاسي فـــي صـــدري ، وســـيفي هـــذا معـــي ، فسأهزم كـــل رجـــل ولدتـــه امـــرأة ليـــس بينـــي وبينـــك إلا الحرب. لقد أمرت أن أحارب لأحمـــى المســـجد الكبـــير فـــى هذه المدينة وأثبت أركان الديـــن . وأن الكفـــار المـــردة مـــن أمثالك لن تصرف قلبي عـــن التصـــدي لأعمـــال الكـــافرين ، وسأساعد ولديما ما دمت حيـــا " .

وهنا سمع إيليا صوتا من السماء " إيليـــا الابــن القــوى ، أرفع يدك إلــى الســماء ، ســتجد العــون مــن الله ســبحانه وتعالى " فقام إيليا بسرعة ورفع يــده إلــى الســماء ، فشــعر بجسمه يزداد قوة وقلبه يــــزداد شــجاعة وزادت قوتــه قــوة خمسين رجــلا .

وقبل أن ينتبه الحاضرون ، قـــام إيليــا وضــرب الأمــير بجمع يده ففارق الحياة فى الحـــال . ثــم التفــت إلــى بــاقي الفرسان وأخذ يضربهم حتى تثلم سيفه ، فقصــــد إلــى رجــل ضخم منهم ، وأمسك قدميه ، وأخذ يضـــرب بـــه الآخريـــن . فـــأخذ الرجـــال يتســـاقطون كأنـــهم أوراق الشـــجر وحيثمـــا نظرت لا تجد إلا جثثا ملقاة فى ميـــدان القتـــال .

وهم على هذا الحال وصل إيليا إلى المكـــــان الــذي ســقط فيه نفيره فأخذه ونفـــخ فيـــه ، وبعــد قليــل جـــاءه حصانـــه قواليلي مسرعا فأمسكه وركبـــــه .

وكان عدد الأعداء قد نقـــص كثــيرا فـــى هـــذا الوقــت . فنظر إلى رفاقه فرآهم جالســين ينعمــون بالراحـــة . فأمســك سهما ووضعه فى القوس وصوبه علـــــى كبــيرهم ، فأصابـــه السهم تماما . ووصل إلـــى صـــدر مـــن قصـــده ولكنـــها لـــم تضره .

فلما رأى الرجل ذلك فأدرك أن إيليا في حاجة إليهم ، وفى الحال جمع كل المحاربين وأخبرهم فأعدوا خيولهم وذهبوا إليه عدوا . فلما وصلوا إليه لم ينتظر وهجموا على الأعداء بالضرب والطعن حتى أرهقوهم وطاردوهم. وقد حصل هؤلاء المقاتلون على الكثير من الغنائم عدا إيليا .

بعد أن انتهوا من القتال تماما ، جلسوا يستريحون ، وأخذ كل منهم يدعى البطولات والأعمال الخارقة ، حتى أصابهم الغرور ، وأخذوا يدعون القدرة على القتال حتى ولو كان فى السموات السبع . فهم واثقون من النصر . فلم يقل إيليا كلمة واحدة بالرغم من أنه يعلم أن هذا النصر لم يكن بقوتهم ولا خططهم ، ولكن بقوة من الله .

الله ملك الملوك ، قبل أن يغادروا المكان الذي جلسوا فيه رأوا الأعداء الذين قتلوهم والذين جرحوهم والذين ضربوهم يقومون فجأة . وبدلا من كل رجل مات قام ثلاثة رجال ، وقام هؤلاء الشجعان واستأنفوا القتال لأنه أدرك أن هذه الحرب ليست فى سبيل الله .

لقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يريهم ، أن الغرور والتفاخر شيئا مذموما.

ومع ذلك فقد حـــزن إيليــا عندمــا رأى رفاقــه يحــاربون وهو ينظر إليهم ولا يفعـــل شــيئا . ولكــن لعلمــه أن هــذه الحرب ليست على حق لــم يقــل شــيئا . ولــم يظــهر نيــة مساعدته لهم . واستمر القتال حتى قتـــل كــل جنــود ولديمــا تماما .

وهنا ركب إيليا حصانه وقصـــد جبــلا مرتفعــا حيــث لا يستطيع أحد الوصول إليه . فوجـــد صخــرة كبــيرة فصعــد عليها وجلس وعانق ســـيفه ووقــف قواليلــي خلفــه ورفــع رأسه إلى السماء وأخذ يبكـــي بـــالدمع الغزيــر كمــا يبكــي الإنسان . نظر إليــــه وازداد قلبــه حزنــا وغضبــا ، ولكنــه تذكر أن هذا شيء بسيط إلى جانب ما حدث لــــه مــن أمــور حتى الآن ولكنه عجز عن الصبر فـــى النهايــة فــانفجر فــى البكاء.

وبعد قليل هدأت نفس إيليا ، وتذكـــر أنـــه الآن رجــل قــد ملأ الشيب عارضيـــه ، وأن الله قـــادر علـــى كــل شـــيء ، فســـأل الله أن يجعلــه هــو وحصانــه صخــرة ، فســـمع الله دعاءه وفى الحال استجاب لــــه . لقــد شـــاء الله أن يســـتغرق فى تفكير عميق حتى ينسى ما هـــو فيــه . وقبــل أن يعــود إليه صوابه جعلهما الله صخرة . وهكذا انتهت حيـــاة إيليــا .

والآن إذا ذهبت إلى هذا المكان سترى الصخرة على هيئة إنسان يجلس وبجواره حصانه يقف خلفه . ومنذ أن فارق إيليا الحياة لم يركب حصانه أحد ولم يمسك سيفه ، وهذا هو السر فى مدحه لحصانه عندما كان على قيد الحياة . قائلا " قواليلي حصان إيليا لا أبيعك ولا أغيرك "

الســـــاحـــــر

Jiki Magayi

تأليف : تافيدا وساسا

الصب تفضحه عيونه :

كان يعيش في مدينة جلما رجل ثرى ، اسمه المعلم شيخو ، كان يملك مالا وفيرا ، وثيابا ، وبضائع ، وآلات حياكة ،وسيارات للركوب ، وعبيدا ، وقطعانا من الأبقار، وثلاث خيول جميلة المنظر تنعم بوقت الفراغ فى الإصطبل ، وكان يذهب إلى الإصطبل عصر كل يوم ، حيث يجلس فيأتي عبيده وأهل المدينة الذين ينالون من عطاياه فيحيطون به ، يقضون وقتهم فى السمر والحديث الذي لا فائدة منه .

وقد ذاع صيته فى كل مكان بسبب تجارته الواسعة ، فقد كان يبعث خدمه للتجارة فى كل مكان ، بعضهم يذهب بالمركب والبعض الآخر بالسيارة وبعضهم يحمل السلع وثمار الكولا على ظهور الحمير والثيران والإبل ، ويطوفون البلاد يبعون ، حتى كان يصعب عليه أن يعرف حدود ثروته .

لم ينجـــب:

مضى عشرون عامًــا على زواجـــه ، ولكـــن لـــم ينجـــب أبدًا، تزوج كثـــيرًا ، لـــم يخـــل منزلـــه يومًـــا مـــن أربـــع زوجات ، أنفق كثيرًا مـــن المـــال لـــدى العلمـــاء والأطبـــاء الذين يعالجون بالأعشـــاب والســـحر ، حتـــى يحصـــل علـــى علاج للعقم ، ومع ذلك لـــم تحـــدث لإحـــدى نســـائه حالـــة ولادة أو إجهاض ، وكان كلمـــا فكـــر فـــى الخســـارة التـــى يمكن أن تحل به لعدم وجود الابن ضـــاقت نفســـه ، وضـــايق كل أهل منزله بما يحـــدث مـــن شـــجار، وأحيانًـــا لا يـــراه أحد منذ الصباح حتى العصر ؛ حيـــث يعتكـــف فـــى حجرتـــه يدعو الله أن يقضي حاجاته ، وكان دعـــاؤه واحـــدًا لا يتغـــير وهو " يا إلهي ارحمني وهبني ولدا أيـــا كـــان " .

يــرى منـــاما :

وهو على هذا الحال رأى ذات يـــوم منامـــا ، رأى فرســـة المعلم عبده سحبت لتباع في السوق ، فـــأعجب شـــخص بـــها أياما إعجاب فاشتراها ، فلما رآها أحبها هو أيضـــا كمـــا لـــم يحب شيئا من قبل ، فزاد من ثمنها فوافـــق صاحبـــها ، فدفـــع له الثمن ، وأخذها إلى بيته وربطـــها ، فلـــم يجـــد متنفســـا إلا الصبر ، ومكثت الفرســـة فـــى بيتـــه حتـــى ولـــدت حصانـــا صغيرا جميلا يعجب به كل من يراه ، فلما كـــبر وبلـــغ ســـن الركوب ، طلب أن يوضع له الســـرج ، وركبـــه وخـــرج بـــه للنزهة إلا أن الحصان جمح وأوقعـــه وفـــر هاربـــا ، وتركـــه يتألم مما أصابـــه .

وهنا استيقظ من المنام ، وجسمه يرتعـــش ، وأخـــذ يفكـــر في هذا الأمر في نفسه حتى طلـــع النـــهار ، وفـــى الصبـــاح الباكر بعث إلى أحد المنجمين ولمـــا جـــاء طلـــب أن يســـمع القصة ، فأخذ المنجم يسوي الرمـــل ويخـــط فيـــه ثـــم يمحـــو الخطوط وهكـــذا حتـــى قـــال " أرى مشـــكلة زواج وولادة ، وأرى أحد منافســـيك ولكـــن إذا صـــبرت ســـتنتصر عليـــه ، وأرى في هذا الـــزواج مشـــاكل ، إذا أقدمـــت عليـــه ســـتندم

يوماً ما ، وإذا استمعت لمشـــورتي ، لـــن تنـــدم علـــى هـــذا الأمر ، فاتركه كما ترك النبي هـــذه الدنيـــا ، والبـــاقي يعلمـــه الله .

يشك فى القول :

بعد أن قام المنجم جلس معلم شيخو يفكر طويلاً يفكر فى نفسه فى منامه وما قاله المنجم له ثم خطر على باله أن المعلم عبده لديه إبنة اسمها زينب فقال لابد أنها هى التى رأيتها فى المنام ، فإذا كان الأمر كذلك إذا تزوجتها ستقضي حاجتى ، ثم تذكر بقية المنام ، ونصيحة المنجم له ، ولكن لشدة رغبته فى الأبن لم يعر كل هذا الأمر اهتماما إذا قضيت حاجته ، وقال ربما كلام هذا المشعوذ غير حقيقي ، لا يعلم الغيب إلا الله ، وبذلك هدأت نفسه وكف عن التفكير .

وهنا أمر باستدعاء المعلم عبده ، فلما جاء انتحى به جانباً وقال له " ما جعلنى أستدعيك ، أنني أرى حاجة لى عندك أريد قضاءها ، ولا أعرف ، ربما تقضى . " ثم قال له .

البنت ومن تحب :

فقال له المعلم عبده " هذا الأمر صعب ، لأن زينب منذ نعومة أظفارها تحب ولداً اسمه أبو بكر ، تربيا معا ، وهو يحبها حتى علم كل إنسان أنه سيتزوجها ، لقد خطبها أناس وشباب كثيرون ، ولكنها أبت إلا هو ، وأبو بكر أيضاً لا يحب أحداً في هذه الحياة إلا هي ، ولعلك تعرف أن الشباب متهور جداً إذا لم يتزوج زينب لا يعرف أحد ما سيفعل ، وأنا نفسي أيضاً لن أرتاح ، قال المعلم شيخو " إذا سمحت لي أن أبعث من يناديها لأتحدث معها سأخبرك بكل ما ستفعل "

قال المعلم عبده " هذا ليس مشكلتي ، أنها ترجع لمن تريد ، لأنني اعتقد لو بعثت إليها لن تأتي ، وبالأحرى ألا تتحدث معك ، وليس لدى ما أقوله أكثر من ذلك فى هذا الأمر "

عندما عاد إلى البيت حدث أم الفتاة عما دار بينه وبين المعلم شيخو بشأن زينب ، قالت الأم " ويحك يا سيدي ، كيف يتم هذا الأمر ، إذا فعلنا ذلك يظن الناس أننا أغبياء، إياك والتفكير فيه " .

أمـــر باستدعائـــها :

عندما حان العصر أمر التـــاجر باســـتدعاء زينـــب ، فلمـــا قيل لها أن المعلم شيخو يطلبها قالت عودوا إليـــه وقولـــوا لـــه لن تأتي ، ثم بعث إليها مرة أخرى ليحدثها فـــــى أمـــر واحـــد فقط ، وهو مشكلة الـــزواج .

فبعثت إليه مرة أخرى مــــن يقـــول لـــه أنـــه سـبق لـــها الزواج، ولا تنوى أن تغيره بآخر ، وعندمـــــا عـــاد الرســـول وأخبره بذلك تألم في نفســـــه وغضـــب وقـــال " عجبـــاً هـــل توجد امرأة فى هذا الكون أبعث إليـــها مـــن يســـتدعيها ، ثـــم ترفض وتقول أنها لن تـــأتي ؟ "

فقال له خادمه الذي بعـــث بـــه " ويحـــك يـــا ســـيدي ، إن مثلك لو أراد ألف امرأة من أيـــة مدينـــة جئنـــك مســـرعات ، ثم تعذب نفسك بسبب مثل هذه الفتاة مهما كـــــان حظـــها مـــن الجمال لا ينبغي لمثلك أن يركع تحـــت قدميـــها "

قلب فتاهــا يغضـــب :

وهم على هذا الحـــال ، ذهــب فجــأة أحــد خــدم المعلــم شيخو إلى أبي بكر وقال لـــه ، أن المعلــم شــيخو اســتدعى والد الفتاة التى يريد أن يتزوجـــها ، كمـــا بعــث لاســتدعائها ولكنها رفضت الحضور ، وفـــى الحـــال غضــب أبـــو بكـــر عند سماع هذا الكلام ، وأخذ ينظـــر قــدوم المغــرب بفــارغ الصبر حتى يذهب للقاء زينــــب .

وعندما أقبل المغرب ذهب إلى منزلـــــهم ، وبعــث أخاهــا الصغير ليخبرها ، فخرجت وذهبا إلى المكـــان الــذي اعتــاد الذهاب إليه ليتحدثا ، وأخذا يتحدثان في شـــئون الحيـــاة ، ثــم قال لها أبو بكر " زوجة الســـعداء "

قالت " ما هذا الكـــلام الـــذي تقولـــه اليـــوم ؟ إننـــي أراك اليوم لا تسمع إلا الهراء ؟ قال " مـــا جعلنـــي أقـــول ذلـــك ، أننى سمعت أن المعلم شيخو أكبر أثرياء مدينتنـــا بعــث إليــك لتذهبي إليـــه "

قالت " الذي أعطاك هذا الخبر ، لم يقــل لـــك الـــرد الــذي بعثت به إليـــه ؟ "

النســاء أمرهــم صعــب :

قال لي " ولكن مع ذلك غضبت جــداً ، لأننــي أعــرف أن أمركــن صعــب ، أنـــهم يقولــون أن الحصـــان ، والنـــهر ، والمرأة ، لا يؤمن غدرهـــم "

" حتى أنا أيضاً ، ألا ترضى عنـــى ؟ "

" نعم ، إن النساء خالهن واحـــد "

" إذا قدم لي الدليل على ذلـــك "

قال " مـــا جعلنـــي أقــول لــك ، أن الحصـــان إذا كنــت تحبينه، ولم تحملينه أيـــة مشـــاق ، مــع كــل ذلــك لابــد أن يركلك يوماً ما برجليه ، والنهر كذلـــك تعبرينـــه الآن، ولكــن عندما تهمين بالعودة تجدينه قد امتلأ بالمـــاء ويصبـــح عبـــوره محالا ، والمرأة كذلك يقال أن وعدهــــا لا يــدوم أكــثر مــن أربعين يوماً ، فإذا مضــت الفــترة ، ووجــدت مــن تحبــه ، مهما كان الحب الذي يكنه لـــها الحبيــب الأول تغــدر بـــه ، المعلم شيخو رجل ثري ، إن لم تجـــدي فيـــه شــيئا يحــب ، فستحبينه لمالـــه . "

فتبسمت وقالت " ويحك يا أبو بكـــر ، لــو كنــت سأســير على ماله منـــذ الآن حتـــى غــروب الشــمس لــن يغرينـــي بالزواج منــه "

قال " إذا رأيت الكلب يشمشم فــــى الحــذاء فــاعلمي أنـــه سيخطفه ، ولكن أنت حرة فيمــــا تفعليــن " وأســتاذنا وعــادا إلى منزلهما ، فنام وهو مشـــغول البـــال .

ولما علم الثري بما دار بينــــها وبيــن أبــي بكــر قــال " لأرى هذا الغلام أن كل من ينازلني لابــــد أن يخــر صريعــا " ثم أمر باستدعاء رجل يسمى المعلم ســـمبو ، الــذي يخشــاه كل إنسان فى المدينة حتى الأمير نفســـه ، فلمــا أقبــل عليــه وعده بالمال الكثير ، وأخبره بما بينــــه وبيــن غريمــه أبـــي بكر من منافســـة .

قلب الفتاة يتحول :

قال المعلم سمبو " هذا أمر يسير ، إذ كنت أعمل المستحيل فما بالك بهذا الأمر اليسير إذا كنت تريد الحكم على هذا الغلام بالموت ، أسأل الله أن يقدرنا على هذه المساعدة "

قال المعلم شيخو " لا أريد الموت ، كل ما أريده منك أن تحول قلب هذه الفتاة وقلب والديها عنه "

قال المعلم سمبو " وهو كذلك ، عندما أعود الآن إلى المنزل ابعث لي بخادمك ، سأقدم لك مساعدة ، إذا أقبل المغرب ، أفعل ما سأبعث لك به ، وإذا لم تأت لك أحلق لي لحيتي ، وسأبعث لك بالدواء السحري أخلطه مع المسك وقدمه إليها إذا أخذته ومسحت منه أسفل أنفها ، سينتهي الأمر ، سيحبك حتى والديها ، وغدا رفضوا ستتزوجها " فرح المعلم شيخو وأحضر مالا كثيرا وقدمه إليه .

يخلـط الـدواء السحـري :

عندما أقبل المســاء بعـث بمــن أحضــر لــه دواءيــن ، أحدهما خلطة بالمسك والآخر تعطــر بــه ، ثــم بعـث بمــن يستدعى له زينب ، عندما ذهــب الخــادم وجدهــم يتحدثــون مع أبي بكر فاستأذن ، فرد أبو بكر قائلا " مـــاذا تطلــب ؟ "

قال الخادم " المعلم شيخو بعثني لزينب يريـــد أن يراهــا"

قال أبو بكر " عد ، وقل له لن تـــأتي "

عندما عاد الخادم ، هبت قائمة واندفعـــت مســرعة تناديــه أمام أبي بكر ، وطلبت منــه أن يخــبر سـيده أنــها قادمــة ، ولكن على شريطة ألا يثار الأمر الذي بعـــث مــن أجلــه أول الأمر .

وهنا قال لها أبو بكر " ها هو ألم أقل لـــك بــالأمس ! "

قالت له " ويحك ، يا أبا بكر ، ليس فـــى الأمــر شــيء ، رؤية الطعام لا تغني عن أكله ، وذهـــابي إليــه ليــس معنــاه الزواج ، وأقسم لك بحق حياتي أن لا أتزوج أحــداً فــى هــذه الحياة إلا أنت ، أى قولى له أننــى قادمــة لا دخــل الســرور

على قلبه فقط ، حتى لا يقول إنني أحرجته مرتين ، إنك تعرف خلق الرجال إذا لم تبدي لهم الاحترام يعانون كثيرا. "

قال " وهو كذلك ، أنت حرة فيما تفعلين " فأستأذن وودعته .

يلتقيـــان فـــى الطابـــق الثالـــث :

عندما عــــــادت إلـــى المـــنزل ، اغتســـلت ، واســـتعدت ، وقالت أنها ذاهبة إلــــى أبـــي بكـــر ، وســـتعود الآن ، وبعـــد خروجها لم تقف فى أى مكــــان إلا مـــنزل المعلـــم شـــيخو ، وجدت مدخل المــــنزل مملـــوءً بالســـمار ، فتجاوزتـــهم إلـــى الداخل وانتظرته بالطابق الثالث ، وبعد قليـــل ارتـــدى المعلـــم شيخو حذاءه ودخـــل المــــنزل فـــامتلأ كـــل المكـــان برائحـــة العطر ، ولما أحست به قادما ، غطـــت رأســـها .

وعند دخوله قال : " زينب ، جئتي ؟ لمـــــاذا بعثـــت إليـــك من يســـتدعيك مرتيـــن فرفضتـــي الحضـــور ، هـــل ســـآكل لحمك؟

قالت " لم أجد فرصـــــة "

تبادلا التحية ثم قال لـــــها " مـــا جعلنـــي اســـتدعيك ، هـــو سماعي لاختيارك وأنك تحبين شخصا ، ولكـــن ســـمعت أنـــك لم تخطبي له ، وحتى إذا خطبتـــي لـــه ، فـــإنني أريـــدك ، إلا أننى أرى ما يمنعنـــي . "

" ماذا يمنعك ، ألست رجلا ؟ هل الرجـــل يرفــض رجــلاً مثلــك ؟ "

" حسناً أنني أريدك زوجة لـــــى "

" أنا أيضاً أحبك ، ولكن ليس من أجـــل الــزواج "

" لماذا ليس من أجل الــــزواج "

حتـــى الآن أحبـــه :

" لأنه منذ طفولتى لـــم أحـب أحـداً مثـل أبـي بكـر ، ومازلت أحبه حتى الآن ، لم يطلبني أحـد فـى هـذه المدينـة كلها ، لأن كل منهم لم يجد الفرصـة لذلـك فعـزف عنـي، ودعني أقول لك بالحقيقة ، إننـي أعـرف أنـك ثـري ، وأن أبا بكر رجل فقـير فـإذا تزوجتـك لـن أشـعر بـالجوع أو الظمأ، يبقى أمر واحد ، سمعت أنـك رجـل مـتردد ، يومـا ما سترى من تفوقنى جمـالا ، فتقـول إنـك تحبـها ، فـأنت رجل مزواج ، كل من تتزوجـها ، إذا قضيـت معـها عـدة سنوات ورأيت أنها لم تنجب تطلقها مـع المعاملـة السـيئة ، وهل لديك أربعة زوجات ، لا يوجد فيهن مـن تكـبرنى سـنا ولن أستطيع أن أكون ضرة لهن ، وأنت تعلـم أنـه لا يمكـن أن تتزوج عليهن الخامسـة ولا تـتزوجنى "

قال لها " ليس هـذا مشـكلة ، طالمـا أننـى قلـت أننـى أريدك زوجة لى ، إذا كنت تحبينني قولى وأنـا أعـرف مـا أفعله ، ألا يوجد طـلاق ؟ "

قالت " ويحك طالما أنــك ســتطلق إحداهــن لتــتزوجني ، فإنك ستطلقنى يوما ما إذا رأيت من تفوقنــي جمــالا "

ليس الأمر كذلك يا زينب ، أريــد منــك أمــرا واحــدا إذا قلت أنك تحبينني ، فسأعرف كيــف أتصــرف "

" ليس لدى فرصــة "

" سأمهلك سبعة أيام ، كل ما تفكرين فيــه ، عــودى إلــى وخبريني به لأعرف ما فى الأمــر "

" أى مشورة " إنه رأيــي "

" لا استشــيري "

وأستأذنت ، وهمت بالخروج فقال لــها انتظــرى ، ودخــل إلى المنزل ، وأحضر مالا ، وبعــض ثمــار الكــولا وقدمــه إليها .

قالت " لا ، والله لن أخذ شيئا منــك ، وإذا أخــذت شــيئا ، وعلموا فى المنزل سيضربونني ، وكــل مــن يســمع أننــى أخذت شيئا من يدك ، سيتأكد أننــى غــيرت رأيــي ، كشــأن النســاء "

قال " خـــذى ، أنـــت تعرفيـــن ، أنـــه لـــولا هـــذا الأمـــر لأعطيتك أكثر من هـــذا "

أعـرف ذلــك :

قالت " أعرف ذلك ، ولكن لولا أنننـــى معــك اليــوم ، مــا أعطيتني شــيئا "

حاول معها كثـــيرا ولكنـــها رفضــت ، وهبــت قائمـــة ، فأمسك بثوبها ، وقال " إذا لم تـــأخذي هــذا ، هـــاك شـــيء صغير خذيه لأنه لا يجب أن تأتي لتحيتـــي وتخرجـــي صفــر اليدين ، أى أنك لـــم تقدرينـــي " ووضـــع يــده فـــي جعبتـــه وأخرج الرائحة التى خلطت بالدواء الســـحرى وقدمـــه إليـــها فأخذته بعد تردد وخرجـــت .

ولما وصلت إلى المـــنزل أخـــذت العطـــر وقدمتـــه إلـــى والدتها ، وقالت " ها هو الشيء الذى قدمه إلـــى أبـــو بكـــر ، خذيه واحفظيه لي ، وقبل أن تسلمه لها أخـــذت جـــزءً علـــى طرف أصبعها ومسحته على وجهـــها .

وفى الصباح بعث المعلم شيخو من يســـتدعي لــه المعلــم سمبو ، فأخبره بما حدث بينه وبيـــن زينـــب ، فقـــال المعلــم سمبو " طالما أنـــك قدمــت إليـــها هــذا العطـــر ، لا تطلـــب مقابلتها مرة أخرى ، هم بأنفســـهم ســيطلبونك "

شكره المعلم شيخو ، وقدم له بعض المال مــــرة أخـــرى.

الشـــاب يغضـــب :

ذهب أبو بكر إلى مـــنزل زينـــب بنفســـه ، واســـتدعاها ، وسألها " أحقًا ذهبت إلـــى المعلـــم شـــيخو بـــالأمس بعـــد أن افترقنـــا ؟ "

قالت " نعـــم "

قال " علمت الآن أن ما بيننـــا خـــداع ، اريـــد أن تقولـــى صراحة إذا لم تحبيننـــي "

قالت " أنك تعرف أن الفتاة كالســـلعة ، كـــل مـــن يراهـــا يطلبها ، وكل يساوم أما المشـــترى ، فـــهو شـــخص واحـــد ، طالما أننى لم أخطب لأحد فأنت خطيبـــي " ثـــم قـــام غاضبـــاً وذهب إلى شـــأنه .

ولما عاد إلى المنزل أخبر أمـــه بمـــا حـــدث بينـــه وبيـــن زينب ، فقالت أمه " أنني أعلم قبـــل ذلـــك أنـــك لـــن تـــتزوج زينب ، لأن كثيراً من الأثرياء يتقدمـــون لـــها ، وليـــس كـــل شيء في هذه الحياة يتـــم لوجـــه الله ولكـــن لوجـــه المـــال ، فاصبر واطلب من تناســـبك . "

لابـد أن أثـأر :

قال لها " يا أمي ، إذا كنت ابن حـلال فيجب أن أثـأر ، وسأطوف الدنيا وعلى كـل حـال سـيعينني الله ، ولكـن لا تقلقي ، فها عبده وأخى الأصغر وجدنا يكفونـك فـي شـئون الحياة ، وسأعود إليك فى يوم ما طالما أن فى العمـر بقيـة.

فلما سمعت هـذا الكـلام حزنـت جـداً ، ولـم تسـعفها الكلمات ، لأنها تعلم أن أبـا بكـر إذا غضـب فـلا يسـتطيع أحد أن يخفف من حدة غضبـه .

وفى المغرب ذهب إلى والد زينب وقال لـه " مـا جعلنـي آتيك ، أننى علمت أن رغبـت الـزواج التـى بينـي وبيـن ابنتك قد انتهت ، هل علمت ذلك ؟ أنني أعلـم أن الـثروة قـد ملأت عينها ، حتى نسيت الوعد الذي قطعتـه لـي ، وأريـد أن تستدعيها أمامك لقول لها كلمـة "

قال له " أين سمعت هـذا الكـلام الفـارغ ؟ هـل رجـل عجوز مثلي يناقض نفسه ، طالمـا أننـي والـد زينـب لـن تتزوج أحداً غـيرك . "

قال له أبو بكـــر " لا ، لا تظـــن أننـــي جئـــت أناقشـــك ، زوجها لمن تقل أنها تريده ، إن الفتيـــات كثـــيرات "

استدعاها المعلم عبده وأغلظ لها فـــي القـــول ، وقـــال لـــها لن تخرجي مستقبلاً من المـــنزل مـــرة أخـــرى ، إلا يـــوم أن تزف إلى منزل أبى بكر ، فقـــالت أنـــهم لـــو أوثقـــوا قدميـــها بالقيود فستكسرها ولن تتزوجه ، وخيراً لـــــها أن تـــهيم علـــى وجهها من أن تتزوجـــه .

قام الأب غاضبـــاً وضربـــها ، وداســـها بقدميـــه وقيدهـــا وقال لأبي بكر " عد إلى مـــنزلك ، هـــدأ الله مـــن روعـــك ، أني أعرف كيف أعاملـــها "

قال أبو بكر " لا عليك يا أبي ، حتـــى نلتقـــي "

هل تريد أن تقتلـــها ؟!

لما سمعت أم زينب صـــراخ ابنتـــها عندمـــا كـــان أبوهـــا يضربها طلت وقالت " مـــاذا حـــدث لكـــل هـــذا ؟ أتريـــد أن تقتلها ؟

قال لها المعلم عبده " بخصـــوص مشـــكلة زواجـــها بـــأبي بكر ، أنت لا ترضين أن أقول لـــــه ســـأزوجك زينـــب ، ثـــم

تأتى الآن وتقول أن رجلاً اسمه المعلم شيخو تريد أن تتزوجه ، وإذا وافقت على كلامها سأشعر بالخجل بين الناس ، ولن يحترمني أي إنسان مستقبلاً ، وسيسخر الكل مني ، ويقولون أنني زوجته ابنتي حباً لماله . "

وهنا قالت الأم " أنت تعلم أمور الحياة لا تؤخذ عنوة ، ولكن بالاقناع والتفاهم ، وما أريده منك أن تصبر وتلاطفها ، ربما تعود إلى صوابها ، ولكن إذا قلت الآن سترغمها ، أنت تعرف أخلاق أبناء هذا الزمان ، ربما يكون السبب فى عدم السيطرة عليها تماماً " حينئذ قام وفك قيودها .

وما كاد المساء يقبل حتى توجهت إلى منزل المعلم شيخو ، وقالت له " طالما أنا أبا بكر قد غضب وثار هكذا، أريد أن تتقدم وتطلب الزواج مني "

وعندما طلع النهار بعث المعلم شيخو إلى المعلم عبده أنه يريد أن يتحدث معه فى أمر الزواج ، فبعث إليه المعلم عبده ، بأنه لن يزوجه حتى لو طلب القاضي منه ذلك ، واستمر الأمر بين أخذ ورد حينئذ اجتمع الأخوة واقنعوا المعلم عبده ، فرد عليهم مكرهاً ، بأنه لا يريده من أجل ماله مطلقاً ، وأعلن المعلم شيخو قيمة الهدايا

التى قدمها غريمة للفتاة ، ويوم تحديد حفـــل الــزواج ، أخــذ كل أهل المدينة يلومون المعلم شيخو لعـــدم وفائـــه .

وفي يوم الزواج طلق إحدى نسائه ، وفـــى المســاء زفــت إليه العروس ، وفى اليوم التالى أقيـــم حفــل عظيـــم لـــم يقــم بمثله أمير جلما ، وحضر إليه أصدقـــاؤه مــن كــل مكــان ، ولم يترك شيئاً يعمل أو يحكى عنـــه إلا وعملـــه .

" تبارك الله لقد كان حفل رجـــل ثـــري فعـــلاً " لقــد بلـــغ الإسراف مداه ، واستمر اللهو واللعب لمدة ثلاثـــة أيـــام ، ثـــم أقيمت ليلة الحناء ، وأحضر طعـــام العـــرس وبعدهـــا تفـــرق الناس .

الشـــاب يهيـــم علـــى وجهـــه :

غادر أبو بكر موطنه ، ولم يعـــرف إلـــى أيـــن المســـير ، وأخذ يتجول حتى وصل إلى مدينة تســـمى " عـــش مســـتعداً " وهذه المدينة يقصدها كل مـــن ارتكـــب جريمـــة الســـرقة أو أمراً محرماً ، هرباً من مدينتهم ، حيث أنشأوا لـــهم حبـــاً فـــى المدينة ، يفعلون فيه ما يريدون ، وليـــس فـــي هـــذه المدينـــة إلا المشعوذين واللصوص ، وأدعيـــاء الطـــب والمومســـات ، وصل أبو بكر إلى هـــذه المدينـــة ، فـــأخذ يســـمع أصـــوات الآلات الموسيقية. والأغاني ترتفع فى كـــل مكـــان ، فجلـــس تحت شجرة يستريح من شدة التعب ، حتى غلبـــه النـــوم .

جاء رجل ورآه مستغرقاً فى نومه ، فأيقظـــه وقـــال لـــه " أيها الشاب من أين جئـــت ؟ "

فاستيقظ من النوم ، وتبادلا التحيـــة ، وســـأله هـــل يوجـــد فى هذه المدينة ساحر مشـــهور .

قال له الرجل " ألم تسمع اسم هـــذه المدينـــة ؟ "

قال " ســـمعت "

قال هل رأيت عالماً طبيب يعيش في هـــذه المدينـــة ؟ نحـــن هنا لا شأن لنا بالعلماء لا نعرف إلا الســــحرة والمشـــعوذين.

قال " حسناً دلنى على أكبر ســــحرتكم "

سأكشــف لــك ســرى :

ذهب به إلى مـــنزل رجـل يســمى " رحمتكـم مســهلة " عندما وصلا إلى المنزل لم يجداه فقد خـــرج ليقـض شـئونه كالعادة منذ ثلاثة أيـــام ، ولكنـــهم علمـوا أنـــه ســيعود فــى المساء ، فجلس ينتظـــره ، ولــم يعـد إلا بعــد أن انتصـف الليل، وعندما دخل منزله دخل أحد لخـــدم عليــه وأخـبره أن ضيفاً ينتظره منذ الضحى ، فخرج وبعث مـــن يســتدعى أبــا بكرليجلس معه على انفـــراد فلمــا رآه أخـذ جســده يرتعــش لشدة جماله فتبادلا التحية ، وسأله عمــا أتــى بــه إلـــى هــذه المدينة ، فقال أبو بكر " أن مشـــكلتى كبـيرة ، إن أحيانـــا الله إلى الغد اكشف لك ســـري "

وعندما طلع النهار ذهب أبو بكـــــر إلـــى مــنزل الســاحر وبعد أن تبادلا التحية، قال أبو بكر " ما جاء بـــي إليــك هــو الهم الشديد ، الذي أصابتني به فتـــاة كنـــت أحبــها ، وكــانت تحبني حباً جماً ، منذ الطفولـــة حتـــى ســن الشــباب وكنــت على وشك خطبتها والزواج بها ، بينما كنـــت أســتعد لأبعــث أمى لخطبتها ، فإذا بأحد أثرياء مدينتنا يســمى المعلــم شــيخو يسمع عنها ، ففرق بيننـــا طمعــاً فقــط ، بــالرغم مــن أنــه

متزوج من أربع زوجات ، مثل هذا الرجل لا يجب أن يظل معي في هذه الحياة ، ولا ينبغي لي أن أعيش فى المدينة لأسمع أنه تزوجها ، لذلك عجزت عن فعل ما أشفى به غليلي ، وهمت على وجهي فى هذه الدنيا ، انتقل من مكان إلى آخر، حتى انتهى بي المطاف إلى هذه المدينة ، وبينما كنت أسأل الناس ، قيل لي أنه لا يوجد فى هذه المدينة من يفوقك علماً في فن السحر ، لذلك جئت إليك ، فإذا وافقت على مساعدتي لأثأر منهم ، هدأت نفسي " .

قال الساحر " الحمد لله لقد جئت لمن يستطيع تخفيف آلامك، لقد علمت بأمرك قبل أن تخبرني فعندما افترقنا أمس جائتني الساحرة الكبرى وبينت لي كل الاسباب التى جاءت بك ، ولكن ليس الأمر كما تظن فليست الرغبة فقط هي التي دفعت الثري إلى هذا الأمر ، السبب أنه يريد أبناً، وقيل له أنه إذا تزوج من هذه الفتاة سيرزق بالولد ."

حينئذ قال أبو بكر " أحقا هكذا ؟ "

قال " إنه سيرزق لأن هذا الأمر ليس بيد الإنسان ، ولكن بقدرة الله "

ثم سكت أبو بكر واستغرق في تفكير عميــق، وبعــد فــترة قال " حسناً طالما أن الرغبة فـــى الولـــد هـــى التـــى جعلتـــه يفعل هذا الأمر ، شيء واحد فقط هو الـــذي ســيريح نفســـي، هو أن البركة التى يرجوها من هذا الولد تنقلب لعنـــة لـــه. "

سيتـــم ولكـــن بمشقـــة :

ثم سكت الساحر وبعد فترة قال " هذا الأمـــر ســيتم ولكـــن بمشقة ، هل تقبل إذا فعلته لك تتحمل كـــل آثامـــه ؟ "

قال أبو بكر " فكل ما يريده الله أن يفعله بـــي بســبب هــذا الأمر فليفعله ، المهم أن تقضـــى حــاجتى "

واستطرد قائلا " ماذا سأدفع إذا فعلت لي هــــذا الأمـــر ؟ "

ضحك الساحر وقال " لن آخذ شــيئا منــك ، لأن كــل مــا ستفعله بنفسك ، هل تستطيع أن تصبر وأن تحضــــر لــي مــا سأطلبه منــك ؟

قال " بقدرة الله سأســـتطيع "

قال الساحر " أريد أن تأتيني بصمغ شـــجرة الكلجـــو . "

قال " أين سأجده ؟ لم أر أبداً من حصــــل عليـــه "

قال الساحر " ليس في هذه المدينة ، ولكنـــي ســأقول لـك أين تجده إذا ذهبت، أنت تعرف أننـــي لـم أولـد فـى هـذه المدينة ، أنا من أهل يـالى ، وتركـت موطنـي منـذ كنـت صبياً بسبب رغبتـي فـى الوصـول إلـى سـر السـحر ، وسمعت أن أبي مازال على قيد الحياة هنـاك ، وهـو يتمنـى دائماً رؤيتي ، لأنى أكبر أبنائه ، وسـأبعث غليـه وسـيخبرك أين ستجده ، إني أتذكر أنه كان يحكي لنا عـن أخبـاره وأنـا طفل "

قال أبو بكر " وكيف يحدث ذلك ، ربما لـو ذهبـت إليـه لن يصدق أنني جئت من عندك لأنك قلت أنـك فارقتـه منـذ سنوات طويلـة "

يقـدم للشـاب تميمـة :

وضع الساحر يده فـي جعبتـه وأخـرج تميمـة وقـال " قدمها إليه ، فسيعرف عند رؤيتها ، ومتى التقيـت بـه بلغـه كل أخبارى ، وتحيتي وعرفه أننـي مـازالت حيـاً ، وأنـى أريده أن يغفر لي كل ما فعلته في حقه مـن آثـام .

وإذا عفى عني فليبعث إلى عندمـا تعـود ، لأعـود إلـى موطنى ، وإذا نلت مـا طلبتـه منـك ، فسـتدفع ثمـن هـذه المساعدة التى قدمتها إليـك "

لــم يعــرفــه :

عندما طلع النهار سلك أبو بكــــر الطريــق وتــابع الســير يبيت يوماً في هذه المدينة ويوماً فـــى أخــرى ، وفـــى مكـــان يجد الطعام ، وفى مكان آخـــر لــم يجـد بــدا مـن التسـول فيحصل على قوته بصعوبـــة ، وهكــذا حتــى وصـــل إلـــى المدينة التى بعث إليها بعد شــــهرين .

وصل إلى مدينة يالى عنــــد الظـــهر فظــل يتجــول فـــى طرقاتها يسأل عن بيت والد الساحر ، ذهب إلـــى كــل مكـــان فلم يسمع إلا قولهم " لم نسمع أبــداً عــن هــذا الاســم ، ولــم نعرف والده " ولما أعياه السؤال جلس تحــت شــجرة ، وبعــد قليل إذا برجل عجوز يعبر الطريق ، فقـــام وقابلـــه ، وركـــع تحية له ، وقال لدى سؤال ، إنني غريب مـــن بلــدة تســمى " عش مستعداً " هاجر إليها ســاحر كبــير منــذ كــان صغــيراً وهو الآن من الأثرياء ، بعثني إلـــى والــده ، ومــن غبــائي نسيت أن أسأله عن اسم والده قبل أن أغـــادر المدينـــة ، كمـــا نسى أن يخبرني باسمه أرجو مـــن الله أن تعرفـــه ؟ "

وقف العجوز صامتاً ، ثم طأطأ رأسه ، ومكـــث مــدة لــم يتكلم فقال أبو بكر " مـــاذا أصـــابك ؟ هــل مجــرد الســؤال جعلك تحزن كل هذه الحـــزن ؟ "

قال العجوز " نعم ، هذا الكلام الذى قلتــــه ، ذكرنـــى بمـــا أطويه في قلبـــي "

قال أبو بكر " سلامتك يــــا والــــدى ، لــو أعلــم أن هــذا الكلام سيحزنك إلى هذا الحد مـــا ســألتك "

قال العجوز " لا شيء ، الله هو مالك كـــل شـــيء "

فلما رأى أبو بكر أن نفس العجـــوز لـــم تــهدأ قـــال " يـــا والدى ، بالله ، قل لي ما أحزنــــك "

قال العجوز " اسمع يا بنــــي ، إن لـــي ابنـــاً كمـــا تقـــول هاجر منذ سنوات ، ولكنه مات ، وهذا ما أفكـــر فيـــه دائمـــاً، عندما تحدثت إلى أثرت ذكريـــاتي . "

قال أبو بكر " كيف تأكدت أنـــه مـــات ؟ "

قال العجوز " خرج من المدينـــة ، منـــذ هـــذه الســـنوات ، لم أر من رآه ، واسمع شيئاً من أخبـــاره ، وهـــذا مـــا يؤكـــد لي وفاتـــه . "

قال أبو بكر " ما هو شكل ابنـــك "

أخذ العجوز يصفه ، قائلاً ولكن هذا الوصـــف منــذ كــان صغيراً لا يعرفه أحـــد الآن . "

حينئذ قال أبو بكر " لا تحزن فربمـــا بعثنـــى الله لتعــرف أخبار إبنك ، قال العجوز " ليس هـــذا محتمــلا لقــد مضــت أعوام طويلة ، وماذا سيؤكد لي أنه مـــازال حيــاً ؟ "

يخــرج بالتميمــة :

وهنا وضع أبو بكر يـــده فـــي جيبـــه ، وأخــرج التميمــة وقال " انظر إلى هذا الشيء هل رأيتـــه أو تعرفـــه ؟ "

أخذه العجوز ونظر إليه جيداً ، وقال " مـــن أيـــن حصلـــت على هـذا ؟ "

قال " إن الرجل الذي أخبرتك عنـــه هـــو الـــذي أعطانيـــها لأوصلها لأبيه كدليـــل"

قال العجوز " الله اكبر ، فعـــال لمـــا يريـــد ، ولا يعجـــزه شيء ، لاشك أن زكريا مازال حياً وهنا قـــال " تعـــال معـــى إلى بيتي ، لقد اشتقت لسماع أخبـــاره "

ذهبا إلى المنزل ، وأنزله فيه ، وقدم إليـــه الطعـــام فـــأكل، وارتاح ثم قص له كل أخبار ابنـــه .

قال العجوز " بإذن الله ســـوف أبعـــث إليـــه ليعـــود إلـــى وطنـــه . "

ثم استمر قائلا " وأنت كيف التقيـــت بـــه ، حتـــى يبعثـــك لتقطع هذه المسافة الطويلـــة ، وتتحمـــل هـــذه المشـــقات دون علم بالمكان الذي تقصــــده ؟ "

صمـــغ شجـــر الكلحـــو :

قال أبو بكر " سبب لقائي بـــابنك أمـــر محـــزن أصـــابني فى مدينتنا لم استطع تحمله ، فتركتها غاضبـــاً ، ابحـــث عـــن الثأر لما أصابني ، وأثنـــاء طوافـــى فـــى الأرض ، شـــاء الله أن أصل إلى المدينةِ التى يعيش فيها ، وقيل لـــــي أنـــه وحـــده الذي يستطيع تخفيف عني هذه الآلام ، وعندمـــا ذهبـــت إليـــه وقلت له، قال أنه سيلبى طلبي على أن آتيـــه بصمـــغ شـــجرة الكلجو ، فلما قال لي ذلك ، قلـــت ، لا أعـــرف أيـــن أجـــده ، وهذا هو السبب الذي جئت إليك من أجله ، قـــال أنـــه عندمـــا كان صغيراً ، كان يســمعك تقـص عليـه أخبـاره والمكـان الذي يوجد فيــه "

إلا مـــا شـــاء الله :

قال العجوز " ما هو الأمر الذي أصــــابك بــالضرر البلــغ الذي جعلك تضحي بروحك ؟ لتحصــــل علـــى هــذا الشـــيء الذي لا يحصل عليه إلا من شــــاء الله."

قال " طلبت الزواج من فتاة فـــى مدينتنـــا ، فســلبها منـــي أحد الأثرياء بلا حياء، وكان فى اعتقـــادى أن الرغبــة فقــط وحب المال ، ولكن عندمـــا ذهبــت إلـــى أبنــك وأخبرتـــه ، اخرجني من جهلي ، وقال أنه قيل للـــثري أنـــك إذا تزوجتـــها بلغت المراد ، الذي هو أغلى شيء فى الحيـــاة فـــى نظـــره ، لأنه لم يـــرزق ابنـــاً ، لذلــك ذهبــت إلـــى ابنــك ، أطلــب مساعدته ، بأن يعيد هذا الابن الذي يرجــــو البركـــة بوجــوده ينقلب أفسد خلق الله على الأرض ، حتى يكـــون لــــه مصـــدر كل مصيبة ، ويفضل المـــوت علـــى هــذا الابـــن المنتظـــر ، فقال سيعمل ما تريد ، بعد أن آتيه بصمغ شــــجرة الكلجـــو "

قال العجوز " أيــــها الشــــاب ، الأفضــل لــك أن تصــبر، وتتركه لله ينتقم له ، لأن هـــذا المطلـــب الـــذي تنشـــده ليـــس أمراً طيباً ، لا ينبغي أن تواجه الشـــر بفعـــل الشـــر ، دع الله يحكم بينكـــم "

وأخذ العجوز يهدأ من روعه ، فلما عجز عن إقناعه ، قال " هذا الأمر الذي حدثني عنه لا أحب أن أفعله ، ولكن طالما أنني حصلت منك على أخبار ابني ، فإنني لن أرفض مساعدتك ، بالرغم من أن ما تحتاجه أمراً سيئاً ، وعليك أن تعرف أن أمامك مشاق كثيرة ، وأنك تقطع حتى الآن نصف رحلتك ، فستبتعد عن الأماكن المأهولة بالبشر بمسافات طويلة، وتدخل في غابات رققى ، حيث تجد مطلبك المنشود ، إذا كتب الله لك التوفيق ، وخفف عن متاعبك ، ولتعلم أن هذا الأمر لن يصل إليه إلا الرجل الشجاع حقا ، وإذا استمعت إلى نصيحتي ، الأفضل أن تعود إلى مدينتكم وتصبر ، وتتركه لله .

قال أبو بكر " مهما كانت المشقات التى سأتحملها لن أعود ، وأفضل الموت في سبيل الوصول إلى هذا الهدف من العودة إلى مدينتي وأعيش لأشعر بالآلام في كل حين."

عندما رأى العجوز أنه يتحمل مشقات السفر قال " امكث هنا يومين لتستريح ، ثم أعطيك الزاد لترحل "

زينب تشعر بالحمل :

وبينما زينب في بيت زوجها تستمتع بالحياة معه ، لم يمض شهران أو ثلاثة حتى شعرت بالحمل ، وعندما حان وقت الوضع ولدت طفلاً جميلاً ، قيل للمعلم شيخو أن زوجته ولدت ، ففرح فرحاً لا حدود له ، لأن كل ما كان يرجوه من أكثر من أى شيء فى الحياة .

وفى الحال أخبر أمير المدينة أن زوجة المعلم شيخو ولدت ، فبعث الأمير بالهدايا الكثيرة ، وفرح كثيراً ، وأمر المعلم شيخو أن يذهب الرسل إلى كل مكان ليخبروا أصدقاءه ، وخدمه بأن زوجته قد ولدت ، وقد ملأ السرور قلب كل من سمع أن صديقهم رزق وريثاً .

وفى يوم تسمية المولود احتشد جمع كبير ، وذبحت الأبقار والخراف وأقيم حفل أعظم مما أقيم يوم زواجه بالفتاة ، وأطلق على الابن اسم عبدالله ، ولكن كان ينادى غالباً باسم هدية ، وعم المدينة هرج ومرج عدة أيام ، وأخذ يدعو له كبار العلماء والشيوخ ، بأن يديمه الله ويجعله ابناً صالحاً فى ظل الإسلام ، ويتولاهم كما يتولاهم أبوه .

ودارت الأيام وكبر المولود ، وسترت عورته ، وأدخل المدرسة ليتعلم القراءة حتى كاد يحفظ القرآن ، وكان منذ نشأته ولداً طيباً كريم الخلق ، محبوب لدى الجميع ، وكان مصدر السرور لأبيه دائماً ، لم يترك شيئاً من متع الحياة إلا وقدمها إليه ، وقد بنى له والده حجرة خاصة في مسكن أبيه الخاص كان ينام فيه رفاقه من الأطفال ، حيثما يكون هدية يلتف حوله الأطفال ، لم يكن بينه وبين أي إنسان في المدينة إلا الأدب والاحترام فلا يحتقر أحداً، حيثما يسير يباركه كل من يراه .

البحـــث عــن غابـــة رققـــى :

أما أبو بكر ، فبعد أن قضــــى يوميــن فــى مدينــة يـــالى ليستريح ، أحضر له العجوز الحصان الـــذي ســيركبه أثنـــاء الرحلة ، وأمده ببعض المال ليشترى ما يريــــده مــن الطعــام أثناء الطريق ، وقـــدم إليـــه بعــض الثيـــاب ليســتعملها رداء وغطاء ، ودله على الطريق ، وقـــال لـــه " إذا خرجــت مــن هنا لا تعرج على أى مكان حتى تصـــل إلـــى مدينـــة تســمى سنجا ، إذا وصلت إلى هذه المدينة اســـترح قليـــلا ثــم اتجــه شمالا وسر حوالى سبعة أيام ، ثم اســـأل عــن غابـــة رققـــى وإذا دخلتها تجول بين أشجارها كثيراً ، لعــل الله يوفقــك فمـــا تطلبه شيء سحري ، لا يوجد إلا بصعوبـــة وأحيانـــاً يتشــكل للإنسان بشكل حشرة فيجن أو يمـــــوت "

وقال " لم أر مثله بعيني منذ جئت إلى هــــذه الحيـــاة "

قال العجوز " إذا أظهره الله لك ، ســـترى مكانـــه يضــــيء كأنه الشمس، مع أنه شيء صغير ، ولكـــن إذا وصلـــت إليـــه لتأخذه غالباً ما يختفـــى ، فـــإذا وصلـــت إلـــى مدينـــة ســـنجا ابحث عن علبة صغيرة واطلـــــها بـــالدهن ، وضعـــه بـــها إذا حصلت عليـــه .

وتبادلا التحية مع بعضهما ، وقـــال العجــوز " وفقــك الله، وخفف عنك المشـــاق "

قال " آميــن "

أعد أبو بكر متاعه البسيط وربطـــــه ، وركــب حصانـــه ، وأخذ يسير فى الغابة الموحشة ، ولم يلتق منـــذ بـــدأ الرحلـــة إلا برجل واحد بالقرب من مدينة يالى ، فقـــال لـــه الرجــل " ويحك أيها الرجل ، إلــــى أيــن ســتذهب فـــى هــذه الغابـــة الموحشة ، وليــس معــك إلا هــذا الحصـــان وهــذا المتـــاع اليسير ؟ فى هذا الخلاء ألا تخشـــى الأخطـــار ؟ يبـــدو أنـــك غريب ، ولا تعرف هذا الطريـــق . "

قال له أبو بكر " ذاهب إلى مدينــــة ســنجا "

" سنجا أنك رجل لا تحترم رأى مـــن هـــو أكـــبر منـــك ، ولا أعرف مدى استعدادك ، اذهـــب حفظـــك الله "

قال " آميــن "

يلتقى بقطاع الطرق :

أستأنف أبو بكر الرحلة حتى انتصف النهار ، واستمر فى المسير حتى أعجز السير حصانه لشدة الجوع والظمأ، وبعد مشقة بلغ نهرا مليئاً بالشلالات ، فنزل وجرد الحصان من سرجه ، وحمل متاعه البسيط ووضعه تحت ظل شجرة ، وسحب الحصان ونزل به إلى الماء فشرب، وأخذ يتقلب فى الرمال ، ثم صعد به إلى الشاطىء وقيده، حيث أخذ يرعى العشب النابت على شاطيء النهر ، وخلع أبو بكر ثيابه واستحم فى مياه النهر ، ثم ارتدى ملابسه وشرب ، وصعد إلى الشاطىء وجلس بجوار متاعه ، وأخرج زاده وتناول قليلا من الطعام ، وفجأة نظر خلفه فرأى رجلين قادمين من بعيد يحمل كل منهما غمدا ممتلأ بالسهام وقوسا، ركب السهم فى وتره ، يقصدانه ، وهو يجلس فى هذا الوقت ويكاد الخوف يقتله.

عند قدومهما ألقى أحدهما التحية ، فرد عليه أبو بكر وجسمه يرتعد خوفاً .

قال اللص " أنت ، إلى أين ذاهب ؟ "

قال " سنجا "

قال " هل أنت غريب ، لم تسلك هذا الطريق مـــن قبـل؟"

قلت " منذ أن خلقنى الله ، لم آت إلى هـــذا المكـــان "

فقال أحدهما لأخيه " يا له مـــن رجــل أبلــــه ، هــل جئنــا لنتحدث ؟ لنفعل ما جئنا من أجلـــه ، ونذهــب "

فقال لأبى بكر " أنت ، عليك أن تختار إمـــا متـــاعك وإمـــا حيـــاتك . "

قال أبو بكر " اختار حيـــاتي "

قال " اخلع ثيـــابك وســـروالك ، وضعـــهم علـــى متـــاعك هذا. "

فخلعها ووضعها ، ثم ذهب الآخرليفـــك الحصـــان ، فلمـــا رأى الحصان شخصا غير صاحبه ، أخـــذ يرفســـه ويعضـــه، فنادى عليه اللص قائلا " تعالى إن حصـــــانك ســـيعضنى ! "

فذهب أبو بكر مســـــرعا ، وأمســـك الحصـــان ، ووضـــع اللجام فى فمه ، والسرج على ظـــــهره ، فقـــالا لــــه " اذهـــب لشأنك ! " فأخذ طريقه عار إلا من ســـاتر العـــورة .

فلما رآه اللصان بدأ فى المسير ناداه أحدهما قائلا " انتظر !!"

وقف أبو بكر بلا حركة ، لم يرفع قدما ، وجسده يرتعد ، فلما وصل اللص إليه ، لطمه على وجهه ، وسحب سكيناً وقطع جزءاً من أذنه وتركه ، فرقد أبو بكر حيث هو يصرخ ، فاللطم مؤلم ، وأذنه مقطوعة، الغيظ يملأ قلبه لسرق متاعه ، وبعد قليل أفاق ، ولم يلحق به أحد ، وبعد العصر سمع حديث بعض الناس قادمين خلفه فظنهم بعض اللصوص ، فدخل إلى حافة الغابة ، ولجأ إلى شجرة وتوارى بين أغصانها ، فلما اقتربوا منه علم أنهم بعض الحمارة ، فلما رأى ذلك خرج وجلس على الطريق .

ولما وصلوا إليه قالوا " ماذا أصابك ؟ "

قال " جئت من مدينة يالى قاصداً مدينة سنجا ، فقابلني بعض قطاع الطرق ، فجردونى من كل ما أحمل ، وضربونى ، وقطعوا أذني كما ترون "

لما سمعوا كل ما قاله لهم قالوا " لقد رأينا آثار ذلك فى الطريق ، فمرضوه وقدم أحدهم قطعة من القماش ، وحملوه على ظهر الحمار وأوصلوه إلى إحدى المدن ، ومضوا في سبيلهم ، وذات يوم لم يجد منزلاً ينام فيه فنام فى السوق وبطنه خاوية ، ولما طلع الصباح لم يجد ما

يفطر به ، فلم يجد بدا من التسول حيث يتصدق عليه كل من يراه ، ونام فى السوق أياماً طوال ، ذات يوم رأه أحد الناس فسأله عن المكان الذي جاء منه ، فقص عليه كل ما واجهه من أخطار ، فأشفق عليه واصطحبه إلى منزله ، حتى استراح واسترد صحته ، وبعد عدة أيام استراح فيها تماماً ، قدم إليه رب البيت بعض الزاد ، وتصافحا ، وواصل رحلته .

ينــام فـــى الســوق ويقبـض عليــه :

ومرت الأيام وهو يواصل الرحلـــة ، حتـى وصـل إلـى مدينة تسمى ريمى عشاء ، فبحث عـن مكـان يـنزل فيـه ، ولكن كان يطرد حيث ذهب ، فلـم يجـد مكانـاً ينـام فيـه ، فذهب إلى سوق المدينة ، فوجد كوخـاً فدخلـه ونـام فيـه ، ونام على جنب واحد لـم يتحـرك إلا عندمـا سـمع النـاس يقولون " لص ! لـص " وقصـدوا إلـى السـوق ، ولغبائـه الشديد خرج ووقف علـى بـاب الكـوخ ، حيـث لا يعرفـه أحد، فرآه الناس فقال " النجدة يا نـاس !! هـا هـو اللـص " وفى الحال التف حوله الناس وامسـكوا بـه وانـهالوا عليـه ضرباً وهو يقول " انتظروا ، لست لصاً ! أنـا غريـب جئـت اليوم ، بحثت فى كل المدينة عن مكان أنـام فيـه فلـم أجـد فعدت إلى السوق ونمت فيه ، وهاكم متاعي فـى الكـوخ "

قال الناس " إنه كـذاب ، لابـد أنـه هـو اللـص الـذي يطاردونـه الآن "

وقيده وحمله إلى منزل أمير المدينة ، ولمـا طلـع النـهار أخذ إلى منزل القاضي ، فسأله عن المدينة التـى جـاء منـها فقال من مدينة جلمـا .

قالوا " لم نسمع أبدا عن مدينة بـــهذا الاســـم ، إنـــه يكـــذب وهو اللــص "

حكم عليـــه القـــاضى بخمســـين جلـــدة ، والحبـــس ثلاثـــة أشهر.

صب عليه العذاب ألوانا ، وبعد انتـــهاء الاشـــهر الثلاثـــة ، أطلق سراحه وطرد خارج المدينة ، واســـــتمر فـــى رحلتـــه ، ولم ينته كل ما واجهه من صعاب عن مقصـــــده ، ولـــم تـــزده إلا تصميماً ، وكانت فكـــرة الانتقـــام تشـــغل كـــل تفكـــيره ، ودارت الأيام وطالت الرحلة حتى بلغ مدينـــــة ســـنجا ، وكـــان دائماً يقول فى نفسه " لن أعود إلى موطنـــــى ، مـــهما كـــانت الصعاب ، حتى أحصل على صمغ شــــجرة الكلجـــو ، بـــإذن الله "

ولما تذكر المشاكل التى واجهته فـــى ريمـــى وهـــو قـــادم إلى هذه المدينة قصد مـــنزل الأمـــير مباشـــرة ، وقـــال أنـــه غريب سيرحل ولكنـــه يريـــد مـــنزلاً ، فســـأله الأمـــير عـــن المدينة التى جاء منها فقال له ، فأمر أن يؤخـــــذ إلـــى مدخـــل السوق ، حيث نزل فى منزل رجل طيب ثـــرى ، مكـــث فـــى المنزل الذي أنزل فيـــه الأمـــير ، ولـــم يجـــد صعوبـــة فـــى الحصول على الطعـــام .

وذات يوم جلس يتحدث مع صاحب المـــنزل ، فقــال لـــه " لن أمكث طويلاً فى هذا المكان ، إن ما جــاء بـــي إلـــى هنـــا هو كذا وكذا   ودلونى على غابة رققى إننـــي أجــد مطلبـــي هناك "

يجمـــع الـــزاد :

قال الرجل " لابد أنه هناك ، حيــث توجــد غابــة ، فيــها كل شيء يبحث عنه الإنسان ، ولكــن يجــب أن تمكــث هنــا يومين لتستريح ، لأنك تعبت من الســفر ، وبعــد أن تســتريح أزودك ببعض الزاد لتواصل الرحلــــة "

وافق أبو بكر على كلامه ، ومكث يعمــل حمــالاً ، مقــابل قليل من المال يجمعه ليشترى بــه الــزاد . "

وذات يــوم قــال لــرب البيــت ، أنــه يريــد الرحيــل ، فأحضر زاداً كثيراً وقدمه إليــه ، جمــع أبــو بكــر متاعــه ، واشترى العلبة الصغيرة التى طلب منــه الرجــل العجــوز أن يحصل عليها ، حيــث يضــع فيــها صمــغ الكلجــو عندمــا يحصل عليه ، ثم واصل الرحيل ، ينــــام اليــوم فــى مدينــة وبعد أيام ينام فى أخرى ، حتى وصل إلى مدينــــة نــام فيــها وأخبره أهلها أنه لا مدن بعد ذلــــك .

سأل عن غابة رققى ، ولكنه لم يجــد رداً مؤكــداً لأن كــل من سأله يرد عليه قائلاً أنه لـــم يذهــب إلـــى هنـــاك أبــداً ، ولكنهم لم يختلفوا على خطورة هـــذه الغابــة ، فلــم يســمعوا عن أحد ذهب إليها وعاد ، فمكث فى المدينـــة لمـــا ســيواجهه من مشــقات .

يصـــل إلــى منــزل صيـــاد :

عندما استعد تمامــــا قـــام وبـــدأ الرحلـــة ، حتـــى تجـــاوز الريف ، ومنذ أستأنف الرحلة أخذ يمـــر علـــى القـــرى قريـــة قرية ، حتــــى أصبـــح لا يـــرى إلا المراعـــى ، وبعـــد أيـــام اختفت هى الأخـــرى عـــن النظـــر ، فلـــم يتوقـــف وواصـــل السير حتى وصل إلى منزل أحــــد الصيـــادين داخـــل الغابـــة الموحشة ، فعرج عليه وألقى عليه الســـــلام فخـــرج صـــاحب المنزل وسأله عما جاء به إلى هـــــذه المدينـــة ، فلمـــا أخـــبره تملكته الدهشة ، وقال " لو سمعت نصيحتـــــي ، عـــدت طالمـــا أن فيك بقية من الحياة ، وإذا لم تأخذ بـــــها ومضيـــت ، فـــإنك لن تعود، لأن هذه ليســـــت غابـــة صغـــيرة أننــــى لا أعـــرف مداها بالرغم من إقامتى بها ، فقد يمـــر ثلاثـــة أشـــهر لا أرى فيها مخلوقا واحـــدا "

قال أبو بكر " سمعا وطاعـــــة ، ولكـــن طالمـــا أننـــي قـــد عزمت على الوصول إلى مطلبي ، فـــــلا شـــيء ممـــا تقولـــه لى ممكن أن يثنينى عن عزمـــي، هـــل اقطـــع هـــذه الرحلـــة الطويلة ، وأتحمل كل هذه الأخطار والمشـــــقات ، ثـــم أعـــود صفر اليديـــن ؟ "

قال الصياد " كل الأخطار والمشقات التى واجهتها تعتبر بسيطة لما ستلاقيه مستقبلا "

ثم بدأ يقص عليه ما يعرفه من أخباره هذه الغابة المخيفة والسيئة وما يسكنها من جن ، فلما أدرك أن كل ما قص عليه لم يخفه ، ولم تثنه عن مقصده ، تركه وقال " فىَ الغد سأصطحبك حتى هذا الجبل ، وهنا أدلك على الطريق "

لما طلع النهار اصطحبه الصياد فى الطريق حتى وصلا إلى المكان الذى حدثه عنه من قبل ، وصعدا الجبل، حيث نظر أبو بكر فلم ير شيئا على مدى بصره إلا هذه الغابة الموحشة ، التى يخشاها الشجعان ، وهنا قال الصياد هل ترى ذلك الجبل الذى لا تكاد العين تراه ، ستذهب إليه ، فإذا وصلت إلى هناك وسرت مباشرة ، اعتقد أنك بعد عدة أيام ستدخل الغابة التى ستجد فيها مطلبك . "

شكره أبو بكر وتبادلا التحية وقالا " نسأل الله اللقاء مرة أخرى " وعاد الصياد وواصل أبو بكر الرحلة .

سار أبو بكر أياما طوال حتى وصل إلى الجبل ، وواصل السير حتى ظن أنه وصل إلى المكان الذي يبحث عنه ، فوجد كهفا فى باطن الجبل ، فوضع متاعه ، فلما

أقبل المغرب بدأ فى البحث ، ولم يعد حتى طلع النهار ، وهكذا ظل يبحث عدة أشهر ، حتى نفذ زاده ، فبدأ يأكل ثمار الأشجار وجزوع النباتات والحشرات ، ولم ير شيئا خلال هذه الفترة ، حتى بدأ اليأس يسيطر عليه .

ظل يقضى الليالي فى البحث عما ينشده ، وفى النهار يبحث عن كهف فى باطن الجبل أو جزع شجرة فيدخله وينام فيه ، واستمر على هذا الحال حتى عجز عن عد السنوات التى قضاها .

وذات يوم وهو على هذا الحال ، كان يتجول فى الغابة، فرأى شيئا يتلألأ من بعيد كالشمس بين أغصان إحدى أشجار الكلجو ، فتملكه السرور وأخذ جسمه يهتز فرحا ، وجرى مسرعا ليلتقطه ، وأثناء الجرى اصطدمت رجله فى كتلة خشبية ضخمة ، فوقع على أسنانه فبرزت خارج فمه ، فلما قام لم ير شيئا وأظلم المكان تماما كما كان قبل ذلك ، فأخذ ينظر فى كل مكان حوله ، ويبحث حتى طلع النهار ، وبدأ يشعر بالألم الشديد فى أسنانه ، حتى فقدته لذة الحياة ، ومكث فى المكان ليلا ونهارا فلم ير شيئا ، فحزن حزنا شديدا ، وترك المكان وأخذ يبحث فى مكان آخر ، حتى أضناه البحث ولم ير شيئا .

وذات يوم هبت عاصفة شديدة ، وهطلت السماء بالأمطار ، ولكنه لم يعبأ بحرارة الشمس ولا غزارة الأمطار مهما اشتدت ، وأخذ يتجول فى الغابة مواصلا البحث ، وأثناء ذلك سمع صوت الرعد الشديد والبرق فى وقت واحد ، حتى عجزت عيناه عن الرؤية ، ثم أعقب ذلك ظلام دامس ، وتوقفت الحركة تماما ، وبعد قليل رفع رأسه إلى أعلى فرأى من بعيد ضوءا شديدا ، فلم ينتظر لحظة وجرى مسرعا وقصد مكانه ، فرأى شجرة الكلجو الضخمة أمامه كاد يصطدم بها ، وبين أغصانها شيء يلمع ، فتسلقها وهم بانتزاعه ، وفجأة هبطت صاعقة على الشجرة فقسمتها نصفين ، فوقع على الأرض فاقد الحركة، ولم يشعر أبو بكر بمن ألقاه بعيدا حيث ظل راقدا لا يشعر بما حدث له ، ولم يفق حتى طلع النهار ، فرأى الشجرة قد احترقت ، ولا أثر لما رأى أثناء الليل ، فقام يجر جسده الثقيل ، ومضت عدة أيام قبل أن يسترد صحته ويستطيع مواصلة السير .

الرؤيــة الثالثــة :

لم يمض وقــت طويــل حتــى رأى هــذا الــبرق للمــرة الثالثة، فأخذ يتجول فـــى الغابــة ، ثــم عــاد إلــى مرقــده ، وأوشك النهار على الطلــوع ، وفجــأة نظــر أمامــه فشــاهد الضوء كنور الفجر ، فظـــن أن النــهار قــد طلــع ، وتلفــت حوله فوجد مطلبه وقـــد فــاق نــوره هــذه المــرة المــرات السابقة ، فنسى مــا تكبــده مــن نصــب ، وجــرى مســرعا خشية أن يختفى مرة أخرى قبل أن يصــل إليــه ، ومــا كــاد يمد يده إليه ويلمسه حتـــى رأى ثعبانــا كبــيرا أســودا قطــر جسمه كفخذ الإنسان لا يرى نهايــة لــه ، فــتراجع للــوراء ، ولما رفع الثعبان رأسه ونظــر إليــه ، رأى عينيــه كجمــرة النار ، ولسانه أحمر كألسنة اللهب ، فغطى أبــو بكــر وجهــه بيديه وكاد يسلم نفسه للمـــوت .

ماذا جاء بــك ؟

ثم سمع صوتا كالرعد يقول له " أنت أيـــها الرجــل مـــاذا جاء بك إلى هنـــا ؟ ألــم تمنعــك الأخطــار التــى واجهتــها مرتيــن ؟ "

وفى خوف شديد قال " من أنــــت ؟ "

فرد عليه قائلا " أنا ملك الجن الــــذي امتلــك كــل صمــغ الكلجو ، لا يوجد مخلوق يستطيع أن يأخذه مــن بيــن يــدى ، إلا من أجده يستحق الحصـــول عليـــه ، كــاد تطفلــك اليــوم يقضي عليــك " .

قال أبو بكر " أطال الله حياتك ، والله لـــم أكـن أعــرف ، ليس التطفل هو الذي جاء بـــي " وحكــى لــه كــل الأســباب التى جاءت بــه .

فانفجر ضاحكا وقال له " أيــــها الشــاب ، إننــا لا نقصــد لفعل الخير ولكن للشر دائمــا ، لــو لا أنــك قــادم إلــى منــذ البداية ، ما واجهتك كل هذه الصعاب ، كــل مــا تريــده مــن شر ، أساعدك فيه ولا تطلـــب منـــى خــيرا لأن الشــر مــن طباعنا ، وكل من يسعى لفعله يكون مـــن أصدقائنـــا "

وهنا أغمى عليه ، ولم يشعر بـــأى شــيء ، ولمـــا أفــاق وفتح عينيه رأى النهار قد طلع ، وهـــو راقــد أســفل شــجرة الكلجو تماما ، حيث وقع ، فنظـــر هنــا وهنـــاك ، فلــم يــر الثعبان ، فظن أنه كان فى حلــم مخيــف ، ثــم نظــر فوجــد علبته الصغيرة ، حيث ألقاها عندما أغمى عليــــه ، فمــد يــده وأخذها ، فشعر بشـــيء يرتعــش ، ففتحــها فــرأى ضــوءا شديدا كأنه فى وضح النهار ، فأســـرع وأغلقــها ، وحمــد الله

ولفها فى ثيابه ، وقام عائدا ، ولم يحـــاول أن يتفقـــد مـــا فـــى العلبة ، فقد أنساه الفرح والســـــرور كـــل شـــيء ، ثـــم أخـــذ الطريق متجها حيث يعيش النـــــاس ، واســـتمر فـــى المســـير حتى خرج مـــن الغابـــة ودخـــل الريـــف ، واســـتمر يطـــوى الأرض سيرا حتى وصل إلى مدينـــــة ســـنجا .

يجــد رفيــق الطريــق :

قضى أبو بكر عدة أيام فـــى مدينــة ســنجا حتـــى وجــد رفيقا، فالتحق بإحدى القوافل ، وواصل الســير حتـــى وصــل إلى مدينة يالى ، فلمـــا وصــل لــم يتوقــف إلا فـــى مـــنزل الرجل العجوز والد الساحر ، فلما رآه العجــوز لــم يعرفــه ، فقال له أنه أبو بكـــر .

قال العجوز : " من أبو بكـــر ؟ "

قال " الذى جاء إليك من مدينة عـــش مســتعدا "

قال العجوز " أنت كـــذاب ، لأنــك علمــت بأخبــار ولــد يسمى أبو بكر جاء فأكرمته ، جئت تدعى أنـــه أنــت "

قال أبو بكر " والله أنا هـــو "

قال العجوز " أنا لا أصدق ، لأن أبـــو بكــر الــذى جــاء إلى ، ولد جميل غير مشوه ، أما أنت فشـــكلك قبيـــح ، أســود ، ليس لك أسنان ، أشعث كقطـــاع الطـــرق . "

قال أبو بكر " أن ما جعـــل شــكلى يتغــير هكــذا ، هــو الجوع ، ومشقات الرحلة ، أترى أثر هذا الجــرح الــذى فــى جسمي ، أنه خمسين جلده حكم على بها فـــى إحــدى المــدن، وهذه الأذن التى تراهـــا مقطوعــة ، قطعــها بعــض قطـــاع الطرق ، والأسنان التى لا نرها اقتلعتــــها فــى الغابــة ، وإذا لم تكن تصدقنى حتى الآن ، فـــإليك دليلــي " ثــم قــدم إليــه العلبة الصغـــيرة .

فلما فتحها رأى الضـــوء الشــديد يمـــلأ الحجــرة ، قـــال " صدقت ! لا شك أنك أبو بكر كيـــف حـــالك ؟ " .

ثم استطرد العجـــوز قـــائلا : كـــل هـــذه الصعـــاب التـــى واجهتها لم تجعل قلبك يلين ، وتعفو عــــن عــدوك ؟ "

الثـــأر :

قال " هل يواجه الإنسان كل هذه المشقات ثـــم يليـــن قلبـــه؟ كل هذه المشقات التى واجهتـــــها ســأثار لـــها ممـــن دفعنـــي إياها، علاوة على ما فعله قبل ذلـــــك . "

استراح أبو بكر بعـــد مضـــى يوميـــن ، وذات يـــوم قـــال للعجوز أنه يريـــد أن يعـــود إلـــى مدينتـــه ، فـــأمده العجـــوز بالزاد ، وبعث معه الشقيق الأصغر للســـاحر ليعـــرف مكـــان أخيه ، وتبادلا التحيـــة ، واصطحبـــهما حتـــى وصــــلا إلـــى الطريق ، فواصلا السير الطويل حتى وصــــــلا إلـــى مدينـــة " عش مســتعدا "

ولما وصل أبو بكـــر اتجـــه إلـــى مـــنزل الســاحر ، فلـــم يعرفه أحد من الخــــدم .

قال " جئت إلى رب البيت " فدخلـــوا واخـــبروا ســيدهم أن ضيفا بالباب، ثم دخلوا بعد خروج ســـيدهم ، بعـــد أن تبـــادلوا التحية سألهم من أين جـــاءوا .

قال أبو بكر " يا سيدي هل نســـــيتني ؟ "

قال " نعم ، نسيتك ، أخبرني مـن أنـت "

قال " أنا أبو بكر ، من مدينة جلما الـذي طلبـت منـه أن يذهب للبحث عن صمغ شـجرة الكلجـو "

قال لأبى بكر ! " والله لـم أعرفـك ، أرى شـكلك تغـير تماما ، لعلك كنت مريضـا ؟ "

قال أبو بكر " يـا سـيدي ، لـولا أن الله قـد كتـب لـي الحياة، لمت ، كل ما فى هـذه الدنيـا مـن مشـاق واجهتـها جميعا ، وأشكر الله الذي بلغني ما أريـد ، إن الشـيء الـذي طلبته مني قد حصلت عليه ، هاهو الغلام الـذي جـاء معـى شقيقك الأصغـر ، أرسـله معـى والـدك ليـأتى لرؤيتـك ، ويعرف أين تقيـم "

فرح السـاحر فرحـا شـديدا برؤيـة شـقيقه الأصغـر ، وأخبره أن والده مازال حيا ، وقال لأبى بكـر " اذهـب إلـى حجرتك ، وغدا بعد أن تسـتريح نتحـدث ، فقـام أبـو بكـر ودخل حجرته ، وقدم إليه الطعـام فـأكل ، وبـدأ يسـتريح ، وتركه الساحر مـع شـقيقه الأصغـر ، يسـأل عـن أخبـار المدينـة .

وعندما طلع النهار جاء أبو بكر وقال للســـاحر " هـــا أنـــا قد حصلت على ما طلبته ، أريـــد أن تصنـــع لـــي مـــا أريـــد لأعود إلى منزلى ، لأننى لم أره منذ عشـــر ســـنوات تقريبـــا، وأظن أنهم لا يعتقدون الآن أننـــى حـــي "

يعطيه الدواء السحرى :

قال الساحر " وهو كذلك " وصنع له الدواء السحرى وقدمه إليه " خذ هذا ، عندما تصل ، وترى الغلام اغسل يديك به ، ولا تمس شيئا بهما غيره ، وعندما تراه حاول أن تقتلع شعرة من رأسه ، وضعها فى هذا الدواء وأبحث عن قبر جديد وأحضره وضع الشعرة والدواء فيه ، تقضى كل حاجتك "

مد أبو بكر يده وأخذهما فى فرح وسرور وشكره شكرا كثيرا ، ثم قال " ولكن هناك مشكلة كيف سأجد الفرصة لأمسح جسمه بالدواء ، وكيف أحصل على شعرة من رأسه ، ربما سيكون هذا أمرا عسيرا "

قال الساحر " ليس هذا أمرا عسيرا فمن يتحمل كل هذه المشقات ويستطيع الوصول إلى ما يريده ، هل يعجزه هذا الأمر ؟ ولكن خذ هذه التميمة لا تسمح لأى إنسان فى هذه الحياة أن يحرمك منها . " فكرر أبو بكر له الشكر .

لم يمكث هذا اليوم فى المدينة فقد قـــام واســتأنف رحلتــه عائدا حتى وصل إلى بوابة مدينة جلمـــا بعــد أيــام طــوال ، لم يعرفه كل من التقى به حتى وصل إلـــى منزلــه .

لما وصل إلى المنزل لم يتوقف إلا فـــى داخلــه ، وكــانت أمه تجلس عصرا خـــارج المــنزل ، فــرأت رجــلا يدخــل عليها المنزل فقالت " من هذا الرجـــل الــذي يقتحــم المــنزل دون أن يستأذن ؟ " فلم يقل أبو بكـــر شـــيئا .

يعـود إلــى منزلــه :

قالت " إذا لم تخرج سأستنجد منــك كــاللص "

حينئذ قال " أمــى "

ثم قامت مسرعة وعانقته وقــالت أبــو بكــر ، مــن أيــن جئـت ؟ "

قال " ها أنا ذا ، لقد شاء الله أن نلتقى مـــرة أخــرى "

ثم انفجـــرت فــى البكــاء ، فســمع الجــيران ، فجــاءوا مسرعين ، يقولون " ماذا حدث ، مــاذا حــدث ؟! "

قالت " ابني عاد " فامتلأ البيت كله بــالفرح والســرور .

قالت الأم " اشكرك يا ألـــهى ، لقــد أرجعــت لــي ابنــي سالما " وفى الحال قامت وأحضـــرت لــه الطعــام ، فــأكل ، واستراح ، وذاع الخبر فى كل مكان بأن أبو بكــر قــد عــاد، وكان أخوه الأصغر فى الســوق ، فلمــا ســمع ذلــك تــرك

بضاعته ، وعاد إلى البيـــت مســرعا ، فلمـــا وصـــل وجـده جالسا مع أمه ، قال " يا أمى ، أيـــن أخـــى ؟ "

قالت " ألا تراه جالســـا ؟ "

قال " أخى مرحبا بقدومك " فـــرد التحيـــة .

حينئذ قال أخوه الصغير " والله لو تقابلت مــــع أخـــى فـــى الطريق قبل ذلك ، لمضى كل منـــا دون أن يعــرف الآخــر ، إلا إذا تكلم معى ، لأننى أرى شكله قد تغـــير تمامـــا . "

وجلسوا يتحدثون ، وأخذ الناس يتوافـــدون عليـــه مـــهنئين بسلامة الوصــــول .

وذات يوم وهم جالسين سأل أخـــاه الأصغــر " مـــا أخبـــار زينـــب ؟ "

قال " لم يمض وقت طويـــل بعـــد رحيلـــك حتـــى انجبـــت زينب ابنها ، ولد جميل طيب ، محب للعمــــل ، يحـــترم كـــل إنسان فى المدينة ، هـــذا هـــو الطريـــق الـــذي يســلكه إلـــى المدرسة ، سأدلك عليه ، لقد صار صبيـــا كبـــيرا .

وبينما هم جالسون ظهرا وإذ بهدية ، ينادى الأولاد ليذهبوا معه إلى سوق الجمعة ، فقال شقيقه الأصغر " ها هو هناك وسط الأولاد ، ذو الثوب الجميل . "

قال أبو بكر " حقا لقد كبر الولد ، أن من تتوفر له النعمة لا ينقصه النمو "

قال " ويحك يا أخى ، ألا تنظر للسنوات الطوال التى قضيتها ! "

قال " صدقت "

ثم استطرد أبو بكر قائلا " والآن ألا ينام فى المنزل "

قال شقيقه الأصغر " ويحك هذا الولد أكبر من أن ينام فى المنزل ، لقد سمعت أن أباه قد بنى له طابقا كبيرا فى مسكنه الخاص ، وفرشه بأثاث رائع ، ينام فيه مع خدم أبيه .

قال أبو بكر " وأى حجرة فى المنزل تنام أمه ؟ "

قال " سمعت من النساء أنه بنى لها منزلا كبيرا ذات حجرات ثلاث تقيم فيه "

يستعمل الــدواء السحــرى :

وذات يوم بعد أن خلت الطرق من الســـالكين ليــلا ، قـــام أبو بكر ، وغسل يديه بـــالدواء الســحرى الــذى قدمـــه إليـــه الساحر ، وتوجه إلى منزل المعلـــم شــيخو ، ودخـــل مســكنه الخاص ، ورأى الحجرة التى ينام فيـــها هديـــة، فلمـــا دخلـــها وجد الكل مستغرقا فى النوم ، فعرى جســـد الغـــلام ومســـحه بيده ، وأخذ المقص مـــن ســـترته ، وقـــص شـــعر رأســـه ، وخـرج لشـــأنه .

ودخل مكانا آخر فى المنزل ، وذهب إلـــى حجـــرة زينـــب فوجدها مستغرقة فى نوم عميق ، فنادى عليـــــها " زينـــب ! "

فتلفتت وهى فى سكرة النوم ، وقـــالت " مـــن ؟ "

قال " أنا أبو بكر ، الـــذي أذللتيـــه علـــى أعيـــن النـــاس ، ألست تعرفين أنه بســـببك هجـــرت المدينـــة ، وهمـــت علـــى وجهى فى الدنيا ، وذقت كل العذاب ، ولكنـــــى عـــدت لأقـــول لك ، لقد حان وقت الجـــزاء ، واســـمعى مـــا ســـأقوله لـــك ، لتعلمى أنه كل مـــن يذلنـــي لا يعيـــش ســـالما ، ابنـــك الـــذى ولدتيه ، سيصير فاسدا ، لقد طلبتموه بركـــــة ولكنـــه ســـيصير لكم لعنة ، وسيجلب لكم العار والهم ، حتى يكـــــون يومـــا مـــا

سببا فى قتل أبيه " ثم التفت وعاد من حيث أتى ، وذهب إلى شأنه .

وفى الصباح استيقظت زينب ، تفكر فى نفسها ، وتقول " اليوم رأيت مناما مخيفا ، إنه صوت أبى بكر الذى سمعته فى المنام ، كأنه فى حجرتى يتكلم معى ، هذا الكلام أزعجنى ! " ثم قامت مذعورة ، وذهبت لترى ابنها، فوصلت إلى حجرته الخاصة ، وأطلت لتراه مستغرقا فى النوم ، فعادت إلى حجرتها ، وقد هدأت نفسها قليلا " إنه مجرد منام فقط " واستقر هذا الأمر فى نفسها ، ولم تذكره لأى إنسان .

عندما خرج أبو بكر ، أعد الدواء السحرى ، وخرج فى الليل إلى المقابر ، ووجد قبرا حديثا فحفره وألقى فيه الدواء ، وأهال عليه التراب، وغطاه وعاد إلى المنزل واستسلم للنوم .

بــدأ الولــد ينحــرف :

عندما طلع النـــــهار ، اســتيقظ هديـــة ، وبعــد أن غســل عينيه وصلى ، دخل لتحية أبيه وأمــــه ، فقدمـــت إليـــه طعـــام الإفطار ، وأخبرها أنه سيذهب إلى المدرســـة ، وخــرج إلـــى حجرة أبيه وأخـــذ شــلنين وخــرج لشــأنه ، وبــدلا مــن أن يتوجه إلـــى المدرســة ، تخلــف عــن رفاقــه وذهــب إلـــى المدينة، وأنفق المـــال .

ولما دخل أبوه ، عد المال فوجـــد أنـــه ينقــص شــلنين ، فنادى ربة البيت وقال " من دخل هـــذه الحجــرة ؟ "

قالت " منذ خروجك لم أر أحــدا يدخـــل إلا هديـــة ، مـــاذا حــدث ؟ "

قال " لا شـــيء "

وتعجب فى نفسه ، وقال " إنـــي متـــأكد مـــن أن ابنـــي لا يسرق ، هذه حيلـــة النســـاء ، لأنـــهن يشـــعرن بحبـــي لـــهذا الولد. " لأنه يعرف أنهن يحقـــدن عليـــه . " ولكـــن إذا كـــان هو ، سأسأله عندما يعود ، لابد أنـــه ســيخبرني "

وانتظر وانتظر ، فلم يعـــد هديـــة ، فبعــث أحــد خدمـــه ليذهب ليرى ماذا أصاب هدية حيث لم يعد إلــــى المــنزل .

فأخبره معلمه أنه لم كــان ينــوى أن يذهــب بنفســه إلــى منزله ليعرف ماذا أصابه لأنه لم يره اليوم فــــى المدرســة .

الأب يتعجـب :

عندما عـاد الخـادم أخـبره ، ازدادت دهشـته لأنـه لـم ينقطع عن الذهاب إلى المدرسة من قبـل ، ثـم أرسـل مـن يبحث عنه فى كل مكان فلم يجده ، حتى عـاد إلـى المـنزل عصـرا .

فسأله أبوه " إلى أين ذهبت وتـأخرت هكـذا ؟ "

قال " ذهبت إلى المدرسة ، وانتظـرت لأكتـب الـدرس ، ولم انته منه بسـرعة "

سكت الأب وهو يشعر بالحزن ، لأنـه يعـرف أن الكـذب لم يخرج من فم ابنه قبـل الآن .

قال أبوه " هل رأيت مالا علـى الفـروة ، عندمـا دخلـت حجرتى فى الصباح ؟ لأننـى تركـت بعـض المـال عليـها فنقص شلنين ، لعلك تعرف مـن أخذهمـا ؟ "

قال هدية " وما شأنى ، هل جعلتنى عليـها حارسـا ؟ "

ثم ذهب المعلم شيخو إلى زينب ، وقال لها " ماذا أصاب هذا الولد اليوم ؟ لأننى لم أسمعه يتحدث إلى كما يتحدث الآن "

فأحسست بجسدها يتصبب عرقا ، وتذكرت المنام الذي رأته ، وقالت " ماذا قال لك ؟ " قال " سألته فقط ، هل رأى شيئا فقدته ، فقال لي قولا سخيفا وها هو أيضا يكذب على ويقول أنه ذهب إلى المدرسة مع أنه لم يذهب "

قالت " الأفضل أن تتركه ، وسأسأله أنا ، لابد أن هناك سببا "

ولما خرج الأب قامت ، وأعدت له طعاما شهيا وقالت " إذا دخل ليأكل اسأله ، لابد إنه سيخبرني بما يضايقه ، لأنه لا يخفى عنى شيئا "

وعندما أعدت الطعام ، بعثت من يناديه ليأكل ، فمكث مكانه ولم يعر أى اهتمام ، حتى برد الطعام ، فدخل وقال مخاطبا أمه " أين الطعام؟"

أحضرته إليه ، فلما كشفه ، قال " هل آكل طعاما باردا هكذا ، كأنه طعام يقدم إلى الكلب ؟ " ثم رفسه بقدمه ، فانقلب الإناء ، وقام وخرج .

فقالت " انتظر أريد أن أتحدث معك ، مـــاذا أصـــابك ؟ "

قال " لقد شبعت من الأســئلة " وخــرج لشـــأنه ، وتركـــها تبكى حزنا وهما، ولم ينم فى البيت فى هـــذا اليـــوم ، وذهـب إلى حانات اللهو والطرب حيث قضـــى الليـــل .

يســرق كالفــأر :

ودارت الأيام ولم يزد حال الولد إلا ضـــلالا فقــد كــثرت مشاجراته مع الأولاد فى المدينة ، وكــثرت الشــكاوى منــه ، ورفض الذهاب إلى المدرسة وأخذ يتســكع فــى الشــوارع ، ولا ينام فى المنزل ، وإذا دخل المنزل سرق كــل مــا يــراه من مال أبيه وأمه ، وعاداه كل إنسان فـــى المدينــة ، وأخــذ الناس يتساءلون فى دهشة " ماذا حدث ؟ لولــد طيــب كــهذا، لم يحدث أن حيا إنسانا واقفا ، ولم يســمع أنــه تشــاجر مــع أحد ، يضل الآن ويسرق كما يســرق الفــأر "

أصبح المعلــم شــيخو وأم الولــد لا ينعمــان بالراحــة أو السعادة ، وكلما جلست مع ضراتها أخــذن يعيرنــها قــائلات " اذهبى هناك ، عندما تحمليــن تلديــن ابنــا ، يصــير لصــا كالفــأر " فلــم تجــد أمامــها حــلا إلا البكــاء المتواصــل ، وتضرب الأبن ، والأب يضربه ، واأســفاه ! جفــت الأقــلام وطويت الصحــف .

وأخذت زينب تفكر كثيرا فيما ســمعت وهــى فــى ســكرة النوم ، وقالت أحقا هذا ، حسبنا الله فمن عمــل هــذا العمــل ،

ولكن أغلب ظن أهل المدينة أن ضراتها هن اللاتي فعلن هذا بالولد ، لشدة غيرتهن منه .

وذات يوم نادى المعلم شيخو أم الولد ، وقال لها " ناديتك لأنى أريد أن استشيرك فى أمر هذا الولد الذي حيرني ، ها أنذا بعد أن كنت فى مركز كبار رجال هذه المدينة صرت كالفأر ، لما سببه هذا الولد لى من خجل ، وها هو يرفض الذهاب إلى المدرسة ، ويتسكع فى المدينة دون جدوى ، وأحيانا تمضى سبعة أيام دون أن يقع بصري عليه ، حتى أبعث إليه من يستدعيه ، وإذا استمر على هذا الحال ، فلا أعلم ما سيجلبه لي مستقبلا من العار ، فما رأيك ؟ "

قالت " يا سيدي أي أمر تراه المرأة ؟ إن هذا الأمر أخطر من أن أتكلم فيه ، ماذا سأقول ؟ ولكن اصبر ، سنجتاز هذه المرحلة بقدرة الله .

قال " لن نستطيع الحياة معه على هذا الحال ، سأبعث به إلى معلمه ليقيده بالسلاسل ، ويمنعه من الخروج حتى يحفظ القرآن " فانفجرت باكية .

وبينما يستعد ليبعث من يستدعى المعلم سمبو عندما يطلع النهار فإذ بهدية يهرب من المنزل فى الصباح الباكر ، ويخرج يتسكع كعادته ، ولما شعر أنه إذا بقي فى

المدينة سيبعث والده من يستدعيه ، تذكـر أنـه يوجـد سـوق على بعد خمسة أميال من مدينة جلمـا ، حيـث يجتمـع فيـه كثير من المتسوقين ، فقصده وهو يعلـم أن أحـد خـدم أبيـه فى هذا السوق يبيع بعض السـلع .

عندما ذهب قال لخادم أبيـه ، إن المدرسـة قـد تعطلـت الآن لأن العيد قد اقترب ، فطلب مـن والـده أن يـأتى إليـه فى السوق ، قال الخادم " يا هدية لعلك تكذب فلـم يسـبق لـك الحضور إلى هنا ، أو لعلك هربت مـن المدرسـة؟"

لم أهرب :

قال " والله لم أهرب ، وإذا كنت تظنني أكذب ، ابعث من يسأله "

قال " لا بأس ، أجلس "

وكان الحانوت مملوء بالعملاء الذين جاءوا لشراء حاجيات العيد ، وكان من بين هؤلاء من يحمل ماله فى حقيبته ، فوضعها فى متاعه الذي اشتراه وربطه . وكان هدية يراه عندما ترك المتاع وأخرج المال ودفع ثمن الخمار الذي اشتراه . وأرجعه مكانه . وبعد قليل قام العميل وذهب ليتبول . ثم أخذ متاعه الذى اشتراه ليربطه مع المال ثم يذهب إلى شأنه . بعد أن انتهى من التبول ، رأى ثوبا فوقف يساوم فى ثمنه وكان هدية قد غافل عيون الناس وغادر الحانوت ، وسرق المال وذهب لشأنه ، ولم يستأذن أحدا ، وبعد ان انتهى العميل من شراء الثوب تبعه التاجر إلى الحانوت ليقبض الثمن ، فلما عاد ورفع طرف متاعه ليأخذ المال ، لم يجد شيئا .

وفى الحال أخذ يستغيث ، وهب واقفا فىالحانوت فوقف الجميع وأخذوا يبحثون فى متاعه فلم يجدوا شيئا ، فبحثوا عن هدية فلم يجدوه وذهب الجميع بضوضائهم إلى القاضي ، وذكروا أمامه الوقائع ، فأمر بالعودة إلى الحانوت والبحث فيه مرة أخرى ، فلم يعثروا على المال حينئذ أحد الذين كانوا يجلسون فى الحانوت " غفر الله لك يا سيدي ، لقد جاء ولد إلى الحانوت ، وعند رؤيتي له لم أطمئن إليه ، ولما خرج سرق هذا المال الذي نبحث عنه ولم نجده "

القاضـــى يعرفـــه :

سأل القاضى صاحب الحـــانوت " أى ولـــد "

قال " مغفرة يا سيدى ، هدية بن سيدى المعلـــم شـــيخو ؟"

قال القاضى " هذا الولد لص ! لا شك هـــو الـــذي ســـرق المال . " وأمر بالبحث عنه فلم يجدوه إلا بعـــد مشـــقة .

ولما أحضر أمـــام القـــاضى ســـأله " أنـــت دخلـــت ذلـــك الحانوت اليـــوم ؟"

قال " لم أدخل حانوته ، لقد جئت إلى الســـوق الآن فقـــط"

قال القاضي " قل لي الحقيقة ، لم أطلبـــك إلـــى أى أمـــر " وبعد مماطلة وإنكار اعترف بأنـــه دخـــل .

قال القاضي " قل لي الحقيقـــة ، عندمـــا دخلـــت الحـــانو ، لم تر هذا الرجل هناك ومعه المـــال ؟ "

قال " غفر الله لك يا سيدي ،لـــم ألاحظـــه ، الـــذي يذهـــب لشراء أى شيء هل ينتبه إلى مـــال النـــاس ؟ "

قال القاضي " هل رأيته عندما قمت مـــن الحـــانوت ؟ "

قال " رأيتـــه "

" لماذا خرجت أنت أيضا مـــن الحـــانوت عندمـــا خـــرج ، ولم تستأذن من أى إنسان ؟ " فســـكت

قال القاضي " أين المال الذي سرقته منـــه ؟ إذا قلـــت لـــي الحقيقة سأخفف عنك الحكم ، ولـــن أســـجنك "

حينئذ قال هدية " لقد أخذت المـــال "

سأل القاضى العميل " كم مـــالك ؟ "

قال " ثلاثة جنيهات وثلاث شـــلنات "

قال القاضي " هل سمعت يا هديـــة ؟ "

قال " هو كذلـــك "

" أين هـــي "

" صرفت ثلاثين شلنا وبقى جنيـــــهان "

" أعطنى الجنيـــهين "

" حفرت حفرة ودفنتهما هنـــــاك "

بعث القـــاضي معـــه أحـــد الخـــدم فذهبــــا معـــا ، وحفــر وأحضرهمـــا

وأمر القاضي باســـــتدعاء أبيـــه بســـرعة ، وفـــى الحـــال ذهبوا واستدعوا المعلم شـــيخو .

ولما حضر ذكر له القاضي جميع الوقـــــائع ، وقـــال " هـــا هو ابنك ، لم يبلغ السن الشــــرعي لســـجنه ، فعليـــك أن تـــرد المال وتذهب بابنك وترى ماذا ســـتفعل معـــه ، فعندمـــا يبلـــغ السن الشرعى سيسجن إذا فعل ذلك مـــــرة أخـــرى."

أخرج المعلم شيخو المـــال ، ودفعـــه ، وشـــكر القـــاضي ، وخرج بهديـــة .

يقيـد الولـد :

عندما عاد إلى المنزل كان العصر قد حان ، وكادت الشمس تغرب ، فدخل بهدية المنزل وقيده ، وفى هذه الليلة منع عنه كل شيء حتى الطعام .

وفى الصباح أمر خادمه بالذهاب إلى المعلم سمبو واستدعاه ، فلما جاء دخل المنزل ، وساق هدية أمامه وأحضره لدى معلمه ، وقال له " ها هو ، لقد أعيتني معه الحيل ، فإذا تركته عندى ، ربما قتلته يوما ما من شدة الغضب اذهب به ، وقيده بالسلاسل ، ولا تفك قيده حتى يحفظ القرآن، بل لا تتركه حتى لو حفظ ، إلا إذا رأيت حاله قد تغير ، ولا تخفف عنه شيئا كل ما يفعله الأولاد مرة به، بغض النظر عن كونه ابني "

قال المعلم " أمر عجيب ، ولد لم تكن العيون تحب أن ترى غيره ، محب للقراءة يحترم الجميع ، يفسد فى ساعة واحدة ، نسأل الله العون " وذهب بهدية ليقيده .

وأخذ يضايق كل التلاميذ والمعلمين أثناء وجوده فى المدرسة " ولا يكادون يضعون شيئا من متاعهم إلا ويبادر

بسرقته ، واستمر على ذلك مدة عام ، حتـــى كـــاد أن يحفــظ القرآن ، وذات يوم طلب المعلم ســـمبو أن يذهبــوا ويقطعــوا العشب من الغابة ، ولما ذهبوا أخذ كل منهم يقطــــع مـــا أمـــر به ، إلا هدية استطاع أن يبتعـــد عـــن بـــاقى الأولاد ، وأخـــذ منجله وبعض الحجارة وظل يضرب بها القيـــد حتـــى انفتـــح، فسوى مساحة من الأرض وكتــــب عليـــها بيـــده يقـــول " يـــا سيدي هاك حديدتك ، ولتبحــــث عمـــن تقيـــده بـــها غـــيري " وأخذ القيد والمنجل ووضعهما على الأرض وولـــــى هاربـــا.

انتهى الأولاد من جمع العشـــب ، وربـــط كـــل منـــهم مـــا قطعه ، وبحثوا عن هدية فلم يجدوه حتـــى عـــثر أحـــد الأولاد على القيد والمنجل فأخذهما وقرأ ما كتـــــب ، فأعادهمـــا إلـــى مكانهما ونادى الأولاد ليروا ، فلمــــا عـــادوا أخـــبروا المعلـــم سمبو .

الولـــد يهــرب مـــرة أخـــرى :

وفى الحال ذهب إلى المعلم شيخو وقال لـــه وهـــو آســف " جئت لأخبرك أنني بعثت الولد ليجمع العشــــب مــع رفاقــه ، فـهرب "

قال المعلم شيخو " صه ، فقد وقع ما كنـــت أخشـــاه ، لقــد فارقنى الولد الآن ، وأنى على يقين أن الله لـــن يجمعنـــي بــه مرة أخرى إلا على الحزن والعار ، فمـــا العمــل ؟ "

أما هدية فقد هام على وجهه كشأنه ، وبحـــث عنـــه أبـــوه كثيراً ، فلم يسمع عنه خـــبرا واحــدا ، فلــم يجــد بــدا مــن الصبر ، وأخـــذ يحـــدث نفســه قـــائلا "لا شـــك أن الأخبـــار ستأتيني فى أى وقت بأنه ارتكب جريمة فـــى مكـــان مـــا ، إلا إذا توفـــاه الله "

أخذ هدية يتسكع فى البلاد حتى شــــاء الله أن يصـــل إلـــى مدينة كبيرة مثل جلما ، بينهما وبيـــن قطـــار الســكة الحديــد مسافة ليست بعيدة ، وعندمـــا وصـــل إلـــى هـــذه المدينـــة ، بحث عن قرعة صغيرة ، ليتلقى فيـــها المـــال الـــذي يجمعــه من التسول إذا أقبل المساء ، أو يعمل خادمـــا لأحــد التجـــار

وكان أحيانا لا يرد المـــال لصاحبــه فينــهال عليــه ضربــا ويطــرده .

وذات يوم ذهب إلى موظف يعمل فـــى حـــانوت تجـــارى، وأبدى له رغبته فى أن يعيش معـــه ليحضــر إلـــى زوجتـــه الماء ، ويخدم فى المـــنزل ، فلمـــا شـــعر الرجـــل أنـــه ولـــد ذكى، وحسن المنظـــــر ، قـــال لـــه سأستشـــير زوجتـــى، إذا رضيت فســآخذك .

وأخذ يمر عليه كل يوم ، وذات يـــوم قـــال لـــه الكـــاتب " اذهب إلـــى بيتـــي وامكـــث فيـــه . " ســـأله الكـــاتب " أيـــن مدينتكـــم؟"

قال " مدينتنا بعيدة ، لا أعرفها ، لأن والـــــدى مـــات منـــذ كنت طفلا صغيرا ، فتركت لجدتى ترعـــــانى ، فمــــاتت هـــى الأخرى فى مدينة ما ، هو ما جعلنى أطوف فــــى البـــلاد . "

ومكث فى منزل الكـــاتب ، وقـــد وضعـــت فيـــه الزوجـــة وزوجها ثقتهما ، حتى أخذ يدخـــل الحـــانوت فـــى أى وقـــت يشاء . إذا ذهب الرجل إلـــى منزلـــه لتنـــاول الطعـــام تركـــه يحرس له الحانوت . وتخلـــى هديـــة عـــن طبعـــه الســـيء ، ولكن ذلك كان تخطيطا ماهرا خبيـــث .

يعـد لارتكـاب جريمـة :

وذات يوم قال للكاتب " سـمعت أن البطـاطين والملابـس الأوربية تربح كثيرا فى مدينـة سـامبو ، وأرى أن تزودنـى بسلع لأذهب إلى هناك ، وربما حصلت علـى ربـح أكـثر ، وإذا بعت السلعة أشترى بعض الفـول السـودانى "

قال الكاتب " حسنا ، عنما يأتى القطـار غـدا سـأعد لـك بعض السلع لتذهب بها ، وسـأعطيك بعـض المـال " ففـرح كثيرا .

وفى المساء أعد له بعض السلع بمبلـغ عشـرين جنيـها ، وفى الصباح أحضر عشر جنيـهات وقدمـها إليـه ، وطلـب منه أن يشترى بها بعـض الفـول السـودانى قبـل أن يبيـع السلعة . ووضع له البضاعة فـى القطـار .

وما كاد هدية يخرج بهذا المال حتى بـدده مـع مـا بـدد من ثمن السلعة ، ولم يشـتر شـيئا ، ومضـت الأيـام ولـم يسمع عنه الكاتب خبرا واحـدا ، فبعـث إليـه أحـد خدمـه ليذهب إليه ليعرف ماذا أصابه . وكشـأن النـاس فـى هـذه الحياة ، لا يعدم الثرى مـن يلتفـون حولـه ، فأسـرع أحـد

الأولاد وسبق خادم الكاتب وأخـبر هديـة بـأن الكـاتب قـد بعث خدمه ليبحثوا عنه ، فلما علم بذلك جمع مـا تبقـى لديـه من بضاعة وأخفاها ، ثم أشعل النار فى الحجـرة التـى يقيـم فيها ، ثم عاد وجلس حـائرا .

ولما جاء خادم الكـاتب ووجـد أن هديـة لا يملـك شـيئا حتى الثياب فيما عدا خرقة بالية ، سأله أيـن البضاعـة ؟ "

قال " البضاعة أتت عليها النيران ، وسرق منـى المـال" .

لم يقل له خادم الكاتب شـيئا ، ثـم عـاد وأخـبر سـيده ، وفى الحال بعث من يتجسس عليه ، فعلـم أنـه بـدد المـال ، وهو الذي أشعل النار فى الحجـرة بيديـه .

وعنما عاد الخادم مرة ثانية طلـب مـن سـيده أن يشـكو هدية إلى الأمير ، فبعث بمن جـاء بـه مسـرعا ، واسـتمع الأمير إلى كل الوقائع ، واستدعى هديـة وتـأكد مـن سـوء سلوكه ، وسأله عن مدينتهم ، فقال أنه من جلمـا ابـن المعلـم شيخو من جلمـا

قال الأمير " لعنك الله ، لقد صرت ولـدا فاسـدا ، طالمـا سمعت أخبارك " وفى الحال كتب رسالة وبعثـها إلـى جلمـا ليخبر أباه أن ابنه قد قبض عليـه مذنبـا .

استدعى أبوه :

عندما وصلت الرسالة إلى المعلم شيخو قرأها ، فوقع فى المنزل من شدة الحزن والغضب ، وقال " لقد عرفت أننى لن ألقى هذا الولد مرة أخرى إلا لأمر محزن "

وفى أحد الأيام استعد وأخذ بعض المال ليدفعه كتعويض ، وبعض الثياب والمال ليستميله ليعود معه إلى المنزل ، وبعد عدة أيام وصل إلى المدينة التى حبس فيها، فأمر الأمير باستضافته ، وعندما طلع النهار جاءوا بهدية من السجن ، وذهب المعلم شيخو وذكر الوقائع أمامه ، فقال الأمير " كم عمر ابنك يا معلم شيخو ؟ "

قال " أطال الله عمر الأمير ، عمره اليوم أربعة عشر عاما وثلاثة أشهر "

قال الأمير " لم يبلغ الرشد ، طبقا للشريعة الإسلامية ، والقانون لا يعاقبه بالحبس ، ولكنك أنت الضامن له ، فعليك أن ترد المال الذي سلبه من الكاتب ، وبعد أن تدفعه ، سنعطيك ابنك ، لتذهب به إلى منزلك لترعاه ، وإذا لم تستطع رعايته ، لن تنتهى مشاكلك معه . " فدفع

المعلم شيخو المال ، وشكر الأمـــير ، واســتلم هديــة وعــاد إلى منزلــهما .

قضى المعلم شيخو الليل يسترضيه ليتخلــى عــن طباعــه، ولم يترك شــيئا إلا ووعــد أن يقدمــه إليــه ، إذا عــاد إلــى المدينة وغير سلوكه ، وفى هذه الليلــة اشــترى لــه قميصــا يصنعه النوبيون وســروالا مزركشــا وعمامــة وقدمــها إليــه فوعده هدية بأن يكون ولدا طيبا إذا عــاد إلــى المدينــة ولــن ينحرف مرة أخــرى .

ولما طلــع النــهار ذهــب المعلــم شــيخو إلــى الأمــير واستأذنه فى الرحيـــل ، وبــدأ رحلــة العــودة هــو وخدمــه وابنه. ومرت الأيـــام ولــم تبــق إلا اســتراحة واحــدة فــى الطريق يصلون بعدها إلى مدينة جلما ، فلمـــا أقبــل الليــل ، وخلى الطريق من السالكين ، بعـــد أن نــام الجميــع ، دخــل هدية الحجرة التى ينام فيها أبوه ، وأخذ مالــه وثيابــه وولــى هاربا .

الولـــد يهــرب مـــرة أخـــرى :

ولما طلع النهار لم يجد المعلم شيخو هديـــة ، فبحـــث عـــن الثياب والمال فلم يجد لها أثرا ، ونـــادى خادمـــه وقـــال لـــه " لقد سرقت ، أين الولـــد؟"

قال " عندما فارقته ليلا قال لي أنه ســـيذهب ليتجـــول فـــى المدينة ، وذهبنا معا ، ولكنى عـــدت قبلـــه . "

قال المعلم لا حول ولا قوة إلا بـــالله ، وســـلم أمـــره إلـــى الله ولم يجد ما يقوله للناس ، فبحـــث عـــن الولـــد فـــى كـــل مكان فى فى المدينة فلم يعثر له علـــى أثـــر ، فركـــب وعـــاد إلى المدينة حزينا حائرا وقد أعيتـــه الحيـــل . وبعـــث بخدمـــه فى كل البلاد ليبحثوا عن هديـــة ، فعـــادوا إليـــه بعـــد عـــدة أشهر ولم يسمعوا عنه خـــبرا .

لقد هرب هدية ولم يتوقف إلا فى مدينة كـــانو ، وبـــاع مـــا سرق من أبيه بثمن بخس ،الســـروالين اللذيـــن قدمـــهما إليـــه أبوه ، وأخذ يبدد المال ويحيا حياة المفســـدين ، وأخـــذ يســـرق كل ما يقع تحت يديـــه .

وذات يوم منعت الحكومة التجول ليــــلا ، فخـــرج بعـــد أن نام الناس ، ودخلا منزلا ، فرآه الحــــراس ، فتغـــافلوا عنـــه ، ثم ذهبوا واستنجدوا برجلين وجاء الخمسة واختبـــأ كـــل منـــهم في أحد أركـــان المـــنزل ، ودخـــل أحدهـــم المـــنزل وأيقـــظ الخادم وقال له " رأينا الآن لصا يدخل هـــذا المـــنزل ، أدخـــل وأيقظ ســـيدك . "

فدخل الخادم وأحاطوا بهديـــة وأمســـكوا بمـــا ســـرق مـــن الأقمشة وثيـــاب النســـاء ، وقيـــده بالثيـــاب التـــى ســـرقها ، وأمسكه الخادم وأخذ يصيح " لص لـــص " فـــألقى هديـــة مـــا استطاع من مسروقات ولكن الحـــراس ســـرعان مـــا دخلـــوا وقبضوا عليه ، وذهبوا به إلى رئيـــس الحـــراس ليـــلا حيـــث قضى الليـــل .

وفى الصباح قادوه إلـــى مـــنزل القـــاضى ، فحكـــم عليـــه بالسجن ســـنتين .

شخص يأتى بأخبار الولد :

ومرت الأيام وذات يوم جـاء رجـل مـن كـانوا بسـلعة ونزل فى منزل المعلم شيخو ، وأثنـاء الحديث قـال " لقـد كثر اللصوص فى مدينة كانو ، منذ أكـثر مـن سـتة أشـهر قبض على ولد شكله كذا وكذا ، دخل مـنزلا وسـرق متـاع النساء ، فحكم عليه بسـنتين "

عندما سمع المعلم الوصف الذى ذكـره الكنـوى ، حـدث نفسه قائلا " لابد أن هذا الولد هو ابني " ثم نـادى مـن يثـق فيه من خدمه ، وقال له " أنت تـرى الآن مـا بينـي وبيـن أهل المدينـة ، لا أرى منـهم إلا الأكـاذيب ، لقـد صـرت سخرية لدى الجميع بسـبب هـذا الولـد ، أريـد أن تذهـب لمدينة كانو ، سأعطيك بعض السلع لتبيعـها ، اذهـب وعـش هناك ، وأسأل سـرا عـن الولـد، وانتبـه جيـدا ، لعـل الله يهديك إليه فى السجن ، وإذا رأيته ابعث لـي برسـالة . "

قال الخـادم " وهـو كذلـك ، أسـأل الله أن أراه " وزوده المعلم شيخو بالبضائع واشترى له ثلاثيـن جـوالا مـن اليـام وجهزها للنقل بالقطار ، وذهب الخادم وعـاش فـى المدينـة

يبيع البضاعة ، ويتسمع الأخبار ، وبـــاع اليـــام وبعــث إليــه بأنه لم يعثر عليه حتى الآن ، وطلب منه مزيـــدا مـــن اليـــام ، فبعث له بخمسين جوالا أخـــرى ، وذات يـــوم خـــرج ليتسـلم اليام من محطة القطار فقـــابل هديـــة مـــع المســـاجين الذيـــن خرجوا للعمــل .

عندما رآه هدية شاح بوجهه ، فأخذ الخـــادم يتحـــدث مـــع السائق بعد أن بادله التحية ، وقال له " أنـــه رأى ابـــن ســيده المقيم فى مدينة جلما ، ضمن هـــؤلاء المســاجين ، وقـــد فـــر من منزل أبيه منذ عدة سنوات ، فنادى الســـائق هديـــة وقـــال له " ها خادم أبيك " فجاء وتبادلا التحيـــــة وســـأله عـــن أمـــه وأخبار المـــنزل ؟

قال له الخادم " كم شهرا بقى لــــك ؟ "

قال " بقى ستة أشهر " والواقع أنـــه ســيخرج بعـــد شـــهر واحد فقط وأخرج الخادم بعض المال وقدمــــه إلـــى كـــل مـــن السائق وهدية وذهب المسجنون إلى مكـــان عملـــهم ، وذهـــب الخادم إلى المحطة ليتسلم اليـــام .

وكلما أراد الخادم أن يـــرى هديـــة ، جـــاء ووقـــف فـــى الطريق ، فيحيه إذا التقى به فى الطريق ، ثـــم كتـــب رســـالة وبعثها إلى المعلم شـــيخو بأنـــه رأى هديـــة وجـــها لوجـــه ، وتحدث معه ، وبقى له ستة أشـــهر ثـــم يفـــرج عنـــه ، ولـــم يعرف الخادم أن هديـــة غـــادر الســـجن ، وذات يـــوم ذهـــب

وجلس فى المكان الـــذي تعـود أن يــراه فيــه ، فلمـــا رأى السائق قال لـه " أين هدية اليوم؟ هل غير فرقتــــه اليــوم ؟ "

قال السائق " لقد أفرج عنه أمس ، لقد ظننـــت أنـــه بحــث عنك وذهب إليــك .

قال والله لـــم أره

وفى الحال عاد إلى منزلـــه ، وأعــد متاعـــه ليعــود إلـــى مدينة جلما ، وقال لسيده كيف اختفـــى أثــر هديـــة ، وكيــف علم أنه أفرج عنه وأن أحدا لم يعـــرف وجهتـــه "

يتبـع الولـد الطويـل :

عندما خرج هدية من السجن ، التقى بلـص اسمه الولد الطويل ، قال أنه سيركب القطار إلى مدينة ليجوس ، لأنه يقيم هناك ، فطلب منه هدية أن يقوده ليذهبا معا إلى هناك، لأنه لم يذهب إلى هناك أبدا ، ولا يعرف عنها إلا ما يسمع من الأخبار ، عاشا معا فى مدينة ليجوس ، إذا ما شاء الله وسرقا معا ، كل ما يسرقه يعطيه لهدية ليبيعه فى السوق ، ويأته بثمنه وعلى هذا عاشا معا ، حتى صار هدية لصا خطيرا ، وصار الناس يلجأون إليه لاسترداد مسروقاتهم ، وبذلك جمع مالا كثيرا ، وصارا لصان مشهوران فى مدينة ليجوس والمدن المجاورة .

وذات يوم سرقا من أنكرا سرقة كبيرة وهربا فبحثوا عنهما فلم يجدوا لهما أثرا فقد قصدا المرتفعات واختفيا بها وظلا يبددان ما سرقوا بحثوا عنهما فى كل مكان فلم يسمعوا خبرا عنهما ، فلم يكمنا فى أية مدينة فى المرتفعات ولكنهما قصدا الغابات الموحشة ومكثا فيها ، ولم يغادراها إلا إذا نزلا إلى المدينة للسرقة ، ثم يعودان مسرعين ، وبذلك لم يستطع أحد الوصول إليهما .

والـده وأمـه يتشـاوران :

ضايق أمر الولد المعلم شيخو ، وعجز عمـا يفعلـه حتـى يرتاح قلبه وضميره بعد أن ظـل يعيـش فـى حـزن وألـم وترقب لما تأتى به الأيام من أخبـار مؤسـفة بسـبب ابنـه ، فقد أصبح لا يسـتطيع أن يواجـه أهـل المدينـة مـن شـدة الخجل ، إذا رأى بعض سكان المدينة مجتمعيـن ظـن أنـهم لا يتحدثون إلا عن ابنه ، وإذا خرج إلـى مكـان مـا ووجـد جمعا من الأولاد ، ظن أنهم يسـخرون منـه ويقولـون " هـا أبو اللص قادم " وإذا التقى بمـن يعـرف أخبـار ابنـه فـى الطريق شاح بوجهـه حتـى لا يقـع عليـه بصـره ، حتـى أصبح لا يخرج من منزله خجلا ، فجلس فـي بيتـه فريسـة للأفكار والظنـون .

أما زينب فقد مكثت فى منزلها فى هـم وقلـق ، لأنـها إذا اجتمعت مع ضراتـها ودار بينـهن أى حديـث سـواء كـان حادا أو غير حاد ، أخذن يسخرن منها قـائلات " مـا أسـوء هذا الزوج ، يذهب الرجـل فيـتزوج مـن تنجـب لـه ابنـا أمهر من الفأر فى السرقة " . فتنفجـر فـى البكـاء ، حتـى حرمت من متعة الحياة ، وذبل جسـمها ، وفـى أحـد الأيـام ذهبت إلى زوجها وقالت له " لقـد رفضـت كثـيرا الـزواج

منك ولكنك أرغمتني ، وهذا ما جلب لي هذا الزواج ، والله لو كنت أعلم قبل أن أتزوجك ما سيصير من أمرى ما قبلته لو كان مزاحا ، وكان الأفضل منه أن ألقى بنفسي فى البحر أو أموت ، ماذا يسرني فى هذه الحياة ؟ والله بيني وبينك فيما بقى من حياتي"

لقد ملأ هذا الكلام قلب المعلم شيخو حزنا وغضبا ، حتى أصبح كل أمله أن يهجر مدينته ومنزله وكل ما يملك، ويذهب إلى أية مدينة لا يعرفه أحد فيها ، ويعيش فيها هاديء النفس .

وذات يوم استدعى زينب وانفرد بها وقال لها " السبب الذي ناديتك من أجله ، هو الكلام الذي سمعته منك وملأ قلبي حزنا وهما ، هل تظنين أن ما يقوله الناس عنا لا يضايقني ؟ سأخبرك أنني فكرت فى نفسي فى أن أهجر المدينة ، وأترك كل شيء، وأذهب لأعيش فى مدينة أخرى فى سلام ، حيث لا يعرفنى أحد ، هل تأتين معي؟"

قالت " لن أترك والدى ، لأذهب إلى مكان لا أعرفه وأعيش فيه ، إذا كنت ستذهب فاذهب وإلى أن نلتقى . "

قال " هل الحياة فى هذه المدينة تسعدك حتى لا تريدين هجرها ؟ ألا تعرفين أننى إذا هاجرت من المدينة ، فستنصب على رأسك وحدك كل ألسنة الناس، حتى

يسمونك بأم الولد الفاسد ، ومن أجلـــك هجــر زوجــك مالـــه ومنزلـــه ؟ "

قالت " كل ما يريدون قوله فأنك أنـــت الســبب "

واتبع كل السبل لاقناعـــها ، وبصعوبـــة اســتطاع التغلـــب عليها ، ولكنه اتفق معها أنه سيخبر الناس أنـــه ســيتوجه إلـــى حج بيت الله الحرام ، حتى لا يعرفـــوا مقصـــده .

يهجـران المدينــة :

وذات يوم جمع كل زوجاتـــه وقــال لــهن " لقــد نويـت الذهاب لأداء فريضة الحـــج ، ولكــن ســأذهب مــع زينـب فقط. وعليكن أن تصبرن ، حتى يجمعنا الله مـــرة أخــرى .

وأحضر مالا كثـــيرا وطعامــا وتركــه لــهم ، واســتدعى كبير خدمه وولاه كل شئون المنزل واســتأذن مــن الأمــير ، ولم يذهب مع أحـــد مــن خدمــه ، وأحضــر زاده ووضعــه على ظـــهر الحمــار ، وأحضــر جمــلا وركبتــه زينــب ، وخرج واصطحبه أهل المدينة مودعيــن ، وهــم فــى دهشــة من هذه الرحلة التى يقوم بـــها .

وواصلا السير ومرت الأيـــام ، وبعــد شــهرين تقريبـا ، عندما أدرك أنه بعد تماما عن المنطقة التــــى عــرف فيــها ، نزل فى مدينة كبيرة تسمى جروجى وهى مدينـــة بـــها ســوق كبير . فذهب إلى منزل الأمير وأخبره أنــــه ضيــف ، يريــد أن يهبه الأمير مكانا يعيش فيه ، لأنه يـــرى المدينــة منطقــة تجاريــة .

فرح الأمير فرحا شديدا وسأله " مـــا اســمك ؟ "

قال " المعلم عثمـــان "

" من أى مدينة جئـــت "

فاختار مدينة لم يسبق للأمير سماعه من قبـــل وذكـــره .

أعد له الأمـــير مـــنزلا وأنزلـــه فيـــه ، واســتأنف حرفـــة التجارة ، حتى جمع بعض المـــال ، فـــأصلح منزلـــه جيـــدا ، ونمت ثروة المعلم عثمان شيئا فشيئا ، وصـــــارت تشـــد إليـــه الرحال ويمتلأ منزله بـــالخدم .

ينتقــلان إلـــى مكـــان جديــد :

وذات يوم كان هديـــة ورفيقـــه يتجـــولان ، فانتـــهى بـــهم المطاف فى قرية بالقرب من مدينة جروجـــــى فـــنزلاً فيـــها ، وذات يوم خرجا يتجـــولان فـــى المدينــــة ، فـــالتقى برجـــل ، وأخذا يتحدثان معه ، قائلين " هذه المدينـــــة بـــها الكثـــير مـــن الأثرياء ، ليست كمدينتنــــا "

قال " فعلا هذه المدينة ، الحمد لله يعمـــــها الرخـــاء "

قالوا له " لقد مررنا على بوابـــــة ذلـــك المـــنزل ، ورأينـــا منزلا ذا حائط مرتفع ، وتحيط بـــه الأشـــجار ، كأنـــه مـــنزل السلطان ، هل هو منزل الحـــــاكم؟"

قال " من أى ناحية ؟ " فأشارا إليـــــه

قال " لا ، ليـــس مـــنزل الحـــاكم ، مـــنزل رجـــل ثـــرى غريب ، اسمه المعلم عثمان ، نزل هـــذه المدينـــة منـــذ عـــدة سنوات قليلة ، والآن تشد إليـــه الرحـــال "

قالوا " لماذا حصن منزله هكذا ، وأحاطه بهذا السور من الأخشاب لا ترى هذا السور فى مدينتنا حول منزل الأمير ، هل يخشى اللصوص؟"

قال " نعم ، إنكم تعلمون أنه رجل ثرى ، لقد سمعت أن من يتحدث عن اللصوص ، أمامه من خدمه أو زواره، لا يرحب بهم بعد ذلك "

قالوا " ربما سرق مرة ، سنذهب لنشترى بعض الأشياء "

وسارا فى طريقهما ، ولفا حول منزل المعلم عثمان ، وأخذا يحومان حوله ، ويتفقدانه جيدا ، وعندما انتهيا سلكا طريقهما وعادا إلى الغابة وكل منهما يقول للآخر " إذا وفقنا الله سنجمع ما فى هذا المنزل من ثروة ، إذا كان يتهرب من اللصوص بتحصين منزله هكذا ، فسيعرف كيف يقهرونه " .

وعندما أقبل الليل وخلت الطرق من السالكين قصدا هذا المنزل الذى طافا حوله نهارا ، وأخذا يسترقان الخطى ويتواريان فى ظل الحائط فلما اقتربا منه طافا حوله يبحثان عن مدخل لهما ، ولمسا البوابة فسمعا لها صوتا مرتفعا ، فقالا لنتجول فى المكان لعلنا نجد سلما خشبيا ، فسارا فى الطريق حتى رأيا رأس سلم من بعيد

فى منزل ما ، فذهبا إليه ، وحنــى هديــة ظــهره ، وصعــد رفيقه فوقه وأمسك الحــائط وتسـلق عليــه ، ونــزل وأخــذ السلم وسنده على الحائط ، وصعد وســحبه وأعطــاه لهديــة ، وأخذاه وذهبا به وأسنداه على حــائط مــنزل المعلــم عثمــان وصعدا عليه وسحباه وأنزلاه داخل المــنزل ، ونــزلا عليــه ، وأخذا يدوران فى المنزل ليعرفا مسالكه ، ثــم قصــدا حجــرة صاحب المنزل الخاصة ، وأخذا يســترقان الســمع ، فســمعاه يغط فى نوم عميق ، وطلــب هديــة مــن رفيقــه أن ينتظــر على البوابة حتى يدخل فــإذا سـمع حركــة بــالداخل أنــذره وإذا لم يسمع شيئا ، سيمده بكل ما يجد مــن متــاع .

ودفع هدية الباب ببطيء ودخــل ، ووقــف صامتــا ، فلــم تصدر أية حركة مــن صــاحب المــنزل ، فدخــل متســللا ، فاصطدم بإناء من معدن فوقــع، فاســتيقظ صــاحب المــنزل وقال " أنت أنت من من ؟ " فاختبــأ هديــة .

الولـد يقتـل أبـاه

إلا أن صاحب المنزل رأى ظلـه علـى البـاب فدفعـه ، فقام هدية مسرعا وأمسـكه بشـدة وأوقعـه علـى الأرض ، فهب رفيقه مسرعا ودخل المنزل ، وسـد فمـه ، فحـاول أن يتخلص منه ، فاستل هدية سكينا وطعن به أبـاه فـى قلبـه ، وجذبه حتى شعر بجسـده يتـهاوى ، حينئـذ سـمع أصواتـا ينطلق من الخـارج . فشـعرا بـالخوف ، وهمـا بـالفرار ، وعند ذلك سمعا امرأة تقول " ماذا يحدث فى هـذا البيـت ؟"

فرد عليها هديـة قـائلا " لا شـىء أنـا أطـوف حـول المنزل"

قالت " وى ، عندما تكلـم تذكرنـى بـابني عبـدالله " ثـم أشعلت الكبريت فرأت أبنها ، ورأى أمـه التـى فارقـها منـذ عدة سـنوات .

يتحــدث إلــى والدتــه :

قالت " عبدالله هل عدت ؟ " إلا أنــــه عجــز عــن الكــلام ،فوقفا ينظران لبعضهما ، والولــــد الآخــر مختبــيء ، حتــى مل الانتظار فقال " أنت ، ألا تعــرف أننــا فـــى خطــر ممــا فعلنا ، ثم نقف ونتحدث مــــع النســاء ؟ " ولكنـــه لــم يعــره اهتماما ، حتى غضب رفيقه وقـــال " انتظــر لشــأنك وســأفر أنا "

قالت زينب " ماذا جاء بك إلـــى هــذا المــنزل فـــى هــذا الوقت من الليــل؟"

قال " هل نسيتي حرفتـــي ؟ "

قالت " هل عجزتم عــــن الســرقة حتـــى تــأتى لتســرق منزل أبيــك ؟ "

قال " أبي ، متى جئتم من جلما وأقمتـــم هنــا ؟ "

قال " والله تالله ، لـــم أعــرف ، ولا فـــى المنـــام أن هـــذا منزل أبي " وهنا أخذ جسمه يرتعش وشـــعرت أمـــه بـــالخوف فقالت " ماذا حـــدث ؟ "

قال " دخلنا حجرة هنا لنسرق ، فهاجمنا رجـــل فطعنـــاه "

قالت زينـــــب " طعنتـــم رجـــلا ، الله أكـــبر ، والآن أيـــن يرقد، هيا بسرعة لـــنراه "

فذهبا ودخلا الحجرة ، أشعلت زينـــــب الكـــبريت ، فـــرأت الرجل منكبا على وجهه فـــى الـــدم ، فخفـــق قلبـــها وقـــالت " حركة "

فحركة هدية فـــأدرك أنـــه أبـــوه فـــاقتربت منـــه وهزتـــه فأدركت أنه لا يتحرك ، فـــانفجرت فـــى البكـــاء ، وتذكـــرت كلام أبى بكر ، عندما قال لها أن أبنها ســـيقتل أبـــاه .

عندمـــا رأى هديـــة مـــا فعـــل ، طـــار عقلـــه ، وصـــار كالمجنون واستل سكينه وكاد يقتل نفســـــه ، فأمســـكت زينـــب بيده وقالت " انتظر لا تقضى على نفسك ، لـــى معـــك حديـــث طويل " وقصت عليه كل ما كان بينـــــها وبيـــن أبـــى بكـــر ، وكيف كان السبب فيما أصابه من لعنة وفســـاد فـــى الحيـــاة ، حتى وصل الأمر إلى قتل أبيه . وقـــالت " أرأيـــت كـــل مـــا

فعلت منذ البداية ، لا ذنب لـــك فيـــه ، هــذا مـــا قــدره الله ، ولكن علينا الآن أن ننتظر لنعرف الجزاء الـــذى ســـينالنا مـــن الله " .

وكتمت سرها ، ثـــم ســمعت صياحـــا واســـتغاثة خـــارج المنزل " لص لص : فنظـــروا لبعضـــهما وقـــالت " أســـمعت لقد أمسكوا برفيقك ، بسرعة أخرج حتـــى لا يجدونـــك هنـــا " ثم أمسكت يده وجذبته وطـــافت بـــه فـــى ممـــرات المـــنزل ، حتى وصلا الباب ففتحه له وخرج منــــه ، وعـــادت وأغلقـــت حجرتها ، وبعد قليل سمعت أصوات النـــاس قـــادمين ، حتـــى وصلوا إلى باب المـــنزل ، فقرعـــوا البـــاب ، ففتـــح الخـــادم فنظر فوجد كثيرا من الناس فقال " مـــاذا حـــدث "

قالوا " أمسكنا اللـــص ، رأينـــاه علـــى حـــائط المـــنزل ، فتتبعناه وقبضنا عليه ، اذهب وأيقـــظ ســـيدك "

فأسرع الخادم إلى حجرة سيده ، فـــرأى البـــاب مفتوحـــا ، فوقف على الباب وأخذ يناديه " يا سيدي ، يـــا ســـيدي " فلـــم يرد أحد ، فرفع صوتـــه فلـــم يـــرد أحـــد ، فدخـــل الحجـــرة فتعثرت رجله فى جثة رجل ، فصـــــرخ وقـــال " اقبلـــوا هـــا هو اللص " فقصدوا البـــاب مســـرعين يصيحـــون ، واندفـــع الناس إلى داخل المنزل ، واختلفوا فيمـــن ســـيدخل ، فأشـــعلوا مصباحا فرأوا رجلا ممددا غارقا فى دمائـــه فدخلـــوا فعلمـــوا أنه صاحب المـــنزل .

هــو ، هــو :

فقال الجميع لا حول ولا قــوة إلا بــالله " لابــد أن اللــص هو الذى فعل هذا ثم انــهالوا عليــه ضربــا ، فــأخذ يصيــح ويقول اتركونى ، لم أقتله رفيقي هو الــذى قتلــه ؟

قالوا : " كذاب ، أين هو رفيقــك ؟ "

قال " مازال حتى الآن داخل المنزل ، لــم يخــرج ، لأنــى عندما خرجت تركته بــالداخل " .

قالوا " كذاب ، كيف يفعــل الإنســان هــذا العمــل ، ثــم تخرج وتتركه فى الداخل ، هل تظننــا مجــانين ؟ "

قال " والله تالله هذا حقيقي ، ابحثوا عنه ، لابــد أنــه فــى الداخل لم يخــرج "

ثم انتشروا فى المنزل ، ولــم يــتركوا مكانــا إلا وبحثــوا فيه ، فقد اتبعوا كل المسالك والطرقات ، فلــم يــروا أحــدا ، فسألوا النساء نساء المنزل هــل خرجــت إحداهــن ، فقــالوا جميعا لم يخرج أحــد ، إلا عندمــا ســمعن الصيــاح ، فقــال الناس " لقد عرفنا منذ البداية أنــه كــذاب "

ثم ذهبوا به إلــى مــنزل الأمــير ، فــأمر بارســاله إلــى السجن فى نفس الليلة ، ثم عـــادوا وكفنـــوا المعلـــم عثمـــان ، وعاد الكل إلى منزلـــه .

وعندما طلع النهار أخـــذ الولـــد الطويـــل مـــن الســـجن ، وسألوه عن اسم الولد الذي يدعى أنـــه معـــه ، فقـــال " أظـــن أن اسمه أبو بكـــر "

" أنت لا تعرف اسمه أيضـــــا "

" أظن أن اسمه هكـــذا "

" من أية مدينـــة ؟ "

" لا أعرف اسم مدينتـــــه "

" وأنت ما اســـمك ؟ "

" الولد الطويـــل "

" من أية مدينـــة "

" إيبو "

" كذب ، هل توجد مدينة في هـــذه الدنيـا اسـمها ايبــو ؟ وارجعوا به حتى نتحقق من كلامـــه . "

وقضى فترة فـي السـجن أثنـاء التحقيـق ، وكـان فـي السجن بئر عميق جـدا مملـوء بالمـاء ، وذات يـوم خـرج عصرا ليحضر الماء منه فوقـع فـي البـئر ، فلمـا جـاءوا لإنقاذه وجدوه قد مـات .

أخرجوه وذهبوا إلـى الأمـير وأخـبروه أن اللـص قـد مات، فقال الأمير " لقد نال جزاءه " أمـا هديـة فلـم يتوقـف في أي مكان بعد أن خرج مـن المـنزل ، وبعـد أن تجـاوز المدينة توجه إلى مدينة جلما مباشـرة ، وبعـد خروجـه مـن المدينة هبت عاصفة شديدة ، وسـقط المطـر غزيـرا ، فلـم يأبه لكل هذا ، فقد كان كل همه هـو الوصـول إلـى مدينـة جلما ، لم يتوقف ، ولم يلتـف حولـه كأنـه كلـب مجنـون حزين لما ارتكب من آثام ، ويفكـر فيمـا قالتـه لـه أمـه ، وأصبح لا هدف له فـي الحيـاة إلا أن يلتقـي بـأبي بكـر ، وينتقم لما أصابـه .

يذهب لأخذ الثأر :

طلع عليه النهار فى الطريق ، واشتدت حرارة الشمس، وأقبل الظهر ثم المغرب ، واستمر على ذلك يومين لا يأكل ولا يشرب ، حتى إذا وجد شيئا فشيئا قليلا من الطعام اشتراه ، يأكله وهو يسير فى الطريق وإذا شعر بالحاجة إلى النوم ، ينام قليلا ، ثم يقوم ويستأنف الرحلة ، وهكذا حتى وصل إلى مدينة جلما ، ولم يتوقف فى أى مكان فى المدينة إلا فى منزل عدوه أبي بكر ، فدخل المنزل دون استئذان ، فوجد امرأة فلما رأته كالمجنون أشعث أغبر والسيف مسلولا فى يداه أصابها الرعب .

زجرها قائلا " أنت ، أين أبو بكر ؟ "

تحيرت ، ولم تستطيع الكلام رعبا ، فأمسك عنقها وهزها قائلا

" لألم تسمعيني أسألك ؟"

فأشارت له بيدها فى إحـــدى الحجـــرات ، وقـــد أعجزهـــا الخـــوف عـــن الكـــلام ، فألقاهـــا علـــى الأرض ، ودخـــل الحجـــرة، فقـــامت ، وقبـــل أن يصـــل أســـرعت وتصـــدرت الباب، وقالت " لا تدخـــل ! إن صـــاحب البيـــت يعـــاني مـــن آلام الاحتضـــار "

قال " افسح لأسبق القدر إليه ، فاليوم حـــانت نهايتـــه "

ثم دفعها ودخل الحجرة ، وقال " أين أنـــت ؟ " فلـــم يســـمع إلا حشرجة المحتضر وبعد برهة استطاع أن يـــرى مـــا فـــى الحجـــرة ، فـــرأى رجـــلا راقـــدا علـــى الســـرير ، وعينـــاه شاخصتان إلى السماء ، فتقـــدم إليـــه ، وأمســـك كتفـــه وأداره وقال " أبو بكـــر ؟ "

ففتح فمه بصعوبة وقال " مـــــن ؟ "

قال " أنا هدية ابن المعلم شـــيخو ، اليـــوم حـــانت لحظـــة الجـــزاء "

عندما سمع أبو بكـــــر هـــذا الكـــلام حـــاول أن ينـــهض ، ولكنه وقع علي ظهره وجسده يرتعش ، وتذكر كـــل مـــا قالـــه لزينب قبل سنوات عديده ، فاســـتغرق فـــى تفكـــير عميـــق ، وأخذ يحدث نفسه قائلا " أعرف ذلك طالما قيـــل لـــي أن مـــن

يعمل مثقال ذرة خيرا يـــره " ثـــم نظـــر إلـــى هديـــة وقـــال " جئت تنتقم منى ؟ ولكن القدر سبقك إلى ، لقـــد فعلـــت كـــل ما أريد أن أفعله فيك وانتهى الأمـــــر "

لقـــد تأخــرت :

ثم تمالك قوته واسـتطاع أن يجلـــس ، ومـد يـده مشـيرا إليه ، وقال بصـــوت مرتفــع : لقـد تـأخرت ، الثـأر يــوم القيامة ، ثم وقع على الأرض وأســلم الــروح "

خرج هدية ، ولم يره أحد ، وأخذ يقول فـــي نفســه وهــو سائر " الله اكبر ، الله القاهر يفعل ما يشـــاء بعبـاده ! "

بعد أن خرج جاءت المرأة مــع جيرانــها وهـم يتســألون أين الرجــل ؟!"

قالت " فى حجرة رب البيـــت " فدخلــوا فوجـدوه ميتــا ، وحيدا ، فبحثوا فى كل المنزل فلم يجـــدوا أحــدا "

قالوا " ما شكل هذا الرجـــل ؟ "

قالت " لن استطيع وصفـــه "

لأننـى حينما رأيته عجزت عن الكــــلام

فقالوا " لابد أنها رأت عزرائيـــــل "

وامتلأ المنزل كله بصراخ النســـــاء

ذهب هدية وجلس تحت شـــــجرة خــــارج المـــنزل بـــالقرب من النهر ، بعد أن هدأت نفسه ، أخـــذ ينــدم علـــى كـــل مـــا فعله منذ كان طفلا صغيرا حتى قتـــل أبـــاه ، ومـــرت عليـــه كل الأحداث كأنها حلم مخيـــف ، فقـــال " الله أنـــت المـــالك ، اعف عنـــي "

يعود إلى منزل أبيه :

ثم قام إلى النهر واستحم ، ودخل المدينة وقص شعره، واشترى ثوبا وارتداه وقصد منزل أبيه ، والتقى بالخادم الذي ولاه أبوه أمر المنزل في السنوات الماضية ووجد النساء قد تفرقن جميعا فأخبره أنه هدية ابن المعلم شيخو، وأن أباه قد مات فتعجب الخادم لأنه يأس من سماع أخباره وأخبار أبنه .

أخذه الخادم وذهب معه إلى منزل الأمير ، وبعد أن تبادلوا التحية ، سأله الأمير من أين جاء .

قال " من عند أبي "

قال الأمير " هل هو حي ، منذ أن فارقنا لم نسمع شيئا من أخباره؟"

قال هدية " عندما هاجر من هنا ذهب إلى مدينة تسمى جروجي ، حيث عاش هذه السنوات ولكنه مات الآن لذلك جئت لأرى حال المنزل قبل أن أعود لأحضر والدتي "

قال الأمير " هل اهتديـــت ؟"

قال " أطال الله حياتك " لا أحب أن أسمع شـــيئا عـــن هــذا الأمر ، ما مضىٰ لا رجعة لــــه "

الأميـــر يباركـــه :

عندما سمع الأمير ذلك فرح كثـــيرا ، وباركـــه ، وقـــال " إذا كان ما تقوله حقا ، أريد أن تعود وتقيـــم هنـــا مـــن أجـــل المحبة التي تجمعني بـــأبيك

قال هدية " أطال الله حياتك ، شـــكرا ، عندمـــا أعـــود لـــن أنال شيئا من ميراث أبي حتى أرد الحقـــوق إلـــى مـــن لـــهم علي "

ثم استأذن وخرج ، ولم يـــأخذ شـــيئا مـــن مـــنزل أبيـــه ، حتى الزاد ، وواصل رحلة العـــودة إلـــى جروجـــي فوصلـــها بعد عدة أيـــام

ذهب إلى أمـــه وأخبرهـــا بكـــل مـــا حـــدث وقـــال " الآن ينبغي أن نعود إلى مدينتنا وتعيشين هناك فـــي مـــنزلك "

قالت " وهو كذلك أنـــت تعـــرف أنني لـــم أهجرهـــا إلا مكرهة لأعيش هنـــا "

ذهبت وأخبرت الأمير أن ابنها قـــد جـــاء فقـــال الأمـــير " هل المعلم عثمان له ابن ؟ " أحضريه لأراه " فذهبـــــت إليـــه.

عندما دخل نظر إليه الأمير وقال " لا شك أنــــه ابنـــه ثـــم التفت إلى زينب وقال له " وهو كذلك وهـــل لـــه أخ ؟ "

قالت زينب هو الوحيـــد "

سألها الأمير " هل تأتى لتعيشي فـــى ســـنكا ؟ "

قال " لا ، جئت لأعود بوالدتـــــى "

فأمر الأمير أن يذهبوا به ليدلوه على كـــل ممتلكـــات أبيـــه ويقدرونها ويخصموا منها العشر فلما تـــم ذلـــك سـلموه كـــل شيء .

فطالب أن يجمع لـــه كـــل فقـــهاء المدينـــة ليدعـــوا لأبيـــه فاجتمع عدد كبير أمام منزل أبيه فخرج بكثـــير مـــن الأشـــياء وأخذ يوزعها عليهم جميعـــــا ، حتـــى انتـــهت فدعـــوا الله إن يرحم المعلم عثمان ثم تفرقـــوا .

وفى اليوم التالى طلب أن يجمع لـــه كـــل المســـاكين فلمـــا اجتمعوا خرج إليهم بمـــا تبقـــى لديـــهم فـــى مـــنزل أبيـــه ، ووزعه عليهم ، ولما نفذ المال أخــــذ يـــوزع عليـــهم الثيـــاب

والدواب ولكثرة ما كان لديه من ثـــروة لـم يبـق أحـد فـى المدينة إلا ونال من خيره ووزع كـل مـا ورث تمامـا ولـم يترك لنفسه الأبـرة .

وعندما انتهى من توزيـع المـيراث ذهـب إلـى الأمـير واستأذنه فتعجب كل سكان المدينة الذيـن لـم يـروا صنيعـا مثل هذا من قبل ، وترك المدينة وسارت أمـه وهـو خلفـها حتى وصلا إلى مدينة جلما ، فأنزلها فى مـنزل أبيـه وأخـبر الأمير وانتهوا من أمور الميراث وسلم كـل شـيء ليـد أمـه وقال لها " افعلي كل ما ترينـه مناسـبا أمـا أنـا فسـأذهب وأبحث عما يخفف عني مـا ارتكبـت مـن أثـم ، لعـل الله يرحمنـي "

ثم خرج وهو لا يمتلك إلا عصاه ، وحقيبـة كتبـه وإنـاء للوضـوء .

المشـروع القومـى للترجمـة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشـروعات الترجمـة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل ، معتمدا المبادئ التالية :

١. الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنـة اللغتيـن الإنجليزية والفرنسية .
٢. التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجـالات العلميـة والفنية والفكرية والإبداعية .
٣. الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلـم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
٤. ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة ، جنبا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركـة الإبداع والفكر العالميين .
٥. العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مـع لجنـة الترجمـة بالمجلس الأعلى للثقافة .
٦. الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسـيق الجـهود مـع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥- الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء	مارتن برنال	ت: بإشراف: أحمد عتمان
١٧- مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦- نظريات السرد الحديثة — والاس مارتن — ت : حياة جاسم محمد

٣٧- واحة سيوة وموسيقاها — بريجيت شيفر — ت : جمال عبد الرحيم

٣٨- نقد الحداثة — ألن تورين — ت : أنور مغيث

٣٩- الإغريق والحسد — بيتر والكوت — ت : منيرة كروان

٤٠- قصائد حب — أن سكستون — ت : محمد عيد إبراهيم

٤١- ما بعد المركزية الأوربية — بيتر جران — ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد

٤٢- عالم ماك — بنجامين باربر — ت : أحمد محمود

٤٣- اللهب المزدوج — أوكتافيو باث — ت : المهدى أخريف

٤٤- بعد عدة أصياف — ألدوس هكسلى — ت : مارلين تادرس

٤٥- التراث المغدور — روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين — ت : أحمد محمود

٤٦- عشرون قصيدة حب — بابلو نيرودا — ت : محمود السيد على

٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (١) — رينيه ويليك — ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد

٤٨- حضارة مصر الفرعونية — فرانسوا دوما — ت : ماهر جويجاتى

٤٩- الإسلام فى البلقان — هـ . ت . نوريس — ت : عبد الوهاب علوب

٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير — جمال الدين بن الشيخ — ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى

٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية — داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى — ت : محمد أبو العطا

٥٢- العلاج النفسى التدعيمى — بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل — ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش

٥٣- الدراما والتعليم — أ . ف . ألنجتون — ت : مرسى سعد الدين

٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح — ج . مايكل والتون — ت : محسن مصيلحى

٥٥- ما وراء العلم — چون بولكنجهوم — ت : على يوسف على

٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١) — فديريكو غرسية لوركا — ت : محمود على مكى

٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢) — فديريكو غرسية لوركا — ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى

٥٨- مسرحيتان — فديريكو غرسية لوركا — ت : محمد أبو العطا

٥٩- المحبرة — كارلوس مونييث — ت : السيد السيد سهيم

٦٠- التصميم والشكل — جوهانز ايتين — ت : صبرى محمد عبد الغنى

٦١- موسوعة علم الإنسان — شارلوت سيمور - سميث — مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى

٦٢- لذّة النّص — رولان بارت — ت : محمد خير البقاعى .

٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢) — رينيه ويليك — ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد

٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة) — آلان وود — ت : رمسيس عوض .

٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى — برتراند راسل — ت : رمسيس عوض .

٦٦- خمس مسرحيات أندلسية — أنطونيو جالا — ت : عبد اللطيف عبد الحليم

٦٧- مختارات — فرناندو بيسوا — ت : المهدى أخريف

٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى — فالنتين راسبوتين — ت : أشرف الصباغ

٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين — عبد الرشيد إبراهيم — ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى

٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية — أوخينيو تشانج رودريجث — ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى — داريو فو — ت : حسين محمود

	العنوان	المؤلف	المترجم
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣-	مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤-	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا مج ١	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : د. أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى مجموعة من النقاد ت : محمود على مكى

١٠٩- حروب المياه جون بولوك وعادل درويش ت : هاشم أحمد محمد

١١٠- النساء فى العالم النامى حسنة بيجوم ت : منى قطان

١١١- المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون ت : ريهام حسين إبراهيم

١١٢- الاحتجاج الهادئ أرلين علوى ماكليود ت : إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد سادى پلانت ت : أحمد حسان

١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع وول شوينكا ت : نسيم مجلى

١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرچينيا وولف ت : سمية رمضان

١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون ت : نهاد أحمد سالم

١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال

١١٨- النهضة النسائية فى مصر بث بارون ت : لميس النقاش

١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنبل ت : بإشراف/ رؤوف عباس

١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد ت : نخبة من المترجمين

١٢١- الدليل الصغيرعن الكاتبات العربيات فاطمة موسى ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال

١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت ت : منيرة كروان

١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية نيثل الكسندر وفنادولينا ت: أنور محمد إبراهيم

١٢٤- الفجر الكاذب چون جراى ت : أحمد فؤاد بلبع

١٢٥- التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديڤى ت : سمحه الخولى

١٢٦- فعل القراءة ڤولفانج إيسر ت : عبد الوهاب علوب

١٢٧- إرهاب صفاء فتحى ت : بشير السباعى

١٢٨- الأدب المقارن سوزان باسنيت ت : أميرة حسن نويرة

١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته ت : محمد أبو العطا وآخرون

١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندر فرانك ت : شوقى جلال

١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين ت : لويس بقطر

١٣٢- ثقافة العولمة مايك فيذرستون ت : عبد الوهاب علوب

١٣٣- الخوف من المرايا طارق على ت : طلعت الشايب

١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب ت : أحمد محمود

١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت ت : ماهر شفيق فريد

١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كونو ت : سحر توفيق

١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية جوزيف مارى مواريه ت : كاميليا صبحى

١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف إيڤلينا تارونى ت : وجيه سمعان عبد المسيح

١٣٩- پارسيڤال ريشارد ڤاجنر ت : مصطفى ماهر

١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هربرت ميسن ت : أمل الجبورى

١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين ت : نعيم عطية

١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر ت : حسن بيومى

١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديريك لايدار ت : عدلى السمرى

١٤٤- صاحبة اللوكاندة كارلو جولدونى ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥- موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : علي عبدالرؤوف البمبي
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبدالغفار مكاوي
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي منوفي
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج١	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسي
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مي التلمساني
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج٢	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩- الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت: إبراهيم فتحي
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومي
١٦١- من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوي	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهري
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧- في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكري محمد عياد
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكري محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكري محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابي
١٧٣- معنى الجمال	والتر ت. ستيس	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنري ترويا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدي إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت: فتحي العشري

١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت: دسوقي سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزُرْج علوى	ت:محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	ت:بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	ت:سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت:محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد
١٩٢- رحلة إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت: على يوسف على
٢٠٧- ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	ت: محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	ت: نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: على إبراهيم على منوفى
٢١٩- بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت: طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت: على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت: رفعت سلام

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت: السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥- حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت: طاهر محمد على البربرى
٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت:مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت: أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت: جمال أحمد عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال	أرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين مولوى رومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت: عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رابوخ	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١- فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالرؤوف البمبى
٢٤٤- الغليان	لاورا إسكيبيل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	ت: على إبراهيم على منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت: عبداللطيف عبدالحليم عبدالله
٢٤٩- لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت: رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت: ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيميونوفا	ت: حسن بيومى
٢٥٤- الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- ديكارت	ديف روبنسون ، كريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	ت: عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	أقلام مختلفة	ت: فاروجان كازانجيان

٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردن مارشال	ت: باشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات	إدوارد منديثا	ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	جون جريين	ت: على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس/ شلى	ت: لويس عوض
٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧- فن الرواية	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	ت: شوقى جلال
٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣- الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت: عنان الشهاوى
٢٧٤- السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	ت: محمود مكى
٢٧٥- ت. س إليوت شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦- فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧- الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزى
٢٧٨- البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠- من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وأخرون	ت: سمير عبدالحميد
٢٨١- الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت: جلال الحفناوى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وابيرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣- السهل يحترق	خوان رولفو	ت: على اليمبى
٢٨٤- هرقل مجنونا	يوريبيدس	ت: أحمد عتمان
٢٨٥- رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦- رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	ت: محمد يحيى وأخرون
٢٨٨- الفن الروائى	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٨٩- ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠- علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣- مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤- فن الشعر	بوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥- سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦- مكبث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ـ يوسف الأهوانى	ت: ماجدة محمد أنور

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٩٨- مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩- ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠- أسطورة برومثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج١	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١- أسطورة برومثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج٢	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢- فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣- بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة - النقد الكانطى للتاريخ	چان - فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧- الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨- علم الوراثة	ستيف جونز	ت: ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩- الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	ت: جمال الجزيرى
٣١٠- يونج	ناجى هيد	ت: محيى الدين محمد حسن
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت:أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت: عبدالله الجعيدى
٣١٤- الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت: كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى سبيفاك وكرستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كليتباور	ت: خالد مفلح حمزه
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤- اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٢٥- عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت: محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت: سامية دياب
٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	ت: على إبراهيم على منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١١٦٥٥

المركز المصري العربي ت : ٧٧٩٥٦٠٧






مأساة العبيد وقصص أخرى

كانت لغة الهوسا تكتب بالخط العربى منذ عهد الشيخ عثمان بن فوديو حتى وصل الاستعمار الأوربى إلى هذه البلاد، وعمل على إضعاف العلاقة بين المسلمين فى غرب أفريقيا وإخوانهم فى بقية أجزاء العالم الإسلامى؛ فعمل على كتابة لغة الهوسا بالخط اللاتينى، ورصد مكافأة سخية لمن يكتب الهوسا بهذا الخط، وبناء عليه قام بعض الكُتّاب بكتابة هذه المجموعة القصصية، فكانت باكورة الإنتاج الأدبى بلغة الهوسا.

- فكتب أبو كر تفاوا قصة " الشيخ عمر " التى تعبر عن " مأساة العبيد " فى عهد الاستعمار، وتصور تجارة الرقيق التى كانت تقوم على خطف الأحرار وبيعهم فى سوق الرقيق، وما يلاقونه بسبب ذلك من سخرة وعذاب.

- وكتب محمدو بللو قصة " المغامر "، وهى تعبر عن شاب مغامر عجز عن مقاومة المستعمرين الغزاة، فخرج إلى الخلاء فاختطفته العفاريت؛ فأخذ يحاربها ويحارب فى صفوفها ويحرز انتصارات متتالية، واستمر معهم فترة من الزمن، ثم عاد إلى بلاده فوجدها قد تغيرت فى ظل الاستعمار الإنجليزى.



تصميم الغلاف: أسامة العبد